

والشيخ وزير الشؤون
وزارة المعارف والشؤون الدينية
إمضاء والفرز الأستاذ

٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٩٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجمهورية العراقية
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
أحياء التراث الإسلامي

٦٠

جمال الحفيد زيني فضال الشرفي

شرف العلم الجليل والنسب العلي

للشيخ علي بن عبد الله الحسيني السنيهمودي

٨٤٤ - ٩١١ هـ

القسم الأول
في العلم

دراسة وتحقيق

الدكتور موسى بن أبي العلي

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

مطبعة العاني - بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يسرني أن أقدم أثراً تراثياً جليلاً من آثار علمائنا الأعلام الذين خدموا أمتهم ، وأمدوها بعينِ ثرةٍ من العلم والأدب والمعرفة ، هو (كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي) ، ومن عنوانه تظهر أهميته العلمية والتربوية والفقهية .

فالعلم فيه العنصر الأول ، والمحور الرئيس الذي تدور حوله المناقشات المدعمة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال والأمثال التي تبيّن فضل حامل العلم ، وقيّمته الاجتماعية ، ومكانته بين طلبته ، وطاعتهم له ، لأجل ما يحمله من العلم ، وكفى بالعلم وحامله شرفاً وفضلاً .

والكتاب مع ما فيه من الاهتمام بالعلم والعلماء ، يعرض للتربية الإسلامية ، ولواجب العالم والمتعلم ، وكيفية التعليم ، ومكانه ، ووقته ، ومعرفة قابليات الذكاء عند الطلبة ، وتنمية هذه القابليات بالوسائل الناجعة .

كما يعرض للمكتبات العامة والخاصة وتنظيمها ، ونظام إعارة الكتب ، وشروط الإعارة ، ولشروط المطالعة ، وأوقاتها المفيدة ، واختيار الكتاب الذي يدرسه الطالب خاضع لارشاد الأستاذ ، لأنه أعرف بقابلية الطالب .

من ذلك يظهر لنا أن المصنف قد كسب قابلياته التربوية من أساتذته ، وتجربته التعليمية مع طلبته ، ومن كتب العلماء التي حصل عليها ، مثل كتاب الجامع ، والفقيه والمتفقه ، للخطيب البغدادي ، وتذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ، ومقدمة كتاب شرح المذهب للنووي .

ويبدو لنا أن المصنف قام بمبادرة طيبة ، عرض لنا خلالها الأدوار التعليمية التي سبقته ، وأفاض عليها من تجاربه التربوية التي مارسها ، فكانت تجربة ناجحة في وقتها ، حيث جعلت العلم والتعليم نوعاً من العبادة ، وأداة ناجحة في الإصلاح الثقافي والاجتماعي . والاطلاع على تلك التجربة الناجحة يضيف لبنة للتربية التعليمية في الوقت الحاضر ، ويشجع طلبتنا على البحث والتتبع .

والمتصفح للقسم الثاني من هذا الكتاب يطلع على الجهد الذي بذله مصنفه في بيان مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الكرام بين المسلمين داعماً كلامه بالآيات القرآنية الشريفة التي نزلت في حق الرسول عليه السلام وعترته الكرام ، وكلامه عليه السلام الذي أوصى أصحابه بأهل بيته ، وبذلك يكون هذا الكتاب جامعاً لفضل العلم والعلماء ، وتجربة العلماء في التربية الإسلامية ، وجامعاً للسيرة النبوية الشريفة التي تساعد على تقوية العلاقات الاجتماعية في مجتمعنا الحاضر .

الدكتور

موسى بناي العلي

الدراسة

الاسم هو دي اسمه ونسبه

اساتيله

مصنفاته

شعره

نشاطه الثقافي ومكانته الاجتماعية

قيمة الكتاب

وصف النسخ المخطوطة

عملنا في التحقيق

السمهودي

اسمه ونسبه

هو نورالدين أبو الحسن علي^(١) بن القاضي عفيف الدين عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي روح عيسى بن أبي عبدالله محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جلال الدين أبي العليا بن أبي الفضل جعفر بن علي بن أبي طاهر بن الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن سليمان بن داود، بن الحسن الأكبر بن علي بن أبي طالب^(٢) الهاشمي، الحسيني نسبة إلى الحسن الأكبر، ويعرف بالشريف لشرفه نسبة إلى الدوحة النبوية الشريفة، ويعرف بالسمهودي، نسبة إلى سمهود.

وسمهود، أو سمهوط^(٣) : قرية كبيرة تقع على شاطئ غربي النيل في الصعيد، وهذه القرية مشهورة بكثرة^(٤) المعاصر التي يُعَصَّرُ فيها قصب السكر، لأنها مشهورة بزراعته. وبينما كانت القرية هادئة،

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٥/٢٤٥ - ٢٤٨، النور السافر ص ٥٨ - ٦٠، خلاصة الاثر للمحبي ١/٤٣، هدية العارفين ١/٧٤٠، كشف الظنون ١/٦١٤، الاعلام ٤/١٢٢.

(٢) ذكر نسبه عبدالقادر العيدروسي في النور السافر ص ٥٨.

(٣) قال ياقوت الحموي : سمهوط بفتح اوله وسكون ثانيه، ويقال بالبدال المهملة مكان الطاء : قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل في الصعيد دون مرشوط. معجم البلدان ٣/٢٥٥.

(٤) الطالع السعيد للدقوي ص ١٨.

إستيقظت في صباح أحد أيام شهر صفر في سنة (٨٤٤هـ) على ولادة مولود من أهلها خلد ذكرها ورفع مكانتها ، وهذا المولود هو نورالدين علي السمهودي .

نسبَ الى سمهود ولم يبق فيها سوى أربع عشرة سنة ، قضاها في رعاية والده الذي علّمه القراءة والكتابة ، ثم درّسه مجموعة من المقدمات التي كانت (١) شائعة في وقته .

(١) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص ٥٨ .

أساتذته

السمهودي عالم واسع الاطلاع ، ذاعت شهرته في العالم الاسلامي ، فهو عالم المدينة ومؤرخها ، وشيخ مكة وفقيها ، وشريف القاهرة وعالمها ، وشخصية هذه مكانتها ، لا بد أن يكون قد حصل على ثقافته العلمية من علماء مشهورين بمختلف العلوم ، لذا يجدر بنا أن نتعرف عليهم ، كي نطلع على منابع ثقافته الفقهية والأصولية والتاريخية .

١ - والده القاضي عفيف الدين عبدالله بن أحمد الحسني وهو الذي رعاه منذ طفولته ، وعلمه القراءة والكتابة ، وحفظ عليه القرآن الكريم ، وحفظ المنهاج^(١) الفرعي ، ولازم والده حتى قرأ عليه المنهاج بجامع شرحة للجلال المحلي ، وشرح البهجة نصفه سماعاً ، وجمع الجوامع ، وغالب ألفية ابن مالك في النحو ، وسمع عليه جلّ صحيح البخاري ، ومختصر^(٢) مسلم للمنذري .

وبعد أن بلغ السنة الرابعة عشرة من عمره ، سافر به أبوه الى القاهرة^(٣) ليدرس على أساتذتها المشهورين .

(١) النور السافر ص ٥٨ .

(٢) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ .

(٣) قال السخاوي : (وقدم القاهرة مع والده وبمفرده غير مرة .
اولها سنة ثمانمائة وثمان وخمسين) . الضوء اللامع ٢٤٥/٥ .

٢ - الشمس الجوجري محمد بن عبد المنعم^(١)
 الجوجري ، درس السهمودي عليه الفقه والأصول
 والعربية ، فقد قرأ عليه جمع التوضيح لابن هشام ،
 والخزرجية مع الحواشي الابشيطية ، وشرحه للشذور ،
 والربع الأول من شرح البهجة ، وشرح شيخه المحلي
 للمنهاج قراءةً لأكثره ، وسماعاً لساثره ، مع سماع
 غالب شرح شيخه لجمع الجوامع ، بل قرأ بعضها على
 مؤلفها مع سماع دروس من الروضة^(٢) عليه بالمؤيدية .

٣ - شرف الدين أبو زكريا يحيى المناوي^(٣) ، وقد
 أكثر السهمودي من ملازمته ، وأخذ عنه تقسيم المنهاج
 مرتين بفوت مجلس ، أو مجلسين ، والتنبيه ، والحاوي ،
 والبهجة ، وجانباً من شرح البهجة ، وشرح جمع الجوامع ،
 وحاشية المناوي على شرح البهجة ، ومما كتبه على مختصر
 المزني في درس الشافعي ، وقرأ عليه بحثاً قطعة من
 ألفية العراقي ، وقسماً من بستان العارفين للنووي ،
 ودرس عليه في جامع عمرو الرسالة القشيرية ، وسمع
 عليه المسلسل بشرطه ، وصحيح البخاري مراراً بأفوات ،
 وقسماً من صحيح مسلم ، ومن مختصر الأصول للبارزي
 من آخر تفسير البيضاوي ، وألبسه^(٤) خرقة التصوف .

(١) ترجمته في الضوء اللامع ١٢٣/٨ ، البدر الطالع ٢٠٠/٢ ، الاعلام
 ١٣٠/٧ .

(٢) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص ٥٨ .

(٣) ترجمته في الضوء اللامع ٢٥٤/١٠ ، شذرات الذهب ٣١٢/٧ ،
 الاعلام ٢١٢/٩ .

(٤) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص ٥٨ .

٤ - الشمس الشرواني^(١) ، محمد بن مراهم الدين الشافعي ، قرأ عليه شرح عقائد النسفي للتفتازاني ، وسمعه عليه ثانية^(٢) ، وقرأ عليه شرح الطوابع للأصفهاني وسمع عليه الآلهيات بحثاً بمكة ، وقرأ عليه قطعة من الكشف ، وغالب مختصر سعد الدين علي التلخيص ، وشيئاً من المطول ، والعضدي شرح ابن الحاجب ، وشرح المنهاج الأصلي^(٣) للعزي ، وقرأ وسمع عليه غير ذلك من الكتب والرسائل والحواشي .

٥ - شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بريدة الأبشيطي^(٣) ، وقد لازمه بمكة المكرمة سنة^(٤) (٨٧٢هـ) ، والمدينة المنورة سنة^(٥) (٨٧٣هـ) ، وحضر دروسه في المنهاج ، وسمع عليه جانباً من تفسير البيضاوي ، وشرح البهجة ، وسمع عليه بحثاً توضيح ابن هشام ، وقرأ عليه من تصانيفه - أي الأبشيطي - شرحه لخطبة المنهاج ، وحاشيته على الخزرجية ، وأذن^(٦) له في التدريس .

وقد ذكر السمهودي مكاشفات عديدة حدثت له مع أستاذه الأبشيطي في القسم الأول من كتابه هذا الذي

-
- (١) ترجمته في الضوء اللامع ٤٨/١٠ .
 (٢) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص ٥٨ .
 (٣) ترجمته في الضوء اللامع ٢٣٥/١ ، شذرات الذهب ٣٣٦/٧ ، الاعلام ٩٤/١ .
 (٤) جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ورقة ٣٥ ظ .
 (٥) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .
 (٦) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

حققناه' ، عرض لها أثناء كلامه عن أساتذته (١) .

٦ - سعد الدين أبو السعادات محمد بن سعيد (٢)
الحنفي ، قاضي الحنفية في الديار المصرية ، قرأ عليه
عمدة (٣) الأحكام بحثاً ، وأذن له بالتدريس ، وقد وقعت
له معه مكاشفات (٤) ثبتت صحتها بعد وفاته .

٧ - محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن محمد
المعروف بالنجم بن قاضي (٥) عجلون ، قرأ عليه بعض
تصحيحه (٦) للمنهاج .

٨ - محمد بن أحمد بن محمد بن الفقيه أحمد ،
المعروف بالشمس (٧) البامي ، قرأ عليه قطعة من شرح (٨)
البهجة مع حضور تقاسيمه في المنهاج .

٩ - صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ،
المعروف بعلم الدين (٩) البلقيني المتوفى سنة (٨٦٨هـ) ،
حضر عنده في دروسه (١٠) في قطعة الأسنائي .

(١) جواهر العقدين في فضل الشرفين من الورقة ٣٥ ظ الى الورقة ٣٨ و .

(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٣٠٦/٧ ، جواهر العقدين في فضل
الشرفين ورقة ٣٥ و .

(٣) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

(٤) جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ورقة ٣٥ و .

(٥) ترجمته في الضوء اللامع ٢٥٤/٦ .

(٦) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص ٥٨ .

(٧) ترجمته في الضوء اللامع ٤٨/٧ .

(٨) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص ٥٨ .

(٩) ترجمته في الضوء اللامع ٣١٢/٣ .

(١٠) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

١٠ - عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد المعروف بالنجم عمر^(١) بن فهد ، وقد سمع عليه بمكة^(٢) المكرمة .

١١ - الكمال أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي بكر المرجاني^(٣) ، وأخته كمالية ابنة محمد ، سمع على كمالية ابنة محمد^(٤) وأخيها بمكة المكرمة .

١٢ - محمد بن محمد الزين أبو بكر بن ناصر الدين أبو الفرج^(٥) المراغي ، أكثر^(٦) من السماع عليه بالمدينة المنورة .

١٣ - محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن يوسف بن منصور الشمس بن الكمال القاهري ، إمام^(٧) الكاملية وابن أئمتها ، حضر عنده درساً^(٨) ، وألبسه الخرقة ولقنه الذكر .

١٤ - زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الزين الأنصاري^(٩) الشافعي ، قرأ عليه شرح المنهاج الأصلي

(١) ترجمته في الضوء اللامع ١٢٦/٦ .

(٢) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

(٣) توفي سنة (٨٧٦هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٦٧/٩ .

(٤) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

(٥) ترجمته في الضوء اللامع ٥٦/٩ .

(٦) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

(٧) توفي سنة (٨٧٦هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٢٢٤/٩ ، الاعلام

٢٧٨/٧ .

(٨) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص ٥٨ .

(٩) ترجمته في الضوء اللامع ٢٣٤/٣ ، الاعلام ٨٠/٣ .

للأسناني ، وغالب شرحه على منظومة ابن الهائم^(١) في
الفرائض .

١٥ - سعد بن محمد بن عبدالله بن سعد بن أبي بكر
بن مصلح بن أبي بكر بن سعد ، سعد الدين ويعرف بابن
الديري^(٢) ، قرأ عليه عمدة الأحكام بحثاً^(٣) ، وأذن له
بالتدريس .

١٦ - عثمان بن صدقة بن علي بن محمد بن مخلص
الدين عبدالله بن محمد ، أبو محمد الدمياطي
الشارمساحي^(٤) ، أذن له في التدريس والافتاء ، بعد
إمتحانه في مسائل^(٥) ومذكراته معه .

١٧ - العفيف عبدالله بن القاضي ناصر الدين بن
صالح ، قرأ عليه أشياء بالأجايز ، وألبسه^(٦) خرقة
التصوف بلباسه من عمر الأعرابي .

(١) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص ٥٨ .

(٢) توفي سنة (٨٦٧هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٢٤٩/٣ ، الاعلام
١٣٨/٣ .

(٣) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ ، النور السافر ص ٥٨ .

(٤) توفي سنة (٨٨٩هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ١٢٩/٥ .

(٥) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص ٥٨ .

(٦) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

مصنفاته

خلف لنا السهمودي مجموعة مهمة من الكتب الفقهية والأصولية ، وكتب الحديث والسيرة والتاريخ ، أصبحت من بعده مناراً للفقهاء والعلماء ، وقد توصلنا الى معرفة أكثرها حيث كان بعضها مطبوعاً ، وأكثرها مخطوطة لا تزال تنتظر من يخرجها من المكتبات ووضعتها بين أيدي المتشوقين اليها ، منها :

١ - اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى^(١) ، أو الوفا بأخبار دار المصطفى^(٢) ، احترق مع كتبه في المدينة المنورة .

٢ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، مطبوع^(٣) ، وقد لخصه المصنف من كتابه الكبير (الوفا بأخبار دار المصطفى) ، وكانت مسودته معه في مكة المكرمة عندما احترقت مكتبته في المدينة المنورة ، واحترق معه كتابه^(٤) الكبير .

٣ - خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى مخطوطة^(٥) ، لخصه المصنف من كتابه (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى)^(٦) .

-
- (١) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ٢/١ .
 - (٢) خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى مخطوطة ورقة ١ ط .
 - (٣) طبع في مطبعة الآداب والمويد بمصر سنة ١٣٢٦ هـ .
 - (٤) ينظر خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى ورقة ١ ط .
 - (٥) مخطوطة بمكتبة الاوقاف المركزية في بغداد تحت رقم (٢٨١٣) .
 - (٦) ينظر خلاصة الوفاء بأخبار المصطفى ورقة ١ ط .

٤ - (مسألة فرش البسط^(١) المنقوشة) ، رداً على
من نازعة ، مفقود .

٥ - حاشية^(٢) على إيضاح النووي في المناسك ،
مفقود .

٦ - الفتاوي مجموعة فتاويه^(٣) ، مفقود .

٧ - درر السموط^(٤) رسالة في شروط الوضوء ،
مفقود .

٨ - إكمال المواهب^(٥) ذيل على رسالة له ، مفقود .

٩ - مواهب الكريم الفتاح في المسبوق المشتغل
بالاستفتاح^(٦) .

١٠ - الأنوار السنية في أجوبة أسئلة اليمينية^(٧) .

١١ - أمنية المعتنين بروضه الطالبين^(٨) ، حاشية .

(١) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .

(٢) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .

(٣) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الاعلام ٤/١٢٢ .

(٤) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الاعلام ٤/١٢٢ .

(٥) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٢ ط ، هدية العارفين
١/٧٤٠ .

(٦) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٢ ط ، هدية العارفين
١/٧٤٠ .

(٧) هدية العارفين ١/٧٤٠ .

(٨) هدية العارفين ١/٧٤٠ .

- ١٢ - الغماز على اللماز^(١) ، في الحديث الشريف .
- ١٣ - الأقوال المسفرة عن دلائل الآخرة^(٢) ، في الفقه .
- ١٤ - اللؤلؤ المنشور في نصيحة^(٣) ولاية الأمور .
- ١٥ - جواهر العقدين في فضل الشرفين ، وهو الكتاب الذي نحققه .
- ١٦ - إيضاح البيان لما أراده الحجة^(٤) من ليس في الامكان أبدع مما كان .
- ١٧ - شفاء الأسواق لحكم ما يكثر بيعه^(٥) في الأسواق .

(١) وهو مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية تحت رقم (٦٦٨٧) ، مجرد فيها المصنف حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، والتي لا اصل لها عند الائمة الحفاظ ، ورتبها على حروف المعجم ، وبذلك قام بخدمة عظيمة في اخراجه الاحاديث التي لا اصل لها عند المحدثين ، وهو في هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الاعلام ٤/١٢٢ .

(٢) وهو مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية رقم (٧٠٧٢/١) مجاميع ، وهو يعنى في اصول وقواعد المغفرة .

(٣) وهو مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية رقم (١٠٠/١٤) وهو مجموعة من النصائح جمعها المصنف من كتب متعددة ، وجعلها في اربعة ابواب معتمداً فيها على آيات من القرآن الكريم والحديث الشريف ، والاقتوال والامثال . وهو في هدية العارفين ١/٧٤٠ .

(٤) هدية العارفين ١/٧٤٠ .

(٥) هدية العارفين ١/٧٤٠ .

- ١٨ - طيب الكلام^(١) بفوائد الاسلام
- ١٩ - عقد الفريد^(٢) في أحكام التقليد
- ٢٠ - المحرر في تعيين الطلاق^(٣)

(١) هدية العارفين ١/٧٤٠ •

(٢) هدية العارفين ١/٧٤٠ •

(٣) هدية العارفين ١/٧٤٠ •

شعره

إنَّ صاحبنا لم يكن شاعراً موهوباً ، بل كان ينظم شعره في المناسبات التي تحصل له ، سواء كانت هذه المناسبات مفرحة أو محزنة ، فالمناسبة دافعه كما يبدو لنا من الشعر الذي عثرنا عليه .

ومن هذه المناسبات القصيدة التي قالها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان سببها انه كان يقيم بخلوة في مؤخرة المسجد النبوي الشريف ، بجانب المنارة الشمالية الغربية ، فسعى جماعة باخراجه^(١) منها ، فقال :

يُضَامُ بِحَبِكُمْ يَا عَرَبُ رَامَهُ
نَزِيلٌ أَنْتُمْ صَرْتُمْ مُرَامَهُ
وَيَعْدُو مِنْ أَعَادِيهِ عَلَيْهِ
غَدَاةٌ صَارَ قَصْدُهُمْ اهْتِضَامَهُ
وَأَنْتُمْ عَزُّ مَنْ يَنْمَى إِلَيْكُمْ
وَمَنْ أَبْوَابُكُمْ حَازَ احْتِرَامَهُ
وَفِي حَرَمٍ بِسَاحَتِكُمْ مَقِيمٌ
فَلَا يَبْغِي الْعِرَاقَ وَلَا شَامَهُ

(١) ذكر المصنف هذه الحادثة بالتفصيل مع اربعة أبيات من القصيدة في كتابه جواهر العقدين في فضل الشرفين في الورقة ٣٣ و - ٣٤ القسم الاول .

وحبكمو تحكم في حشاه
وحبكمو لذا أضحى غرامه

وليس له ملاذ أو نصير
يجرد دون نصرته حسامه

سواكم آل غالب الموالي
حماة الجار إن لحقته ضامه

ليوث الحرب إن مدت حراب
غيوث المحل إن يخلب غمامه

بحقكمو وذاك أجل حق
له انتصروا فأنتم من تهامه

كرام مكرمون بخير رسل
عظيم الجار موفيه ذمامه

قال : وهي طويلة تزيد على ستين بيتاً ومنها :

له حرم " به كرم " مفاض
لساكنه فقد حاز الكرامه

به قد صار عندكمو نزيلاً
ويرجو نصركم فيما أضمه

جواركمو عدت فيه الأعادي
عليه إذا رأوا منه الاقامه

بحضرتكم فلا ينبغي انتقالاً
ولكن قد أطل لها التزامه

وكادوه بما لم يخف عنكم
ليقصوا عن عراضكم خيامه

فانجز لي رسول الله نصري
لتهنأ لي بذا الحرم الاقامه

ويكبت من عداتي شامتوهم
وتعظم في قلوبهم الندامه

فقد آملت جاهك يا ملاذي
لذا ولكل هول في القيامه

وحاشا أن تخيب لي رجاء
وأنت الغوث من عرب برامه

كريم ان أضيف له نزيل
فنصر الله يقدمه أمامه

ومن عاداته نصري وجبري
وعادة مثله أبداً مدامه

قال : فرأيت عقب ذلك مناماً يؤذن بالنصر العظيم ،
ثم رأيت في اليقظة والله الحمد والمنة (١) .

(١) ذكر المحقق هذه الأبيات في كتابه وفاء الوفا باخبار دار المصطفى
٤٣٠/٢

ومنها (١) :

ولم يرعوا جوارك يا ملاذي
ولا نسبي اليك ولا ذمامه

يبدو لنا أنه ذكر البيت الأخير ليبين بأن نسبه ينتهي الى نسب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، بعد ما ذكر حرمة جواره ، وأن حرمة جواره لرسول الله عليه السلام ونسبه ، لم يمنع المسيء من إسائه .

وقال في ختام كتابه جواهر العقدين في فضل الشرفين (٢) :

لا غرو في بشي محاسن معشري
بالواضح التبيان والبرهان

نصحاً لهم ولأمة فرضت
مودتها لهم في منزل القرآن

فالنصح أوجه علينا ربنا
للكل في سر وفي إعلان

هذا وما استقصيت منقبة لهم
بالمنطق الاقصى من التبيان

(١) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٤ و .

(٢) يبدو ان المصنف قال هذه الايات بمناسبة تكميله كتابه جواهر العقدين ، وكان القسم الثاني يخص النسب الشريف . جواهر العقدين في فضل الشرفين ، الورقة الاخيرة من القسم الثاني .

إلاّ وعندي أنّ ما قد فاتني
أضعاف ما قد قلت في أزمان

فمحاسن الآل الكرام كثيرة
لم يحصيها أحد سوى المنان

من أجل أن تباعها من أحمد
خير الخليفة سيد الأكوان

صلى عليه إلهنا وعليهم
والصحب ما أخضرت ربا أفنان

ومن شعره الصوفي قوله (١) :

تحكم الحب مني كيف أكتمه ؟
أم كيف أخفي الهوى والدمع يظهره ؟

أهوى لقاءه ويهوى سيدي تلفي
ما كل ما يتمنى المرء يدركه

ومن شعره في الغزل (٢) :

الا أن ديوان الصبابة قد سبأ
بما صب من حسن الصناعة ان سبأ

نفوساً سكارى من رحيق شرابه
والحافظ صب من صبايته صبا

(١) النور السافر ص ٦٠ .

(٢) الضوء اللمع ٢٤٧/٥ .

نشاطه الثقافي ومكانته العلمية

السمهودي من العلماء الذين نبغوا في القرن التاسع الهجري ، ولمع نجمه بالفقه والأصول والسيرة والحديث والتاريخ ، فقد كان عالماً فقيهاً أصولياً حافظاً ومحدثاً ومؤرخاً ، انتشرت مصنفاته في الحجاز ومصر وفلسطين ، وكان يلقي محاضراته العلمية في مكة والمدينة والقاهرة .

وكان مركز اقامته في المدينة المنورة ، وهو شيخها الذي لا يجاريه أحد^(١) في مكانته العلمية ، وقل أن يكون أحد^(٢) من أهلها لم يقرأ عليه (١) .

واختير للإشراف على مدرسة أبي البقاء البدري ، والنظر على المجمع فيها ، وما فيه من الكتب التي أوقفها فيه . وصار المتكلم في مصاريف المدرسة المزهرية المختلفة . مع الصرف له من الصدقات التي تأتي من الملوك والأمراء ، كما يصرف للقضاة ، وما أضيف إليه من التدريس مما أوقفه الواقفون .

وقد انقاد له الأمير داود بن عمر في صدقاته لأهل الحرمين حين حج بيت الله الحرام ، فقد اشترى من أجله كتباً وأوقفها ، وانقاد له ابن جبير^(٢) وغيره في أشياء ، عندما تحققوا من علم السمهودي ودينه وتقواه في الحرم النبوي الشريف .

(١) الضوء اللامع ٢٤٧/٥ .

(٢) المصدر نفسه ٢٤٧/٥ .

وعندما سافر من المدينة المنورة الى القاهرة لزيارة أهله ، كان العلماء والقضاة يرحبون به ويجلونّه ، فقد قرره الشيخ يحيى المناوي قاضي الديار المصرية معيداً للحديث في جامع الولوي ، وفي الفقه بالصالحية ، وأسكنه قاعة القضاة فيها ، وعرض عليه النيابة^(١) فأبى .

وعند رجوعه الى بلده مرة أخرى فوض له مع القضاء النظر في أمر نواب الصعيد ، وصرف غير المتأهل منهم ، فما عمل بجميعه^(٢) .

وقد قرّب به ورحب به سلطان مصر قايتباي ، وأكرمه مبلغاً من المال استفاد منه بعد رجوعه الى المدينة المنورة ، حيث إشتري داراً قديمة^(٣) ، وأعاد بناءها .

وسافر من المدينة المنورة الى مكة المكرمة مع ابن العماد ، فوقع الحريق بعد سفره في المدينة ، وقد احترقت بهذا الحريق كتبه ، وهي كثيرة ، وسافر من هناك الى القاهرة ، ولقي السلطان قايتباي^(٤) ، فأحسن اليه بمرتب على الذخيرة وغيره ، بل وأوقف هو وغيره كتباً من أجله ، ورسم بسعايته بسد السرداب الموجه الى الحجرة الشريفة ، والمتوصل منه لدور العشرة ، لما يحصل

(١) الضوء اللامع ٢٤١/٥ ، النور السافر ص ٥٩ .

(٢) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ ، النور السافر ص ٥٩ .

(٣) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٤ .

(٤) يظهر انه هذه المرة الثانية التي يلتقي بها بالسلطان قايتباي ، فالمرّة الاولى اكرمه بمبلغ من المال ، وهذه المرّة خصص له راتباً .

فيه من الفساد مع المعاكسة^(١) ، كل ذلك لم يحدث لولا الجهود التي قام بها السمهودي .

قال السخاوي : ولقيته في كلا الحرمين غير مرة ، وغبطته على إستيطانه المدينة ، وصار شيخها^(٢) ، ثم قال : ومع ذلك فهو يتكسب بالبيع والشراء بنفسه وبمندوبه ، وربما عامل الشريف أمير المدينة بالجملة ، فهو انسان فاضل متفنن متميز في الفقه والأصول ، مديم للعمل والجمع والتأليف ، متوجه للعبادة وللمباحثة والمناظرة ، قوي الجلال على ذلك ، طلق العبارة فيه ، مغرم به مع قوة نفسٍ وتكلف خصوصاً في مناقشاته^(٣) لشيخنا في الحديث ونحوه من العلوم .

وبعد حياة قضاها السمهودي في خدمة العلم دراسةً وافية ، وتدريساً نافعاً لطلابه ، ومناظرات بينه وبين العلماء وتأليفاً ، لبي نداء ربه في سنة (٩١١هـ)^(٤) مخلفاً لنا ثروة كبيرة في الفقه والأصول والحديث والعلم والتربية والتعليم .

* * *

(١) الضوء اللامع ٢٤٧/٥ .

(٢) الضوء اللامع ٢٤٧/٥ .

(٣) نفس المصدر ٢٤٧/٥ .

(٤) ذكر المحبي ان وفاة السمهودي كانت في آخر سنة احدى عشرة بعد الألف ، وهو وهم منه لا يلعبه دليل ، يضاف الى ذلك ان المحبي كانت وفاته سنة ١١١١هـ ، وهو بعيد عن عصر السمهودي ، والصحيح ما ذكره المعاصرون له . ينظر خلاصة الاثر ٤٣/١ .

قيمة الكتاب

الكتاب' كما يبدو من عنوانه يعنى بشرف العلم وشرف نسب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهذان الشرفان لا يرقى اليهما شرف في المنزلة بعد شرف الخالق عزَّ وجلَّ .

وملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم للعلم واتصافه به ، وحثه الصحابة على العلم ، وتشجيعهم على طلبه ، ما كان ذلك إلاَّ لأنه أفضل العبادات التي يأتي بها المسلم ، مثال ذلك قوله عليه السلام لأبي ذر : (جلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب الى الله تعالى من قيام ألف ليلةٍ ، يصلي في كل ليلة ألف ركعة ، وأحب اليه من ألف غزوة)^(١) ، وقوله : (اللهم إرحم خلفائي ، قيل : يا رسول الله ! من خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي)^(٢) .

فقد بدأ السمهودي كتابه بفضل العلم والعلماء ، وأوردَ الأدلة من القرآن الكريم والحديث الشريف على على فضل العلم .

فمن أدلته من القرآن الكريم ، قوله تعالى : (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)^(٣) .

(١) جامع السعادات ١٠٣/١ .

(٢) جامع السعادات ١٠٣/١ .

(٣) سورة الزمر الآية : ٩ .

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) (١) ، وقوله : (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كبيراً) (٢) ، وقوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) (٣) .

ومن أدلته من الحديث الشريف قوله عليه السلام : (العلماء ورثة الأنبياء) (٤) ، وقوله : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) (٥) ، وقوله : (يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، والعلماء ، والشهداء) (٦) ، وقوله : (من خرج في طلب العلم ، فهو في سبيل الله حتى يرجع) (٧) .

هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تظهر فضل العلم ومكانته الشريفة ، وبذلك يكون العلم أفضل الفضائل الكمالية ، وأشرف النعوت النورانية ، لأنه الطريق الموصل الى جوار رب العالمين ، والى أفق الملائكة المقرّبين ، فما سجد الملائكة أجمعون إلاّ لأن آدم عليه السلام يعلم ما لا يعلمون ، هذه الأسباب مجتمعة جعلت المصنف يبتدىء بالعلم ويتبعه بالتربية الاسلامية ، وما

(١) سورة فاطر الآية : ٣٨ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٦٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٨ .

(٤) رواه الامام ابن حنبل في مسنده ١٩٦/٥ ، وابو داود في سننه

٢٨٥/٢ ، والدارمي في سننه ٨٣/١ .

(٥) صحيح الترمذي ١٥٧/١٠ .

(٦) سنن ابن ماجه ١٤٤٣/٢ .

(٧) صحيح الترمذي ١١٦/١٠ .

توصلت اليه في العهود السابقة لعصر المصنف ، وقد
أضاف الى ذلك التجربة التي مارسها أثناء تعليمه
وتصدره للتدريس .

ويجدر بنا أن نقول أن هذا الكتاب يحتوي على ثروة
علمية تدفع العلماء الى تنمية قابلياتهم العلمية ، لما في
العلم من الرفعة والمكانة عند الله ، ولما فيه من المنزلة
العظيمة في المجتمع الذي يعيش فيه العالم ، كما يحتوي
على ثروة تربوية تجعل التربويين على علم بما طبقه
أجدادهم العظماء في مجال التربية والتعليم ، كي يضيفوا
خبرات أجدادهم الى خبراتهم في تعليم أبنائنا .

أما القسم الثاني من كتاب جواهر العقدين في فضل
الشرفين فقد تناول شرف النسب النبوي الشريف وأهل
بيته الكرام ، وناقشه بخمسة عشر ذكراً مدلاً على ذلك
بآيات من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : (إِنَّمَا يَرِيدُ
اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١) ،
وقوله تعالى : (قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا
وَنِسَاءَكُمْ الْآيَةَ) (٢) ، وقوله تعالى : (وَأَذْكُرْ مَا يَنْتَلَى
فِي بَيْتِكَ) (٣) ، وقوله تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٤) ، وغير ذلك .

(١) سورة الاحزاب الآية : ٣٣ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٦١ .

(٣) سورة الاحزاب الآية : ٣٤ .

(٤) سورة الشورى الآية : ٢٣ .

والحديث الشريف كقوله صلى الله عليه وسلم :
 (يا رب هذا عمي وصنو أبي ، وهؤلاء أهل بيتي
 فاسترهم من النار كستري إياهم بملائي هذه) (١) ،
 وقوله : (يا بني هاشم اني قد سألت الله عز وجل أن
 يجعلكم نجباء رحماء ، وسألته أن يهدي ضالتكم ويؤمن
 خائفكم ويشبع جائعكم) (٢) ، وقوله : (إستوصوا بأهل
 بيتي خيراً فاني أخاصمكم عنهم غداً ، ومن أكن خصمه
 أخصمه ، ومن أخصمه دخل النار) (٣) ، وغير ذلك من
 الأحاديث الشريفة .

وعندما نتفحص هذا القسم جيداً يظهر لنا مدى
 الجهد الذي بذله السهمودي في بيان مكانة الرسول
 الكريم بين المسلمين ، وبيان المعجزات والآيات التي
 وقعت له بينهم ، والكرامات التي حدثت لأهل بيته ،
 ومنزلته ومنزلة أهل بيته في قلوب المسلمين .

(١) جواهر العقدين في فضل الشرفين ٧/٢ و .

(٢) المصدر نفسه ٢/٢ و .

(٣) المصدر نفسه ٢/٢ و .

وصف النسخ

حَقَّقَ كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين
للسمهودي على ثلاث نسخ ، وُجِدَتْ في مكتبة الأوقاف
المركزية ببغداد ، وبعد اطلاعي على فهرس المخطوطات
المختلفة لم أجد غير النسخ المذكورة ، وقد جعلت أحدها
أصلاً لمزايا سوف أذكرها في المستقبل ، وجعلت
النسختين الأخيرتين مساعدتين .

١ - نسخة بخط محمد بن يحيى (الأصل) :

وهي نسخة واضحة وكاملة وقديمة ، موجودة في
مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد تحت رقم (٣٩١) أدب ،
وكتبت سنة (١٠٨٧ هـ) ، فهي أقدم النسخ الموجودة
من حيث النسخ .

عدد أوراقها (٢٨١) ورقة ، في كل صفحة تسعة
عشر سطراً ، ومتوسط عدد كلمات كل سطر ، سبع
كلمات ، وقياسها (٢٠ × ١٤ سم) .

في وجه الورقة الأولى كُتِبَ : (كتاب جواهر
العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب
العلي ، تأليف سيدنا وشيخنا الشيخ الامام العلامة ذي
التصانيف المفيدة النافعة ، فريد دهره ووحيد عصره ،
سلالة الشرف وعنوانه السيد الشريف نورالدين والدنيا
علي بن الامام العلامة جمال الدين عبدالله الحسني
السمهودي الشافعي نزيل طيبة المشرفة تغمد الله

بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان بحرمة
جده) ، وهذا العنوان الطويل لا يكتبه المصنف ، بل
كُتِبَ من قبل الناسخ ، بدليل قوله : (تأليف سيدنا
وشيخنا) ، وقوله : (تغمده الله بالرحمة والرضوان
وأسكنه فسيح الجنان بحرمة جده) ، والمؤلف لا يقول
ذلك ، لأجل ذلك لا نثبت في الكتاب هذا العنوان الطويل .

وفي ظهر الورقة الأولى كُتِبَ : (بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله الذي أعزَّ أوليائه ' ٠٠٠ الخ) ، وفي
نهاية القسم الأول كُتِبَ : تم القسم الأول ويتلوه
القسم الثاني ان شاء الله تعالى) .

وفي نهاية الورقة الأخيرة من القسم الثاني كُتِبَ :
(قال مؤلفه نفع الله به وعامله بخفي لطفه : فرغت من
تأليفه في اليوم المبارك الثامن من شهر ربيع الثاني عام
سبع وتسعين وثمانمائة والحمد لله وحده لا شريك له ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، كان الفراغ من
رقم هذه النسخة المباركة نهار الخميس المبارك سلخ
شهر الحجة الحرام ، شهدت سنة ثمان وسبعين وألف
من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم) .

وبعد مسافة من الفراغ ، كُتِبَ : (بعناية سيدنا
الفتح الفاضل العلم الماجد الكامل شمس الدار حمد بن
جابر المؤذن ، ختم الله لنا وله بالصالحات ، ورفع في
الدارين الدرجات بحق سيدنا محمد عليه وعلى آله من
الله أفضل الصلوات ، بخط أفقر عباد الله اليه المعترف

بالخطأ والتقصير الراجي عفو الملك القدير محمد بن يحيى
بن نور عفى الله عنه آمين) .

٢ - نسخة وقف الحاج أمين أفندي (م)

وهي نسخة قديمة رديئة الخط ، وقع خرم في آخرها
ذهب بورقتين من الأخير ، وقد ختمها الناسخ في أول
الخرم ، رمزنا لها بالحرف (م) ، لأنه أحد حروف اسم
الملك .

وهي موجودة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد ،
تحت رقم (٣٩٢) أدب ، عدد أوراقها (٢٢٧) ورقة ،
مقياسها (٢٠ × ١٤ سم) ، يبلغ متوسط عدد أسطر
الصفحة الواحدة (٢١) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات
السطر الواحد تسع كلمات ، وقد كُتِبَ في وجه الورقة
الأولى : (كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف
لعلم الجلي والنسب العلي ، تأليف سيدنا وشيخنا الامام
العالم العلامة ذو التصانيف المفيدة النافعة فريد دهره ،
ووحيد عصره ، سلالة الشرف وعنوانه ، السيد الشريف
نور الدنيا والدين علي بن الامام العلامة جمال الدين
عبدالله الحسن السمهودي الشافعي نزيل طيبة
المشرفة) .

وحول العنوان كتابات تصعب معرفتها ، وفيها ختم
مدور مكتوب داخله : (هذا الكتاب وقف الحاج أمين
أفندي الساكن في بغداد ، وأوقف على كتبخانه جامعته
الواقع في محلة دكان شناوة ، « ١٣٢١ هـ ») .

وكتبَ في ظهر الورقة الأولى : (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ، الحمد لله الذي أعزَّ أولياءه ' ٠٠٠ الخ) .

وفي نهاية القسم الأول من الكتاب كتبَ : (تم القسم الأول من جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ويتلوه القسم الثاني إن شاء الله تعالى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه) .

وكتبَ في الورقة الأخيرة من الكتاب في الحاشية : (خاتمة الكتاب) بكتابة كبيرة ، وأسفله الختم الذي ذكرناه في وجه الورقة الأولى .

ولما كانت هذه النسخة مخرومة من الأخير ، ختمها الناسخ عند الخرم بكتابة مغايرة عما في النسختين الأخيرتين بقوله : (وطاعة رسولك فأرددها عليه ، فردها الله تعالى ، فصلى عليّ رضي الله تعالى عنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) ، وهذه الكتابة من الناسخ ، لأن الكتابة في النسختين الأخيرتين تختلف عنها ، وهي : (فأردد عليه الشمس الحديث ، وقد صححه الطحاوي ٠٠٠ الخ) .

٣ - نسخة وقف إبراهيم فصيح الحيدري (ب)

وهي نسخة جيدة حديثة الخط بالنسبة للنسختين السابقتين ، وفيها تصحيحات كثيرة في الحواشي وبين الأسطر ، مما يدل على أنها قورنت بنسخة أخرى ، وقد

أسند أحمد بن محمد فاطن روايتها عن المؤلف ، بسند ذكره في وجه الورقة الأولى ، وذكر تاريخ نسخها في سنة (١١٧٢ هـ) ، وذكر إسمه وأسماء الذين روى عنهم (كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين) ، الى أن أوصله الى المؤلف .

والنسخة المخطوطة موجودة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد تحت رقم (٢٩٨٤ / ٢) أدب ، عدد أوراقها (١٦٧) ورقة ، قياسها (٣٠ × ٢٠ سم) ، عدد الأسطر في الصفحة الواحدة (٣٠) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر (١٩) كلمة ، وقد رمزنا لها بالحرف (ب) ، لأنه أحد حروف إسم صاحبها .

كُتِبَ في وجه الورقة الأولى : (كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب النبوي ، تأليف الشيخ الامام العلامة ذي التصانيف المفيدة النافعة السيد الشريف نور الدنيا والدين علي بن سيدنا الشريف العلامة جمال الدين عبدالله الحسني السمهودي الشافعي نزيل طيبة المشرفة رحمه الله تعالى وجزاه خيراً وتقبل منه آمين) .

وفي أسفل الورقة كُتِبَ : (وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين وسلم) ، وبين الكتابتين كُتِبَ : سند رواية الكتاب وهو : (الحمد لله وحده ، يقول العبد الفقير الى مولاه أحمد بن محمد فاطن عفا الله عنهما وغفر زلتهما : أروي جواهر العقدين وجميع مؤلفات مؤلفه رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مصيره

ومأواه عن سيدي السيد الجليل العالم النبيل يحيى بن
عمر بن مفصول الأبدل رحمه الله تعالى بالاجازة مكانه عن
شيخه العلامة أبي الأسرار الحسن بن علي العجمي المكي
رحمه الله عن شيخه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد
الخفاجي شارح الشفار رحمه الله عن شيخه القاضي علي
بن جارا الله القرشي المكي عن الرجل السند محمد جارا الله
بن الحافظ عبدالعزيز بن فهد عن المؤلف العلامة السيد
الشريف نور الدين علي بن عبدالله السمهودي الحسني
رحمهم الله تعالى ، وقد أجزت أولادي ومن أخذ عني ومن
أدرك حياتي ، وكفى بما فيه توصية لهم ،
وهو حسبي وكفى به ، الفقير أحمد بن محمد فاطن عفا
الله عنهما تعالى شهر صفر سنة اثنتين وسبعين بعد المائة
والألف والحمد لله أولاً وآخراً وهو حسبي وكفى) ، هذا
السند كُتِبَ بخط مغاير لخط المخطوطة ، وكُتِبَ
أسفله بخط المخطوطة : (وصلى الله على سيدنا محمد
 وآله وصحبه الراشدين وسلم) .

وفي الجانب الأيسر من الورقة ختم كُتِبَ فيه :
(وقف المرحوم إبراهيم فصيح الحيدري على تكية
الخالدية) ، وكُتِبَ أسفل الختم في الحاشية : (سمهوط
 بالطاء وضم السين والمشهور فتحها بلدة كبيرة بمصر
نسب إليها الامام أحمد بن علي الحسني وولده جمال
الدين عبدالله بن أحمد المتوفى سنة (٨٦٦ هـ) ، وولده
علي بن عبدالله نزيل المدينة ومؤرخها ، ولادته سنة

(٨٤٤هـ) ، ذكره السيد المرتضى في شرحه للقاموس^(١)
فراجعه) .

وفي نهاية القسم الأول من الكتاب كُتِبَ : (تم
الجزء الأول من جواهر العقدين بحمد الله ومنه وفضله ،
ويتلوه القسم الثاني إن شاء الله ، إن شاء الله الاعانة
آمين) .

وفي الورقة الأخيرة من القسم الثاني كُتِبَ : (تم
كتاب جواهر العقدين للسيد الشريف أبي عبد الله
السمهودي رحمه الله تعالى وجزاه خيراً وأحسن إليه
ورزقنا الله حب أهل بيت نبيه ، ونفعنا بمحبتهم في
الدارين آمين) .

وفي أسفل الورقة كُتِبَ : (كان تمام تحريره ليلة
الأحد عشرين من شهر الحجة الحرام سنة ست وأربعين
ومائة وألف برسم سيدنا وبركتنا وقدوتنا القاضي
إبراهيم بن أحمد العياشي رزقه الله فهم معانيه وبلغه من
الخيرات في الدارين فوق أمانيه آمين آمين) .

وفي الجانب الأيسر من الورقة كُتِبَ : (طالعه
بجهد الله ، والظاهر عليه الصحة ، لعله نقل وقوبل
على نسخة صحيحة ، وفيه كفاية لمن أراد الطريقة المحمودية
التي سلكها المنصفون ، جزاهم الله عن الاسلام خيراً
آمين) ، وهذه الفقرة تدل على أن النسخة قُوبِلت على
نسخة أخرى صحيحة ، لكنها حديثة النسخ .

(١) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة (سمهود) .

عملنا في التحقيق

ان التحقيق هو إظهار الكتاب الذي نحققه كما وضعه مصنفه أو قريباً منه ، ولما كنا لم نتمكن من العثور على النسخة التي كتبها المصنف ، فقد إعتدنا على ثلاث نسخ : أحدها قديمة في تاريخ نسخها ، واضحة في كتابتها كاملة بمادتها ، والثانية رديئة الكتابة غير معروف تاريخ نسخها ، لكنها قديمة كما يظهر من كتابتها ، وقد سقط من آخرها مقدار صفحتين ، فجعلنا الأولى أصلاً لكمالها ووضوحها وقدمها ، والثانية مساعدة لنقصانها .

والنسخة الثالثة كان خطها حديثاً وواضحاً ، فيها إستدراكات كثيرة ، جعلناها مساعدة أيضاً .

ويمكن تلخيص ما قمت به من عمل في التحقيق بالنقاط التالية :

١ - اعتمدت في التحقيق على النسخة الأصل ، وأثبت ما فيها ، ورجعت الى النسختين الأخيرتين في المطابقة ، وأشرت الى الزيادة والنقصان بين النسخ في الحاشية .

٢ - أثبت ما حدث بين النسخ من تفاوت واختلاف في الحاشية وهو قليل ، وترجمت للأشخاص غير المشهورين ، تجنباً من إثقال النص بالحواشي .

٣ - ملاحظة الآيات القرآنية التي وردت في الكتاب ،
وعرضتها على المصحف الشريف ، ثم ذكرت إسم السورة
ورقم الآية في الحاشية .

٤ - إرجاع الأبيات الشعرية الى دواوين الشعراء أو
الى الكتب المعتمدة .

٥ - إرجاع الأحاديث الشريفة الى كتب الصحاح وكتب
الحديث الأخرى ، وكتب الحديث التي أشار اليها المصنف ،
وبينت الاختلاف بين ما ذكره المصنف وبين ما ورد في
الكتب المذكورة في الحاشية .

٦ - كتابة النص بالخط الحديث ، دون الإشارة الى
الاختلاف بين الخط القديم والخط الحديث .

٧ - ملاحظة النصوص التي إقتبسها المصنف من
كتب الذين سبقوه ، مثل كتاب تذكرة السامع والمتكلم
في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ، ومقدمة كتاب شرح
المهذب للنووي ، وكتاب الجامع للخطيب البغدادي ، وكان
الاقتباس من الكتاب الأول كثيراً ، وقد أشرت الى
النصوص المقتبسة في الحاشية .

٨ - وضعت الكلمة أو الكلمات التي أخذتها من
النسختين ، والتي كانت ساقطة من الأصل بين قوسين
معقوفين ، وأشرت الى ذلك في الحاشية .

٩ - أشرت الى السقطات التي وردت في النسختين
في الحاشية .

١٠ - عملت فهارس فنية للكتاب ، للآيات الكريمة ،
والأحاديث الشريفة ، وأبيات الشعر ، والأقوال
والأمثال ، والأعلام ، وفهارس الموضوعات ، وسوف
أضعها في أخير القسم الثاني من الكتاب .

وبذلك أرجو أن أكون قد وفقت في إخراج هذا الكتاب
بصورته الصحيحة ، والله الموفق الى الخير والهدى .

كتاب
 في خواهر العقدين ، في فضل الشرفين ،
 ، شرف العالمين ، والنسب العالي
 تاليف سيده وشيخنا الامام العالم العلامة
 ذوالنصايف العبد ابنه دفعه عزيد دهر
 ووحد عصم سلاله الشرف وعنى
 السيد الشرف تورالنيا والدين علي
 من الامام العلامة جمال الدين عبيد
 اكسي السهوي السافعي
 في فضل الشرف
 الفقه في امر
 دانيال
 انما بينا لطيف
 له بذر الحادى
 عتق سعيد سعد عثمان طلحة
 وما ظم لايه لا تشفى صور
 اعدت قوما لذيها ولحقى
 على وابناه موسى جوجس
 وكذا الزيد في المدينة
 اراكم لا يقدروا
 في نسخة



ورقة العنوان من نسخة وقف الحاج أمين الشندي (م)

الحمد لله الذي اعز اوليائه اعلام الدين وفضى بؤدهم وجهم وحزله
اعداد الذين هم للاعلام معادين، وامر بعضهم ونهى عن قتلهم وجعلهم
العاصد للفقار، وداير السوء على الظالمين، والصلاة والسلام على سيرة
سيد امام الهادين، وموسى المعلمين، والنفيلان وصحابته الدارين حتى الملك
الحميد، المبينين معالمها المسترشدين، واهل بيته الطاهرين
ما سعدتكم بحكم وودهم وشقى آخر بعضهم وصدهم
فان الله تعالى قد اخص عباده اهل العلم السنن واهل البيت النبوة
بخصيص الشرف العلي، وحامهم رفيع الدرجات وجعل محبتهم وودهم
فلجل القربات، واعلى المراتب والانتصاب لعداوتهم والبغضى
من اعظم التوفيق، وقد ذكر الاداء المعادة لهم من بعض اشقياء زماننا
وسكان ديارنا، في احواله وما خيلوا عليه من السقاة والبيوت
ولما افضته حكمة الساس من جهم للائم وبعضهم للارام في
غايه جهدهم في احواله ذكرهم واسقاط كلمتهم وبهمهم وادبهم
ابدا ساعون ليطفوا بنور الله باقواهم وايه الله الان لم يورعوا
كن المشركون ونسب در شيخ مشايخنا شيخ الاسلام العلامة الامام
ررعه الولي بن العزالي حيث يقول من اسات ويا ابائي في شيخنا
شيخ الاله لام يقيد العصر الشرف الماوي بعد ما الله برحمته
هذا زمان فيه ترفع الحكم وذاك من اعظم خطب قديهم
مرادهم به يطفوا بنور الهدى لا يلغوا ولا سقوا ما اليهم
فاستخرجت الله تعالى في تأليف رسالة كافله بعظم حق هدى البشر

الورقة الاولى من نسخة وقف الحاج امين افندي (م)

[illegible]

الورقة الثانية من نسخة وقف الحاج أمين أفندي (م)

في قبضتك بقدم بالتوكيل على فان مضته ثلاثة ايام ولم يحزنه على مبدل
 ان مضعب حاد فدي لا مبدل المؤمنين حلاله فقال الربيد خذ بيدك
 فليكن عندك حتى انظر في ^{الاسماء} الفصل فواسه ما سلبت العصور في ذلك
 حتى سمعت الصدى سر داوره امة بن مضعب فاحترت انه قد
 اجابته اكرام ونورم وصوت اليه فواسه ما لسته اعرفه فانه صار كالون
 العظم مصرت اليه الربيد وفعرفه صروفا بعضي كلامي حتى اباني خد
 وفاته فبدت بما كرم وامت بتجمل ارم فلما دلوه في حفرة لم يستقر
 منها حتى انكشفه قريح وخرجته من راحة مضرب السن فطرحته فيه
 اذ لم يشوكة مبرته علينا فانكشفته فانه فطرحته عليه ^{الواج} سابع ثم
 طبع اليه امة اهلته الربيد في ذلك فاكتر النجيب وامر تخليد موسى
 ان يهيب الله وان اعطيت الله ديات وسالته عن العذوبة عن ليس
 الشقاوقم فقال لا يلو وبنا عن خدنا عليه حتى اسد عنه عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال من احد خلف بين محمد الله فيها الا استجبت الله من
 مقربته وسامته من خلفه بين فاذ به نارح الله فيها حوله وقوة الاعجل
 الله العنوبة قبل ثلاثة قال السعودي وقل ان صاحب هذا الخبر من
 محي يمد الله اخو موسى بن عبد الله وكتاب اهل هذا البيت كثر
 لا تقصروا ما تروا من اشهر من اشهر قلبي كتابا هذا بانقائه عزيبه
 ذكر ما روي عن ابن ابي روي في روض الامم عطف حربه رد التمس من
 اهل علي رضي الله عنه عيسى بن راس النبي صلى الله عليه وسلم في حجره التوحيد
 النبي صلى الله عليه وسلم في روض الامم عطف حربه رد التمس من
 عليه فودعها الله تعالى فصل على النبي صلى الله عليه وسلم
 تحفه وسلي الله عنى مبدل ناجز والهمكم

خاتمة الكتاب



أول
ما رآه
معدن
الذهب

٢٠٨٦

وغيره من
الذهب
الذي
يخرج
من
الارض

كشاف جواهر العقدين في فضل

الدين شرف العلم والخلق والنسب العلم بالدين
وشجنا الشيخ الامام العلامة ذو القضايف المعسدة
النافعة وزيدهم ووحد فضله في الشرف وخصه في التبر
الشرف في الدنيا والآخرة في زوال الامم والقائمة
الدين في الدنيا والآخرة في التبر في الشافعي
في الدنيا والآخرة في التبر في الشافعي
والرضوان وانك في
الحق انك في
حاج

المصطفى في يد عزيان صلى الله عليه وآله وفضلنا وشرقا
لدينا امين الامين والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي غزا ولباه لبلاد الدين . وقضى بؤسهم
 وحتم وخذل اعداء الذين هم للاسلام مغادين . وامر
 بغضهم . ونهى عن قربهم وجعل العاقبة للمقين . وداين
 التوفى الظالمين . والصلوات والسلام على سيدنا محمد
 امام الهادين . ومنه المخلصين والمعتقلين . ومخائبه
 الذاتين عن الله المحمدين . الميتين مقام المنشددين .
 واهل بيته الطيبين الطاهرين . ما تغد شخص عنهم ويدغم
 وتغنى اخر بغضهم وصدمهم . اما بعد فان اسر قد
 اختص عبادة اهل العلم النبي . واهل البيت النبوي
 الشرف العالي . وخبايا رفيع الدرجات . وجعل محبتهم
 ومودتهم من اهم التراتب واغلى المشويات . ولا يتصاب
 لغداوتهم والتضدي لادائهم من اعظم الموبقات . وقد كثر
 الاذا والمغاداة لهم من بعض اشقياء زماننا . وسكاردياننا
 لا مالتهم في الجبال . وما حبلوا عليهم من السفال والنذل .
 ولما اقتضت حكم السان شرب ختمهم للامم وبغضهم للكل .
 فيجدون غايه جهدهم في اخل اذ كرم واستقاط كلمتهم ونهيبهم
 وازهرهم . كما ابتدئنا قون لطيفوا فورا سدا فواهمهم
 وبابا اسد لا ان يتم نوزم ولو كره المشركون . والله سبحانه

الورقة الاولى من نسخة محمد بن يحيى (الاصل)

شيخ الاسلام فقير العصر الشرف المناوي رحمه الله تعالى الغلام
 الامام الشريف عبد الولي بن العزاقي حيث يقول من اسات فيما
 انباني به شيخنا شيخ الاسلام فقير العصر الشرف المناوي رحمه الله

السيد محمد بن

هذا زمان قد رفع الحكمه | وذاك زمان علم خطب قدامه
 ايزاد مراد من ان يطهر من المذمة | لا يتركها ولا يستقوا ما البذمة
 فاستخرج استحقاقه في تاليفه رسالة كفاية بعظيم حق هذين
 الشرفين وادابهما من الطريق انتم جواهرها في عقدين وقسمها
 الى قسمين القسم الاول في فضل العلم والعلماء وصغلت
 ذلك ومثل له لواب للباب الاول في ايراد الأدلة
 الدالة على فضل العلم والعلماء وجوب تعظيمهم واختيارهم
 والتجديز من بعضهم والاذا لم يعضهم الباب الثاني
 في بيان منشا معاداتهم ومعاديات غيرهم من اهل البيت الكبار
 ومحبة اليهم للقيام والتجديز من معاديات منقادى العلماء
 ومشروعيهم ومختارهم والاخذ بها في العلم والاخلاص
 من صفاتها الباب الثالث في اداب العلماء والعلماء
 منهم والاخذين عنهم القسم الثاني في فضل اهل البيت النبوي
 وشرفهم العالي وفيه خمسة عشر ذكر الاول ذكر فضيلتهم بالانزال
 اسعز وجل من تعظيمهم واذهاب الرجز عنهم وتعزيم الصدق عليهم

موايد

الورقة الثانية من نسخة محمد بن يحيى (لا اصل)

جاهد مني يا بخنا بالعراق والواشا هذا ابا منصور المظفر ابراهيم
 القبادي الواعظ وقد جلت لنا حيد مدبرية سبابا بن زحيلة
 ببغداد وكان بعد العصر وذكر حديث زرد الشمس لابي رضى الله عنه
 وطرز نزع غبارته وثقة بالفاخر وذكر فضائل اهل البيت فغشيت
 شجيرة غبطة الشمس حتى طرقت النائم ما قد غابت فقام ابو منصور
 على المنبر قائما واما الى الشمس وانشد شعره

لا تعزني يا شمس حتى ينمى	•	مدحى لال المصطفى والحيلة
واشئ غنا نكاد ان نشتام	•	انيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولود وقوفك فليكن	•	هذا الوقوف لحيلة ولرحله

قالوا فاحبا بالتحايف من الشمس وطبعنا في وما كان مقصود هذا
 التاليف بهذا النصيب للخليفة اتعنه فقول

لا غرو في لي محاسن معشري	•	بالواحد الثبيان والبرهان
بصحا لم ولا مة وضنت	•	مودتها لم في من الزمان
فالمع اصبح علينا رشا	•	للحل في من وفي هذا لانه
هذا وما استقصيت من قبله	•	بالمنطق الاقصى من التبيان
الا وعندي ان ما قد فاتني	•	اصفا ما قد قلت في الزمان
فيما سن الا الكرام كثير	•	لم يحضرها احد سوى المنان
من اجل ان تباعها من اجل	•	خير الخليفة سيد الكوان
اصلى عليه لنا وعليه	•	والصفي والخمر زبا انان

الودقة ما قبل الاخرة من نسخة محمد بن يحيى (الاصل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّ أَوْلِيَاءَهُ أَعْلَامَ
الدِّينِ ، وَقَضَىٰ بَوْدَهُمْ وَحُبَّهُمْ ، وَخَذَلَ
أَعْدَاءَهُ الَّذِينَ هُمْ لِلْأَعْلَامِ مُعَادِينَ ، وَأَمَرَ
بِبُغْضِهِمْ ، وَنَهَىٰ عَنْ قُرْبِهِمْ ، وَجَعَلَ الْعَاقِبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ ، وَدَائِرَةَ السُّوءِ عَلَى الظَّالِمِينَ ،
وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ إِمَامِ الْمُتَّقِينَ ،
وَمُرْشِدِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ ، وَصَحَابَتِهِ
الذَّابِينَ عَنِ الْمَلَّةِ الْمَحْمُودَةِ ، الْمُبَيِّنِينَ مَعَالِمَهَا
لِلْمُسْتَرَشِدِينَ ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ،
مَا سَعَدَ شَخْصٌ بِحُبِّهِمْ وَوُدِّهِمْ ، وَشَقِيَ آخَرٌ
بِبُغْضِهِمْ وَصَدِّهِمْ .

وَأَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ [تَعَالَى]^(٢) قَدْ اخْتَصَّ عِبَادَهُ
أَهْلَ الْعِلْمِ السَّنِيِّ وَأَهْلَ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ
بِخَصِيصٍ^(٣) الشَّرَفِ الْعَلِيِّ ، وَحَبَاهُمْ رَفِيعَ
الدَّرَجَاتِ ، وَجَعَلَ مَحَبَّتَهُمْ وَمُودَّتَهُمْ مِنْ أَهَمِّ
الْقُرْبَاتِ ، وَأَعْلَى الْمَثُوبَاتِ ، وَالْأَثَرِ الْمُنْتَصَابِ
لِعِدَاوَتِهِمْ ، وَالتَّصَدِّي لِأَذْيَتِهِمْ مِنْ أَعْظَمِ الْمَوْبَقَاتِ ،

(١) فِي (م) : وَصَلَى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ .

(٢) (تَعَالَى) : سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَصْلِ ، وَهِيَ فِي م ، ب .

(٣) كَذَا فِي : (ب) وَهُوَ الْأَرَجَحُ ، وَفِي الْأَصْلِ ، م : (تَخْصِيصًا) ،

وَلَا يَتَّفَقُ مَعَ سِيَاقِ الْكَلَامِ .

وقد كثر الأذى والمعاناة لهم من بعض أشقياء زماننا ،
وسكّان ديارنا ، لا صالتهم في الجهالة ، وما
جبلوا عليه من السفالة والنذالة ، ولما اقتضته
حكمة التناسب من حبّهم اللئام وبغضهم
للكرام ، فبذلّون غاية جهدهم في إخمال ذكرهم ،
وإسقاط كلمتهم ، ونهيههم ، وأمرهم ، وهم بذلك
أبداء ساعون (أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ) (١) . والله درّ شيخ مشايخنا [اظ] شيخ
الاسلام العلامة الامام أبي زرعة (٢) الولي بن العراقي
حيث يقول : من أبيات فيما أنبأني به شيخنا شيخ
الاسلام فقيه العصر الشرف المناوي تغمده الله برحمته
آمين :

هذا زمان فيه ترفع الحكم
وذاك من أعظم خطب قد ألم

(١) سورة التوبة الآية : ٣٢ .

(٢) هو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن
أبي بكر بن ابراهيم الولي ابو زرعة ، الكردي الاصل المهراني
القاهري ، قاضي الديار المصرية ، ولد في القاهرة سنة (٧٦٢هـ) ،
وتربى فيها ، ودرس في الشام ، وعاد الى القاهرة ، وعلت مكانته
فيها ، وولي القضاء ، وله كثير من المؤلفات في الفقه والاصول والتفسير
وغيرها ، توفي في القاهرة سنة (٨٢٦هـ) ، الضوء اللامع ١/٣٣٦ ،
البدر الطالع ٢/١ ، الاعلام ١/١٤٤ .

مرادهم^(١) أن يُطفئوا نور الهدى
لا بُلِّغُوا وَلَا سُقُوا ماءَ الديم

فاستخرتُ اللهَ تعالى في تأليف رسالة كافلة
يعظم حقَّ هذين الشَّرفين ، وآدابَهُما من الطَّرفين ،
أَنظُمُ جواهرها في عقدين ، وأقسمهما إلى قسمين :

القسم الأول في فضل العلم والعلماء ، ومتعلقات
ذلك وفيه ثلاثة أبواب : الباب الأول : في إيراد الأدلة
الدالة على فضل العلم والعلماء ، ووجوب توقيرهم
وإحترامهم ، والتحذير من بغضهم ، والآذَى
لبعضهم . الباب الثاني في بيان منشأ معاداتهم ،
ومعادات غيرهم من أهل البيت الكرام ، وحببة اللئام^(٢)
للئام ، والتحذير من موالات من عادى العلماء ،
ومشروعية هجره ، وتحقير أميره ، والأخذ بمعاليهم ،
والإعراض عن سفسافها^(٣) . الباب الثالث : في
آداب العلماء والمتعلمين منهم والآخذين عنهم .

القسم الثاني في فضل أهل البيت النبوي وشرفهم
العلي ، وفيه خمسة عشر ذكراً .

(١) كذا في : م ، ب ، وفي الاصل : (يراد مرادهم) ، وهو زيادة من
الناسخ .

(٢) في (م) : (اللام ، للام) ، وفي الاصل ، (ب) : (المليام) بقلب الهمزة
ياء ، وقد وافقت في الكتابة الخط الحديث ، وكنا تحقيق الهمزة في
المواضع القادمة .

(٣) كذا في الاصل ، م ، وفي ب : (سفسيفها) .

الأول : ذكر ' تفضيلهم بِمَا أُنْزِلَ اللهُ عزَّ وجلَّ من تطهيرهم وازهابِ الرجس عنهم ، وتحريمِ الصدقة عليهم [١٩] وعظيمِ شرفِ أصلهم واصطفائهم ، وانتهمُ خيرُ الخلقِ .

الثاني : ذكر ' أمره صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم بالصَّلَاةِ عليهم في إِمْتِثَالِ ما شرَّعهُ اللهُ من الصَّلَاةِ عليه ، ووجهُ الدَّلَالَةِ على إيجابِ ذلكَ في الصَّلَوَاتِ .

الثالث : ذكر ' التَّسْلِيمِ عليهم من ربِّ البريَّاتِ .

الرَّابِع : ذكر ' حُثِّهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم الأُمَّةَ على التَّمَسُّكِ بَعْدَهُ بِكِتَابِ رَبِّهِمْ ، وَأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِمْ ، وَأَنْ يُخْلَفُوهُ فِيهِمَا بِخَيْرٍ ، وَسُؤَالِهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِ الْحَوْضَ عَنْهُمَا ، وَسُؤَالِ رَبِّهِ عزَّ وجلَّ الأُمَّةَ ، كَيْفَ خَلَفُوا نَبِيَّهْ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم فِيهِمَا ؟ وَوَصِيَّتِهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم بِأَهْلِ بَيْتِهِ ، وَأَنْ اللهُ تَعَالَى أَوْصَاهُ بِهِمْ ، فَقَوْلُهُ : (اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ بَيْتِي خَيْرًا فَإِنِّي إِخَاصُكُمْ عَنْهُمْ غَدًا ، وَمَنْ أَكُنْ خَصِيمَهُ 'أَخْصَمَهُ' ، وَمَنْ 'أَخْصَمَهُ' دَخَلَ النَّارَ) (١) ، وَمَا جَاءَ مِنْ حُثِّهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم على حفظهم والتجاوز عن مَسِيئَتِهِمْ .

(١) سوف يُخْرَجُ هذا الحديث والاحاديث التي ترد بعده في مقدمة المؤلف عند ورودها في الجزء الثاني ، اي في فضل أهل البيت النبوي وشرفهم العلي .

الخامس : ذكر ' أَتَّهَمُ أَمَانَ ' للأمة ، وَأَتَّهَمُ كسفينة نوح عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ من ركبها نجا ومن تخلفَ عنها غرقَ ، وأنهم كباب حطّة في بني إسرائيل .

السادس : ذكر ' أَنْ رَحِمَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ موصولة ' في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنْ نَسَبَهُ وَسَبَبَهُ لا ينقطعان ، واختصاص ولد ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها وعنهم بِأَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبوهم وعصبتهم .

السابع : ذكر ' أَنْ اللهَ تعالى عزَّ وجلَّ ، وعده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ لا يعذبَ أهلَ بيته ، وَأَنْ لا يدخلهم [٢ظ] النَّيران ، وكلّفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بادخالهم الجنان ، وبشارتهم بها ، وقوله : (يَا بَنِي هَاشِمٍ إِنِّي قَدْ سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يجعلكم نَجَبَاءَ رُحَمَاءَ ، وسألتُهُ أَنْ يَهْدِيَ ضَالِّكُمْ ، ويؤمنَ خَائِفَكُمْ ، ويشبعَ جَائِعَكُمْ) ، وما خُصُّوا به من الكرامةِ بِالشَّفَاعَةِ فِي الْقِيَامَةِ .

الثامن : ذكر ' دَعَاةَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْبَرَكَةِ فِي نَسْلِ الْبَتُولِ وَالْمُرْتَضَى رضي الله عنهما ، وَأَنْ يخرجَ اللهُ مِنْهُمَا كَثِيرًا طَيِّبًا ، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعِيذُهَا بِكَ وَذَرِيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ، ودعائه لِعَلِيِّ رضي الله عنه بِمَثَلِ ذَلِكَ ، وَإِنَّ الْمَهْدِيَّ الْمَوْعُودَ بِهِ لَا قَامَةَ الدِّينِ آخِرَ الزَّمَانِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، ثم من نسلهما .

التاسع : ذكر الدلالة على ما شرع من حبهم ،
ووجوب ودّهم من الكتاب العظيم .

العاشر : ذكر الأحاديث الواردة في الحث
على حبهم ، وأَنَّهُ لا يدخل قلب رجل الإيمان حتّى
يُحبهم لله ولقرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه
وآله وسلم ، والتحذير من آذاهم ، وأنّ من آذاهم ، فقد
آذاهُ صلّى الله عليه وآله وسلم ، ومن آذاهُ ، فقد
آذا الله عزّ وجلّ .

الحادي عشر : ذكر التحذير من بغضهم وعداوتهم ،
وأَنَّهُ لا يبغضهم أحدٌ إلاّ أدخله الله النار ، وأَنَّهُ
لا يبغضهم إلاّ المنافق ، ولعن من ظلمهم وتحريم الجنة
عليه .

الثاني عشر : ذكر الحث على صلتهم ، وإدخال
السُّرور عليهم ، وأنّ عيادة بني هاشم فريضة ،
وزيارتهم نافلة ، وأنّ من اصطنع إلى أحد من أهل
بيته صلّى الله عليه وآله وسلم يدًا كافأه عليها يوم
القيامة ، وأنّ الله تعالى ملائكة سيّاحين في الأرض
وكلّوا [٣٠] بمعونة آل محمد صلّى الله عليه
وعليهم ، وأنّ الفضل والشرف والمنزلة والولاية
لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وذريّته .

الثالث عشر : ذكر ما درج عليه السلف من
توقيرهم وتعظيمهم ، واعترافهم بعظيم حقوقهم .

الرابع عشر : ذِكرُ شيءٍ مِمَّا أُخبرَ بهِ المصطفى
صلى الله عليه وآله وسلم مِمَّا حصلَ بعدهُ عليهم ،
وفيما أُصيبَ بهِ من الانتقام من أساء اليهم .

الخامس عشر : ذِكرُ ما يطلبُ لهم من الآداب
الزَكِيَّةِ والأَخلاقِ السَّنيَّةِ ، والهممِ العليَّةِ . وفقنا
اللهُ وإيَّاكم لسلوكِ سبيلِها والتَّحلي بِجميلِها .

وسميتها (جَوَاهِرِ الْعَقْدِينَ فِي فَضْلِ الشَّرَفِينَ
شَرَفِ الْعِلْمِ الْجَلِيِّ وَالنَّسَبِ الْعَلِيِّ) ، وقدِّمْتُ
الأوَّلَ ، لأنَّ الْعِلْمَ هُوَ الْإِمَامُ ، وختمْتُ بِالثَّانِي
لِحيازِهِ شَرَفَ الْخِتَامِ وَالْمَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ (١)
بذلك ، وينقذَ (٢) بهِ مِنَ الْمَهَالِكِ ، وباللهِ لَا سِوَاهُ
أَعْتَصِمُ ، وَأَسْأَلُهُ الْعَصْمَةَ مِمَّا يَعَصِمُ ، فهو حَسْبِي
ونعم الْوَكِيلُ .

(١) كذا في الاصل و (م) ، وفي ب : (ينفعنا) .

(٢) كذا في الاصل و (م) ، وفي (ب) : (ينقذنا) .

القسم الأول

في فضل العلم والعلماء ومتعلقات ذلك

وفيه ثلاثة أبواب

الباب الأول

في إيراد الأدلة الدالة على فضل العلم والعلماء ووجوب توقيرهم واحترامهم والتحذير من بغضهم والأذى لبعضهم

قد تظاهرت الآيات ، وصحيح الأخبار ، والآثار ، وتواترت الدلائل 'العقلية' والنقلية' ، وتوافقت على هذا الغرض الذي أشرنا إليه ، وعولنا (١) في هذا الباب عليه ، وإنّما نوردُ أشياءً من ذلك تنبيهاً على ما هنالك ، ليشرق قلب المؤمن [٣ظ] باليقين ، ويشرق صدر العدو اللعين ، ويُقدّرُ العقلاء علماء الشريعة حقّ قدرهم ، وتمتلي بآنوار ذلك صدورهم ، فنقول : قال تعالى : (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) (٢) ، وقال تعالى : (يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (٣) ، وهو من عطف الخاص على العام ، لأن العلماء أخص من المؤمنين ، ويكون المعنى أنّه

(١) في (ب) : وعولنا عليه في هذا الباب ، وما ذكرناه أولى .

(٢) سورة الزمر الآية : ٩ .

(٣) سورة المجادلة الآية : ١١ .

يرفع' المؤمنينَ على غير المؤمنينَ ، ويرفع' العلماءَ من المؤمنينَ على بقيَّة المؤمنينَ ، ولِذا جاءَ عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : يرفعُ اللهُ' اللّذينِ أوتوا العلمَ على اللّذينِ آمنوا درجات^(١) ، رواه' الدارمي ، وفي روايةٍ لغيره عن ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : (للعلماءِ درجاتٌ فوقَ درجاتِ^(٢) المؤمنينَ بسبعمئةٍ ، ما بين الدرجتينِ خمسمئةُ سنةً) .

وفي روايةٍ عنه' : (ما بين الدرجتينِ مائةُ عامٍ)^(٣) ، في مسند الدارمي عن الزهري قالَ : (فضلُ العالمِ على المجتهد - يعني في العبادة - مائةُ درجةٍ ، ما بين الدرجتينِ خمسمئةُ سنةً حُضرَ الفرسُ المضمِرُ السريع)^(٤) ، وقوله' : حُضرَ الفرسُ بضم الحاءِ المهملةِ يعني عدوه' .

وبهذا يتبينُ ما أُشيرَ إليه في قوله في الآية الأولى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)^(٥) . وقال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)^(٦) ، أي لأنَّ خشيةَ اللهِ إِنَّمَا تنشأُ عن العلمِ به ، وبصفاتِ ذاته ،

(١) ينظر كلام ابنِ عباسٍ في سنن الدارمي ٨٤/١ .

(٢) (درجات) : ساقطة من م ، ب ، .

(٣) هذا جزء من حديث أورده ابن جماعة ، وهو بتمامه : (العلماء فوق المؤمنين مائة درجة ما بين الدرجتين مائة عام) ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ص ٥ .

(٤) الحديث ذكره الدارمي عن الزهري السنن ٨٤/١ .

(٥) سورة الزمر الآية : ٩ .

(٦) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

وصفات فعله ، ومن خامر قلبه 'علم' ذلك أوره
 الخشية لله ، ولا تتم 'الخشية' بدون هذا العلم ، فاذا
 ضمنت إلى هذه الآية قوله 'تعالى : (أُولَئِكَ هُمُ
 خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (١) . الى قوله : (ذَلِكَ لِمَنْ
 خَشِيَ رَبَّهُ) (٢) ، [٤٥] حصل من مجموع ذلك (أن
 العلماء هم الذين يخشون الله تعالى ، وأن
 الذين يخشون الله تعالى هم خير البرية ، فينتج
 العلماء هم خير البرية) (٣) ، وكيف وهم ورثة
 الأنبياء كما يعلم مما سيأتي ؟ (فكما إنّه لا رتبة
 فوق رتبة النبوة ، فلا شرف فوق شرف وارث تلك
 الرتبة) (٤) . وقال تعالى : (فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ
 إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٥) . فأوجب على من لا
 يعلم سؤالهم ، والرجوع إليهم ، وقال تعالى : (شَهِدَ
 اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَلْوَا الْعِلْمِ
 الْآيَةِ) (٦) .

فبدأ سبحانه بنفسه وثنى بملائكته وثلاث بأهل
 العلم ، فناهيك بهذا شرفاً وجلالةً ونبلاً ، إذ لو كان
 ثم من هو أشرف من العلماء لقرنه الله تعالى باسمه
 واسم ملائكته ، كما قرن اسم العلماء .

(١) سورة البينة الآية : ٧ .

(٢) سورة البينة الآية : ٨ .

(٣) النص للبدر بن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٦ .

(٤) النص للبدر بن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٦ .

(٥) سورة النحل الآية : ٤٣ .

(٦) سورة آل عمران الآية : ١٨ .

قلتُ : والسِرُّ فيه أَنَّ الشَّهادةَ مُشتَقَّةٌ من الشُّهُودِ المقتضي لتحقُّقِ المشهودِ به عند من شهد ، وألوا العلمَ أكملُ النَّاسِ علماً بوحْدانيةِ الله عزَّ وجلَّ ، وسائرُ صفاته ، قد خامرَ هذا العلمُ قلوبهم بحيثُ لا يغيبُ عنها ، وذلكَ منشأُ جميعِ النعم ، فكان لهم هذه المنزلةُ ، وقالَ تعالى : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً) (١) ، فانظر الى تخصيصه تعالى للعلمِ بالأمرِ لحبيبه وأشرف خلقه بطلبِ المزيدِ منه مع عظيمِ ما أُنعمَ به عليه ممَّا لا يحيطُ به إلاَّ اللهُ تعالى ، لأنَّه أصلُ النعمِ كُلِّها ، فلو كان شيءٌ أشرفَ من العلمِ لأمرَ اللهُ حبيبهُ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ أَنْ يَسْأَلَهُ المزيدَ منه كما أمره أَنْ يستزيدَ من العلمِ ، فأعظمَ بهذه الرتبة !

وقالَ تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى [عظ] كثيرٍ مِمَّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (٢) ، فتأمَّلْ هذه الآياتَ ، وما شتملت عليه من أنواعِ الدَّلالاتِ على تفضيلِ العلمِ وأهله سيما الأخيرةُ ، فإنَّ الله تعالى آتى داودَ وسليمانَ عليهما الصلاةُ والسلامُ من نعمِ الدارينِ ما لا تنحصرُ (٣) ، ولم يذكر من ذلك في صدرِ هذه الآيةِ في مساقِ الامتنانِ عليهما ، وشكرهما الجزيلِ ما أُنعمَ

(١) سورة طه الآية : ١١٤ .

(٢) سورة النمل الآية : ١٥ .

(٣) كذا في : (م) وهو الأرجح ، وفي الاصل ، (ب) : (ينحصر) .

به إلا العلم ، ليبين أنه الأصل في النعم كلها ،
 (فَلَقَدْ كَانَ دَاوُدُ مِنْ أَعْبِدِ الْبَشَرِ) (١) ، كما في صحيح
 مسلم (٢) ، وذلك من آثار علمه ، وجمع الله له ولابنه
 سليمان عليهما السلام ما لم يجمعه لأحد ، وجعل
 العلم أصلاً لذلك كله ، وأشار داود وسليمان إلى
 هذا المعنى بقولهما : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا
 عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) (٣) ، لأن الله
 تعالى حكاه عنهما عقب قوله : (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ
 وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا) ، فأفهم أتهما شكرا بهذا
 الحمد ما آتاها إياه من أصل كل النعم الذي هو
 ما نالاه من العلم ، وأنه السبب في التفضيل .

قال التقي (٤) السبكي - عقب ذكر هذا المعنى - :
 وَإِنَّمَا قَالَ (وَقَالَا) بِالْوَاوِ دُونَ الْفَاءِ ، لِأَنَّهُ لَوْ أُتِيَ
 بِالْفَاءِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ : فَشَكَرًا ، وَيَكُونُ الشُّكْرُ
 هُوَ قَوْلُهُمَا ذَلِكَ لَا غَيْرَ ، فَعُدَلَ إِلَى الْوَاوِ لِمَا يُتَوَهَّمُ
 مِنَ الْاِقْتِصَارِ فِي الشُّكْرِ عَلَى ذَلِكَ ، وَلِيُشِيرَ إِلَى الْجَمْعِ

(١) المستدرک للحاکم (٢/٤٣٣) .

(٢) لفظه في صحيح مسلم (رقم ١١٥٩) « فصم صوم داود نبي الله صلى
 الله عليه وسلم فانه كان أعبد الناس » .

(٣) سورة النمل الآية : ١٥ .

(٤) هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن
 تمام السبكي تقي الدين أبو الحسن الشافعي ، ولد بسبكي من
 أعمال المنوفية سنة (٦٨٣هـ) ، ودرس في القاهرة ، والشام ، وأصبح
 فقيهاً وحافظاً ومفسراً وولي القضاء في الشام سنة (٧٣٩هـ) ، واعتل
 وإعاد إلى القاهرة وتوفي فيها سنة (٧٥٦هـ) . ينظر الدرر الكامنة
 ١٣٤/٣ - ١٤٢ ، الاعلام ١١٦/٥ .

في الإيتاء لهما بين العلم وقولهما ذلك المحقق لمقصود العلم من القيام بوظائف العبادة ، وكل خصلة حميدة ، فلذلك يُوخذ منه مسائل ، ذكر العلماء منها : (أن فضل العلم أفضل من فضل العبادة) (١) ، ومنها : (أن العلماء أفضل من المجاهدين) (٢) ، ولهذا كان مداد العلماء أفضل [و٥] من دم الشهداء ، وأعظم ما عند المجاهد دمه ، وأهون ما عند العالم مداده ، فما ظنك بأشرف ما عند العالم من المعارف والتفكر في آلاء الله تعالى ، وفي تحقيق الحق ، وبيان الأحكام ، وهداية الخلق ، ولذلك جعلوا ورثة الأنبياء ، وهذا معنى قوله تعالى : (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) (٣) انتهى .

قلت : وفي قوله تعالى لحبيبه صلى الله عليه وآله وسلم : (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) (٤) ، يُوخذ منه التفضيل المذكور في المسألتين ، وكذا مما قبله بضميمة ما تقدمت الإشارة إليه ، وسنورد من الآثار (٥) والأخبار ما يصرح بذلك .

(١) في مختصر جامع بيان العلم وفضله : (فضل العلم أعجب التي من فضل العبادة) ص ١٨ .

(٢) الحديث ذكره ابن عبد البر عن أبي هريرة ، وهو : (للأنبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ١٩ .

(٣) سورة النمل الآية : ١٦ .

(٤) سورة طه الآية : ١١٤ .

(٥) كذا في الاصل ، (ب) ، وفي (م) : (الاخبار والآثار) .

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ :
 (ذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 رَجُلَانِ : أَحَدُهُمَا عَابِدٌ ، وَالْآخَرُ عَالِمٌ ، فَقَالَ :
 فَضَّلْتُ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى
 أَدْنَاكُمْ) (١) . وَمِنْ ثَمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا ، وَحَتَّى الْحُوتُ
 لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ) (٢) . رَوَاهُ
 التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَرَوَاهُ الْبُزْجَارُ
 مُخْتَصِرًا مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ ، بَلَفْظَ (مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ
 يَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى الْحَيْتَانِ فِي الْبَحْرِ) (٣) .

وَجَاءَ مَطْوُلاً عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ سَلَكَ
 طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا
 إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا
 لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ
 يَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمِنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى
 الْحَيْتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ [٥٥] كَفَضْلِ
 الْقَمَرِ عَلَى الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ،

(١) الحديث رواه الترمذي بنفس السند ، صحيح الترمذي ١٥٧/١٠

(٢) الحديث رواه الترمذي وفيه (الارضين) مكان (الارض) ،
 و (معلم) مكان (معلّم) ، ١٥٧/١٠ ، وانظر ابن ماجه ٨٧/١

(٣) ورواه ابن ماجه عن أبي الدرداء بلفظ مغاير لهذا الحديث
 سنن ابن ماجه ٨٧/١

إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَاراً وَلَا درهماً إِنَّمَا وَرَثُوا العلمَ ، فمن أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظٍّ وَافِرٍ (١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان وصحَّحه ، وأحمد بنحوه باختصار ، وكذا الحاکم وصحَّحه ، والبيهقي ، ولفظه : (من غدا يريد العلمَ يتعلَّمه فتح الله له باباً إلى الجنة ، وفرشت له الملائكة أكنافها ، وصلتي عليه ملائكة السَّماء وحيتان البحر ، وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب في السماء الحديث ، وزاد في آخره ، موت العالم مصيبة لا تجبر ، وثلمة لا تنسد ، وهو نجم طمس ، وموت قبيلة أيسر من موت عالم) (٢) .

وأخرج الديلمي والحافظ عبد الغني منه عن البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً : (العلماء ورثة الأنبياء يحبُّهم أهل السماء ، ويستغفر لهم الحيتان في البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة) (٣) .

وللدارمي في مسنده عن مكحول رفعه : (إنَّ الله وملائكته وأهل سماواته وأرضه ، والنون في البحر يُصلُّون على مُعلِّمي النَّاسِ الخَيْر) (٤) .

(١) الحديث رواه ابن حنبل ١٩٦/٥ ، أبو داود ٢٨٥/٢ ، الدارمي ٨٣/١ ، ابن ماجة ٨١/١ .

(٢) ذكر آخر الحديث من قوله : موت العالم ٠٠٠ البخ محمد بن علي الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص ٩٥ .

(٣) ذكره الدارمي جزءاً من حديث عن ابن مكحول ، وهو بتمامه :

(فضل العالم على العابد كفضلي عن أدناكم ، ثم تلا هذه الآية :

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) إن الله وملائكته ٠٠٠ البخ) .

سنن الدارمي ٧٥/١ .

قلت : والصلاة من الله تعالى بمعنى الرحمة ، ومن الملائكة بمعنى الاستغفار المعبر به في الرواية الأخرى ، ولا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم من المخلوقات بالاستغفار والدعاء له حتى تقوم القيامة على ما أشارت إليه رواية الديلمي ، لأن العلم ينتفع به بعد موت العالم إلى يوم القيامة ، ولهذا كان ثوابه غير منقطع بموته كما سيأتي ، والله ليتنافس في دعوة من رجل صالح ، فكيف بدعاء الملائكة ؟ خصوصاً ملائكة السماء ، وقد اختلف في معنى وضع أجنحتها فقليل التواضع له ، وقيل النزول عنده والحضور معه ، وقيل التوقير والتعظيم له ، وقيل معناه : تحمله عليها فتعينه على بلوغ مقصده .

قلت : والأقرب كونه بمعنى ما ينظم هذه المعاني كلها ، كما يرشد إليه الجمع بين ألفاظ الروايات ، فسيأتي في رواية عن معاذ رضي الله عنه ما لفظه : (ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم) (١) .

وعن صفوان بن عسال المرادي (٢) قال : (أنبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو (٣) في المسجد

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٢٧ .

(٢) في (ب) : (رضي الله عنه) .

(٣) في (ب) : (وهو جالس في المسجد) ، وهذا مخالف لما جاء في رواية الحديث التي ذكرها الطبراني في الكبير ٦٤/٨ ، والشعراني في كتابه كشف الغمة ١٧/١ .

مُتَّكِئًا عَلَى بَرْدٍ لَهُ أَحْمَرٌ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ . فَقَالَ : مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ . إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَتُحَفِّهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا ثُمَّ (١) يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لِمَا يَطْلُبُ (٢) ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ بِرَجَالٍ الصَّحِيحِ .

وَأَمَّا الْهَامُ الْحَيَوَانَاتِ الْاسْتِغْفَارَ لَهُمْ ، فَقَدْ قِيلَ لَأَنَّهَا خُلِقَتْ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَمَنَافِعِهِمْ ، وَالْعُلَمَاءُ هُمُ الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ مَا يَحِلُّ مِنْهَا وَمَا يَحْرُمُ ، وَيُوصُونَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهَا ، وَنَفِي الضَّرَرِ عَنْهَا ، حَتَّى إِنْ مَا يَحِلُّ قَتْلُهُ مِنْهَا يُبَيِّنُونَ الْأَمْرَ فِيهِ بِإِحْسَانٍ الْقِتْلَةَ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُثْلَةِ ، فَكَانَ اشْتَغَالُهُمْ بِذَلِكَ هُوَ اللَّائِقُ بِشُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ .

قُلْتُ : وَيَنْشَأُ عَنْ فَهْمِ هَذَا أَنَّ بَنِي آدَمَ أَوَّلَى بِذَلِكَ فِي حَقِّ عِلْمَائِهِمْ ، لِأَنَّهُمْ أَحْوَجُ إِلَى الْعِلْمِ ، وَيَعُودُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوَائِدِهِ مَا لَا يَعُودُ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ ، فَيُسْتَفَادُ (٣) مِنْ ذَلِكَ الْإِشَارَةُ إِلَى حُثِّهِمْ [و] عَلَى الْإِشْتَغَالِ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَأَعْلَى مِنْهُ فِي الْقِيَامِ بِحَقِّ الْعُلَمَاءِ شُكْرًا لِنِعْمَةِ الْعِلْمِ ، فَأَقْلُ رَتْبَتِهِمْ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْحَيَوَانَاتِ الْعِجَاوَاتِ فِي هَدْيِهِمْ ، وَإِلَّا

(١) فِي (ب) : (و) بَدَلًا مِنْ (ثُمَّ) ، وَهُوَ خَطَأٌ ، لِأَنَّهُ مُخَالِفٌ لِرَوَايَةِ الْحَدِيثِ .

(٢) الْحَدِيثُ ذَكَرَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ ٦٤/٨ ، وَالشَّعْرَانِيُّ فِي كَشَفِ الْغَمَةِ ١٧/١ .

(٣) فِي (ب) : (وَيُسْتَفَادُ) .

فليسوا كالأَنعامِ (بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (١) .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (فضل العلم خيرٌ من فضل العبادة ، وخيرٌ دينكم الورع) (٢) رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (أفضلُ العبادةِ الفقه ، وأفضلُ الدينِ الورع) (٣) ، رواه الطبراني في معجمه الثلاثة ، وفي أسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى إمام ثقة لكنَّه سيء الحفظ .

وعن الحسن مرسلًا قال : (سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رجلين كانا في بني إسرائيل ، أحدهما كان عالمًا يصلي المكتوبة ، ثم يجلس فيعلم الناس الخير ، والآخر يصوم النهار ويقوم الليل أيُّهما أفضل ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فضل هذا العالم الذي يصلي المكتوبة ثم يجلس فيعلم الناس الخير على العابد الذي يصوم

(١) سورة الفرقان الآية : ٤٤ .

(٢) الحديث ورد في زوائد المعجمين ٢٠/١ ، وفي كشف الغمة ١٦/١ ، وابن عبد البر في مختصر جامع بيان العلم ص ١٧ .

(٣) المعجم الصغير للطبراني ١٢٤/٢ ، رواه عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن الشعبي عن ابن عمر . ورواه الشعراي في كشف الغمة ١٦/١ .

النهار ، ويقوم الليل كفضلي على أدناكم' (١) ، رواه الدرامي .

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لَأَنْ تَعْدُو فَتَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلَأَنْ تَعْدُو فَتَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ عُمَلٌ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ [٦٦ظ] رَكْعَةٍ) (٢) ، رواه ابن ماجة باسنادٍ حسنٍ .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من تعلم حديثين اثنين ينفع بهما نفسه أو يعلمهما غيره ، فينتفع بهما كان خيراً من عبادة ستين سنة) ، أخرجه الألباني في السنة له . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) (٣) رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي . وعن أبي هريرة رضي الله عنه مثله ، وزاد (ولكل)

(١) الحديث ذكره الدرامي في سننه ٨٢/١ ، مسند ابن حنبل ١٩٦/٥ .

(٢) الحديث ذكره ابن ماجة في سننه ٧٩/١ ، وهو موجود في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ١٨ ، كشف الغمة ١٧/١ .

(٣) صحيح الترمذي ١٥٤/١٠ ، سنن ابن ماجة ٨١/١ ، الفقيه والمتفقه ٢٤/١ .

شيءٍ عماد ، وعماد هذا الدين الفقه (١) ، (وما عبده الله بأفضل من فقه في دين) (٢) ، رواه الطبراني وغيره ، وأخرجه الخطيب في الجامع عن عطا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (ما عبده الله بشيءٍ أفضل من فقهه في الدين) (٣) ، وقال أبو هريرة : (٤) لأن أفقه ساعة أحب إلي من [أن] (٥) أحيي ليلة أصلّيها حتى أصبح) ، و (الفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد) (٦) ، و (لكل شيء دعامة ، ودعامة الدين الفقه) (٧) . وعن أبي هريرة أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة) (٨) ، رواه ابن عدي ، ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف .

(١) الفقيه والمتفقه ٢٥/١ .

(٢) الفقيه والمتفقه ٢١/١ .

(٣) الفقيه والمتفقه ٢١/١ ، مختصر جامع بيان العلم ص ١٨ ، الجامع ١٧٠/٢ .

(٤) الفقيه والمتفقه ٢٦/١ ، مختصر جامع بيان العلم ص ١٨ ، الجامع ١٧٠/٢ .

(٥) (أن) : ساقطة من الاصل .

(٦) صحيح الترمذي ١٠/١٥٤ ، الفقيه والمتفقه ٢٤/١ ، الجامع ١٧٠/٢ .

(٧) الفقيه والمتفقه ٢٥/١ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ١٨ ، الجامع ١٧٠/٢ .

(٨) الجامع ١٧٠/٢ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين حُضر الفرس سبعون عاماً) (١) ، وذلك إنَّ الشيطان يبدع البدعة [٧] للناس فيبصرها العالم فينهى عنها ، والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها ولا يعرفها ، رواه الأصبهاني في ترغيبه . قال الحافظ عبد العظيم المنذري : وعجز الحديث يشبه المدرج . وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (يُبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد ادخل الجنة ، ويقال للعالم اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت إليهم) (٢) ، وفي نسخة بما أحسنت أدبهم ، رواه البيهقي وغيره .

قلت : فلمَّا كان العالم يحسن إلى الناس بعلمه الذي أفنى فيه نفائس أوقاته أكرمه الله عز وجل بأن ينيله مقام الاحسان [إليهم] (٣) في الآخرة بشفاعته فيهم جزاءً وفاً ، وفي هذا من إنافة المنزلة وعظيم الكرامة ما لا يخفى .

(١) الدارمي ٨٤/١ .

(٢) الحديث رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٢٠/١ وفيه : « إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابد ادخل الجنة فانما كانت منفعتك لنفسك ، ويقال للعالم اشفع تشفع فانما كانت منفعتك للناس » ، وهو في كشف الغمة ١٨/١ .

(٣) (إليهم) : ساقطة من الاصل ، وهي زيادة من النسختين .

وعن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (يَشْفَعُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ : الأَنْبياءُ ، العُلَماءُ ، الشُّهَداءُ) (١) ، رواه ابن ماجه ، قال القرطبي في تفسيره عقيب ايراده : فاعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا كان يومَ القيامةِ ، يقولُ اللهُ تعالى للعابدينَ والمجاهدينَ : ادخلوا الجنةَ ، فيقولُ العلماءُ : بفضلِ علمنا تعبَدُوا وجاهدُوا ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجل : أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعُوا فيشفعون [٧ظ] ثم يدخلون الجنةَ) (٢) رواه أبو العباس الذهبي في العلم .

قلت : ويشهد ذلك في الجملة حديث مسلم وأبي داود والترمذي ، وصحَّحه عن أبي مسعود البدرى مرفوعاً : (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) (٣) ، وحديث ابن ماجه عن معاذ بن أنس : (مَنْ عَلَّمَ عِلْماً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهِ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْئاً) (٤) . وفي سند سهل بن معاذ

(١) سنن ابن ماجه ٢/١٤٤٣ ، وتذكرة السامع والمتكلم ص ٩ .

(٢) لم اتمكن من العثور عليه .

(٣) صحيح الترمذي ١٠/١٤١ ، سنن أبي داود ٢/٦٢٧ ، مسند ابن

حنبل ٤/١٢٠ .

(٤) سنن ابن ماجه ١/٨٨ .

حَسَنَ لَهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَاحْتَجَّ بِهِ ابْنُ خَزِيمَةَ وَالْحَاكِمُ
وغيرها ، وَحَدِيثُ مُسْلِمٍ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ : حَسَنٌ
صَحِيحٌ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ
لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجْرٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ
أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ
الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ
شَيْئًا) (١) ، وَوَجْهُ الْإِسْتِشْهَادِ أَنَّ أَعْمَالَ الْمَجَاهِدِينَ ، بَلْ
وَأَعْمَالَ جَمِيعِ الْعَامِلِينَ إِنَّمَا يَتَلَقَّوْنَهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ ،
فَيَكُونُ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجُورِ الْمَجَاهِدِينَ وَسَائِرِ
الْعَامِلِينَ عَلَى حَسَبِ الْإِنْتِفَاعِ بِعِلْمِهِمْ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ جَاءَهُ
أَجَلُهُ ، وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ ، لَقِيَ اللَّهَ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
النَّبِيِّينَ إِلَّا دَرَجَةُ النَّبَوَّةِ) (٢) ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي
الْأَوْسَطِ ، وَرَوَاهُ (٣) الدَّارِمِيُّ وَابْنُ السُّنِيِّ فِي رِيَاضِ
الْمُتَعَلِّمِينَ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ قَالَ الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ : فَقِيلَ هُوَ

(١) سنن الدارمي ١٠٧/١ ، صحيح الترمذي ١٤٢/١٠ .

(٢) الحديث رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص ٢٠ ،
والشعراني في كشف الغمة ١٧/١ .

(٣) كذا في (ب) ، وفي (م) الاصل : (روى) ، وما ذكرنا احسن بدليل
ما قبله .

ابن علي رضي الله عنهما ، وقيل ابن يسار^(١) البصري ،
فيكون مرسلًا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم : [٨و] (من جاءه ملك الموت ، وهو يطلب
 العلم ، ليحيي به الاسلام فبينه وبين الأنبياء في
 الجنة درجة واحدة) (٢) .

قلت : ويشهد لذلك حديث : (العلماء ورثة
 الأنبياء) (٣) ، وقد قدمناه . وممن رواه أحمد ، وأبو
 داود ، والترمذي ، وآخرون ، وصححه ابن حبان
 والحاكم وغيرهما ، وحسنه حمزة الكناني ، وله
 شواهد يتقوى بها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه إنه مر بسوق
 المدينة فوقف عليها فقال : (يا أهل السوق !
 ما أعجزكم ؟ قالوا : وما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال :
 ذاك ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 يُقسم وأنتم هاهنا لا تذهبون فتأخذون نصيبكم
 منه ! قالوا : وأين هو ؟ قال : في المسجد ، فخرجوا
 سراعًا ، ووقف أبو هريرة لهم حتى رجعوا ، فقال لهم :
 ما لكم ؟ فقالوا يا أبا هريرة ! قد أتينا المسجد فدخلنا
 فيه فلم نر فيه شيئًا ، فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم

(١) هو الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد التابعي ، كان امام أهل
 البصرة في زمانه ، ولد في المدينة سنة (٢١هـ) ، وتوفي سنة (١١٠هـ) .
 ترجمته في ميزان الاعتدال ١/٢٥٤ ، حلية الاولياء ٢/١٣١ .

(٢) سنن الدارمي ١/٨٥ ، وفيه (من جاءه الموت) بحذف (ملك) .

(٣) رواه ابن حنبل ٥/١٩٦ ، أبو داود ٢/٢٨٥ ، الدارمي ١/٨٣ .

في المسجد أحداً؟ قالوا : بلى رأينا في المسجد قوماً
يُصَلُّونَ ، وقوماً يقرأونَ القرآنَ ، وقوماً يتذاكرونَ
الحلالَ والحرامَ ، فقال لهم أبو هريرة : ويحكم فذاك
ميراثُ محمدٍ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم ! (١) ، رواه
الطبراني في الأوسط باسنادٍ حسن .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسولُ
الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم : (يُوزَنُ حَبْرُ الْعُلَمَاءِ
وَدَمُ الشُّهَدَاءِ ، فِيرَجَحُ ثَوَابُ حَبْرِ الْعُلَمَاءِ عَلَى ثَوَابِ
دَمِ الشُّهَدَاءِ) (٢) ، رواه الديلمي في مسنده من طريق
عبد العزيز بن أبي داود ، وهو صدوقٌ عابدٌ ربّما وهم ،
ورواه الحافظ [٨ظ] الخطيب البغدادي في تاريخه
ولفظه : (وَزَنَ حَبْرُ الْعُلَمَاءِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ فَرَجَحَ
عَلَيْهِمْ) (٣) . وللمنجنقي في رواية الكبار عن الأصغار ،
له عن الحسن البصري قوله : (مِدَادُ الْعُلَمَاءِ أَفْضَلُ
مِنْ دَمِ الشُّهَدَاءِ) (٤) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسولُ
الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم : (يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) زوائد المعجمين ٢١/١ .

(٢) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني ص ٩٥ ، وفيه
عن ابن عمر : (وَزَنَ حَبْرُ الْعُلَمَاءِ بِدَمِ الشُّهَدَاءِ فَرَجَحَ عَلَيْهِمْ) ،
ورواية اخرى : (يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء) .

(٣) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص ٩٥ .

(٤) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة عن أنس ص ٩٥ .

مداد العلماء ودم الشهداء (١) ، رواه ابن عبد البر (٢) في فضل العلم .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قرابة ، لأنه معالم الحلال ، ومنار سبل أهل الجنة ، وهو الأيسر (٣) في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين (٤) عند الإخلاء ، يرفع الله به قوماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم ، ويفتدى بأفعالهم وينتهي إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنتها تمسحهم ، يستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيثان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، لأن

(١) لم يذكره ابن عبد البر في فضل العلم ، وذكره البدر بن جماعة في تذكرة السامع والمتعلم ص ٨ .

(٢) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ، ولد في قرطبة سنة ٣٦٨ هـ ، رحل رحلات كثيرة في طلب العلم ، وأصبح من كبار المحدثين والمؤرخين ، وولي قضاء لشبونة وشنترين وتوفي بشاطبه سنة (٤٦٣ هـ) ترجمته في بغية المتلمس ٤٧٤ ، وفيات الاعيان ٣٤٨/٢ ، الاعلام ٣١٦/٩ .

(٣) كذا في النسخ الخطية ، وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله : (الآنس) ، ص ٢٧ .

(٤) كذا في الاصل وهو الصحيح لموافقة للنص ، وفي (ب) ، (م) . (الدين) .

العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصاييح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار ، والدراجات العلى في الدنيا والآخرة ، التفكر به يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف [٩٠] الحلال من الحرام ، هو إمام العمل والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء (١) ، رواه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب ، وابن عبد البر النعمري في كتاب العلم ، وقال : هو حديث حسن ، ولكن ليس اسناده قوياً وقد رويناه من طرق شتى موقوفاً انتهى .

وفي الصحيحين وغيرهما عن معاوية قال (٢) : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (مَنْ يَرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) (٣) ، رواه البزار والطبراني في الكبير ، ورجاله موثقون عن عبد الله ، يعني (٤) ابن مسعود مرفوعاً ، ولفظه : (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ فُقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمْهُ رَشْدَهُ) (٥) ، رواه

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٢٧ .

(٢) في (ب) : مكان (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) : (مرفوعاً) وهو خطأ .

(٣) الحديث ذكر في موطأ مالك ٩٠٧/٢ ، وسنن الدارمي ٦٥/١ ، وسنن ابن ماجه ٨٠/١٠ عن أبي هريرة ، مسند ابن حنبل ٣٠٦/١ ، ٣٣٤/٢ ، ٩٢/٤ ، ٦٣ ، ٦٥ ، المعجم الكبير للبراني ١٦٤/٩ ، ٢٤٢/١٠ .

(٤) يعني (: ساقطة من (ب)) .

(٥) الحديث ذكره الترمذي ١١٣/١٠ ، ١١٤ .

التَّرمذِي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً ، وقال الحسن : صحيحٌ ولفظه : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، انَّ من لم يفقهه في الدين لم يرد الله به خيراً) ، وقد أخرجه أبو نعيم ، وزاد في آخره : (ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به) (١) وكذا أخرجه أبو يعلى الا أنَّه قال : (ومن لم يتفقه لم يبل به) (١) ، ويشهد له ما في حديث أبي أمامة عند ابن ماجة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولا خير في سائر الناس) (٢) ، وهو قريب المعنى من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالماً ومتعلماً) (٣) ، رواه الترمذي وغيره ، وقال : حديث حسن ، ويؤخذ من حديث الصحيحين [٩ ظ] المتقدم أنَّ العناية الالهية ، وإن كانت غيباً عنا فلها شهادة تدل عليها ، ودلالة تهدي (٤) إليها ، فمن ألهمه الله التفقه في الدين فقد ظهرت عناية الله به ، وأنَّه أراد به خيراً عظيماً ، كما يؤذن به التنكير في هذا المقام .

(١ ، ١) ذكر البغدادى : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ومن لم يبال به لم يفقهه) الفقيه والمتفقه ص ٨ .

(٢) سنن ابن ماجة ٨٣/١ .

(٣) صحيح الترمذي ٩٨/٩ ، سنن الدارمي ٨٠/١ ، سنن ابن ماجة ١٣٧٧/٢ .

(٤) كذا في الأصل ، (م) ، وفي (ب) : (يهتدي بها إليها) ، وما ذكرناه اصح .

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من طلب علماً فأدركه كتب الله له كفلين من الأجر ، ومن طلب علماً فلم يدركه كتب الله له كفلاً من الأجر)^(١) رواه الطبراني في الكبير ، ورواته ثقة وفيهم كلام .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ)^(٢) ، رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ)^(٣) ، رواه مسلم وغيره ، قال البدر بن جماعة : (وأنا

(١) المعجم الكبير للطبراني ٦٨/٢٢ ، وهو في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٢٣ ، ورواية الدارمي (كان له كفلان في الأجر ، فأنه لم يدركه كان له كفل من الأجر) ، والمصنف نقل رواية الطبراني .

(٢) صحيح الترمذي ١١٦/١٠ والرواية فيه (من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع) ، وفي شرح المذهب ٣٢/١ ، ومختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨ موافق لرواية المصنف .

(٣) صحيح مسلم ٧٣/٥ ، وروايته : (إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له) ، وفي سنن النسائي ٦/٢١٠ موافق لما ذكره المؤلف ، وسنن أبي داود ١٠٦/٢ وفيه (إلا من ثلاثة أشياء) ، الدارمي ١١٤/١ .

أقول : إذا نظرتَ وجدتَ معاني الثلاثة موجودةً في مُعَلِّمِ الْعِلْمِ ، أَمَّا الصَّدَقَةُ فاقراؤه 'إِيَّاهُمْ الْعِلْمُ وَإِفَادَتُهُ' ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَصَلِّي وَحْدَهُ ' ، مَنْ يَتَصَدَّقْ عَلَيَّ هَذَا ، أَيْ بِالصَّلَاةِ مَعَهُ لِيَحْصَلَ لَهُ فَضِيلَةُ الْجَمَاعَةِ ، وَمُعَلِّمِ الْعِلْمِ يَحْصُلُ لِلطَّالِبِ فَضِيلَةُ الْعِلْمِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةٍ فِي جَمَاعَةٍ ، وَيُنَالُ بِهَا شَرَفَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْعِلْمُ الْمُنْتَفَعُ بِهِ فَظَاهِرٌ ، لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبًا لِاتِّصَالِ ذَلِكَ الْعِلْمِ إِلَى كُلِّ مَنْ انْتَفَعَ بِهِ ، وَأَمَّا الدُّعَاءُ الصَّالِحُ لَهُ فَالْمُعْتَادُ الْمُسْتَقْرَأُ عَلَى السَّنَةِ أَهْلَ الْعِلْمِ . وَالْحَدِيثُ قَاطِبَةُ الدُّعَاءِ لِمُشَايخِهِمْ [١٠] وَأُثْمَتُهُمْ وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَدْعُونَ لِكُلِّ مَنْ يُذَكَّرُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ الْعِلْمِ ، وَرُبَّمَا يَقْرَأُ بَعْضُهُمُ الْحَدِيثَ بِسَنَدِهِ ، فَيَدْعُو لِجَمِيعِ رِجَالِ السَّنَدِ (انتهى) (١) .

قلت : وعندي له 'تتمة' ، فَأَمَّا مَا حَاوَلَهُ مِنْ أَنْ يَقْرَأَ الْعِلْمُ وَإِفَادَتُهُ صَدَقَةً ، فَقَدْ وَرَدَ النَّصُّ بِأَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ . فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً : (أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْمًا ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ) (٢) ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

فَإِنْ قِيلَ تَعْلِيمُهُ قَدْ انْقَضَى بِمَوْتِهِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مِنَ الصَّدَقَةِ الْجَارِيَةِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ ؟ قلت :

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) سنن ابن ماجه ٨٩/١ .

ذلكَ المتعلمِ وكذا تعليم كلِّ معلمٍ تعلَّم منه' بواسطة - فيما يأتي - مُتسبِّبٌ عن تعليمه ، فعلمه غيرَ منقطعٍ ، وكذا تأليفه في العلمِ وتدوينه .

وأما ما ذُكر من اعتادَ الدعاءَ للمشايخ إلى آخره ، فقد يُقالُ إنَّه ليسَ في معنى دعاءِ الولدِ لوالده ، لأنَّ الوالدَ يُثَابُ على نفسِ دعاءِ ولده ، لتسبُّبه في إيجاده ، فكانَ له مثلُ ثوابِ عمله . فأما المشايخَ فينتفعونَ بالمدعو به إذا استجبتِ الدَّعوةُ إلاَّ أنْ يكونَ ذلكَ المعلمُ قد سَنَّ للمتعلِّم منه' الدُّعاءَ لمشايخه ، وورثته' إيَّاه' ، فله' ثوابُ التَّسبُّبِ أيضاً ويكونُ دوامه' بدوامِ المتعلِّم وإنْ كثرتِ الوسائطُ كما سبقَ .

وعن ثعلبة بن الحكم الصحابي رضي الله عنه' قال : قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (يقولُ الله عزَّ وجلَّ للعلماءِ يومَ القيامةِ إذا قعدَ على كرسيِّه لفصلِ عبادِهِ : إني لم أجعلْ علمي وحكمي فيكم إلاَّ وأنا أريدُ أنْ أغفرَ لكم على ما كانَ فيكم ولا أُبالي) (١) ، رواه الطَّبْراني في الكبير ، ورواته ثقاتٌ ، ورواه أيضاً بنحوه من حديث أبي موسى [١٠٠ظ] بسندٍ ضيفٍ .

وعن سخْبَرَةَ رضي الله عنه' عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال : (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ كَانَ

(١) المُعْجَمُ الْكَبِيرُ ٧٨/٢ ، وفيه (على كرسيه لقضاء عبادِهِ) ، مكان (على كرسيه لفصل عبادِهِ) .

كَفَّارَةٌ لِمَا مَضَى (١) ، رواه الترمذي هكذا ،
والطبراني في الكبير مطولاً ، وقال الترمذي : إنَّه
ضعيفُ الإسنادِ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم : (خُصِلَتَانِ لَا
تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ حَسَنٍ سَمْتٌ وَفِقَةٌ فِي
دِينٍ) (٢) ، رواه الترمذي ، وقال : حديثٌ غريبٌ .

وعن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : (العالمُ أمينٌ الله في
الأرضِ) (٣) ، رواه ابن عبد البر .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : (العلماءُ أُمْنَاءُ الرُّسُلِ
عَلَى عِبَادِ اللَّهِ) (٤) ، رواه العقيلي في الضعفاء .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : (الفقهاءُ أُمْنَاءُ الرُّسُلِ
مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا وَيَتَّبِعُوا السُّلْطَانَ ، فَإِذَا فَعَلُوا
ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ) (٥) ، رواه العسكري بسندٍ ضعيفٍ ،

(١) صحيح الترمذي ١١٧/١٠ ، ورواية الطبراني في الكبير ١٦٤/٧ :
(ما من عبد يطلب العلم إلا كان كفارة ما تقدم) .

(٢) صحيح الترمذي ١٠٦/١٠ .

(٣) مختصر جامع العلم وفضله ص ٢٦ .

(٤) جزء من حديث ذكره الشعراي في كشف الغمة عن جميع الامة ص ١٩ .

(٥) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٨٧ وفيه (العلماء ٠٠٠ الخ) .

والإلكاني في كتاب السُّنَّة لَهُ ، وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم : (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى الْخُلَفَاءِ مِنِّي وَمِنْ أَصْحَابِي وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي ، هُمْ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ عَنِّي فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ) (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم : (اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ ؟ قَالَ : الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي يَرَوْنَ أَحَادِيثِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ) (٢) ، رواه الطَّبْرَانِي فِي الْأَوْسَطِ .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم : (الْعُلَمَاءُ خُلَفَاءُ الْأَنْبِيَاءِ) (٣) ، رواه الْبَزْزَارُ وَرِجَالُهُ مُوْثُقُونَ [١١٠] اِشْتَهَرَ حَدِيثُ : (يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمُ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ) (٤) . وَقَدْ أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِي فِي الْجَامِعِ مَعَ رَوَايَتِهِ عَنْ عِيسَى بْنِ صَبِيحٍ قَوْلُهُ : إِنَّهُ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

(١) زوائد المعجمين ٢١/١ ، مع اختلاف في الالفاظ .

(٢) رواه ابن عبد البر في مختصر جامع بيان العلم وفضله مع اختلاف في اللفظ ص ٢٤ ، كشف الغمة عن جميع الأمة للشمراني ١٨/١ ، زوائد المعجمين ٢١/١ .

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص ٦ .

(٤) رواه البيهقي في مناقب الشافعي ٧/١ ، ولفظه : (يرث هذا العلم من كل خلف . . . الخ) ، وهو بلفظه ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ١٦٣/١ .

وسلّم ، قالَ الحافظ الخطيب البغدادي : (وهذه شهادة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأنّهم أعلام الدّين وأئمة المسلمين ، لحفظهم الشريعة من التحريف وانتحال الباطل ، ورد تأويل الجاهل ، وإنّه يجب الرجوع إليهم ، والمعول في أمر الدّين عليهم) (١) انتهى .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : (الحكمة تزيد الشريف شرفاً ، وترفع العبد المملوك حتّى يجلس في مجالس الملوك) (٢) ، رواه أبو نعيم في الحلية من حديث الحسن ، وقيل إنّه موقوف على أنس ، أو من كلام الحسن ، بلّي يروى عن مالك (٣) بن دينار قال : قرأت في بعض كتب الله ، فذكره . وقال ابن عباس في قوله تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ) (٤) ، قال : هي معرفة الحلال والحرام ، وأخرج الالكاني في كتاب السنّة عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) الجامع ١/١٦٣ .

(٢) الحديث في الفقه والمتفقه بسنده ص ٣١ ، وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ١٦ ، ورواه الدارمي عن وهب بن منبه نصيحة لولده ضمنها هذا الحديث ، سنن الدارمي ١/٩٠ .

(٣) هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري ، من موالي اسامة بن لؤي القرشي ، وهو من رواة الحديث كان عالماً ورعاً متصوفاً ، يأكل من كسب يده ، حيث يكتب المصاحب بالاجرة ، توفي بالبصرة سنة (١٣١هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٢/٣٥٧ - ٣٨٩ ، وفيات الاعيان ١/٤٤٠ ، تهذيب التهذيب ١/١٤ ، الاعلام ٦/١٣٤ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٦٩ .

قال : (النّظرُ الى الرّجل من أهل السّنة يدعو اليها ،
وينهى عن البدعة عبادة) . وقال الامام الشافعي
رحمه الله : (كلّما رأيت رجلاً من أصحاب الحديث
فكأنّما رأيت رجلاً من أصحاب النّبي صلّى الله
عليه وآله وسلّم) (١) ، أخرجه البيهقي . وقال علي
رضي الله عنه في وصيته لكميل بن زياد : (يا كميل !
العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس
المال ، قال : ومحبّة العلم دين يودّان به يكسبه
الطّاعة في حياته ، وجميل الاحدوثة بعد مماته ،
المال تنقصه [١١ ظ] النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ،
العلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل ! مات
خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي
الدّهر ، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة) (٢) . وقال علي رضي الله عنه أيضاً :
(كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ، ويفرح
إذا نسب اليه ، وكفى بالجهل ذماً أن يتبرأ منه
من هو فيه) (٣) .

وقال وهب بن منبه (٤) : يتشعّب من العلم

-
- (١) مناقب الشافعي للبيهقي ٤٧٧/١ .
(٢) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ١٦٩ ، الفقيه والمتفقه ص ٥٠ .
(٣) القول موجود في شرح المذهب ٣٣/١ .
(٤) هو وهب بن منبه الابناوي الصنعاني الذماري ، كان من كبار
المؤرخين ، وعالم بأساطير الاولين ، أصله من أبناء الفرس الذين بعث
بهم كسرى الى اليمن ، ولد بصنعاء سنة (٣٤هـ) ، وولاه عمر بن
عبد العزيز قضاءها ، وقد حبس في أواخر أيامه وامتنح ومات
بالتعذيب ، ترجمته في حلية الاولياء ٢٣/٤ ، شذارت الذهب ١٥٠/١
الاعلام ١٥٠/٩ .

الشَّرَفُ ، وإنْ كَانَ صاحبه دنيئاً ، والعِزُّ وإنْ كَانَ مهيناً ، والقربُ وإنْ كَانَ قصيماً ، والغنى وإنْ كَانَ فقيراً ، والنبْلُ وإنْ كَانَ حقيراً ، والمهابةُ وإنْ كَانَ وضيعاً (١) . وقال أبو الأسود (٢) الدَّوْلِيُّ التابعي الجليلُ : (لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزَّ مِنَ الْعِلْمِ ، الْمُلُوكُ حُكَّامٌ عَلَى النَّاسِ ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ) (٣) . وقال سالم (٤) بنُ أَبِي الْجَعْدِ : اشتُراني مولاي بثلاثمائة درهمٍ وأعتقني ، فقلتُ : بآية حرفة أحترف ؟ فاحترفتُ بالعلمِ ، فما تَمَّتْ لي سَنَةٌ حَتَّى أَتَانِي أميرُ الْمَدِينَةِ زائراً فلم أَدْنُ لَهُ . ومن فضلِ العلمِ أَنَّ الْهَدَّهْدَ مَعَ قِلَّةِ خَطَرِهِ أَجَابَ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَعَ عُلُوِّ مَرَاتِبِهِ بِصَوْلَةِ الْعِلْمِ وَقُوَّتِهِ فِي قَوْلِهِ : (أَحَطَّتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) (٥) مَعَ قِلَّةِ الْإِكْتِرَافِ بتهديدهِ ووعيدهِ .

(١) شرح المذهب ١/٣٣ .

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدَّوْلِيُّ ، من العلماء المشهورين ويعد أول من اشتغل بعلم النحو ، سكن البصرة وتولى إمارتها زمن الإمام علي ، وتوفي بها سنة ٦٩ هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان ١/٢٤٠ ، إنباء الرواة ١/١٣ ، حاشية الخضري على ابن عقيل ١/١١ ، الاعلام ٣/٣٤٠ .

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠ .

(٤) هو سالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني الأشجعي مولاها الكوفي ، كان محدثاً ثقة إلا أنه يرسل توفي سنة (٩٧ هـ) . ترجمته في ميزان الاعتدال القسم الثاني ص ١٠٩ ، تهذيب التهذيب ٣/٣٤٢ ، تقريب التهذيب ١/٢٧٩ .

(٥) سورة النمل الآية : ٢٢ .

قال الامام النّووي^(١) في مقدمة شرح المهدب^(٢) :
 إنّ الخطيب الحافظ أبا بكر البغدادي روي في كتابه
 كتاب الفقيه أحاديث وآثار كثيرة بأسانيدھا المطرقة
 منها : عن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله
 صلّى الله عليه وآله وسلّم [١٢و] : (إذا مررتُم
 برياض الجنّة فارتعوا ، قالوا : يا رسول الله ! وما
 رياض الجنّة ؟ قال : حلق الذّكر فإنّ الله
 سيّارات من الملائكة يطلبون حلق الذّكر ، فإذا
 أتوا عليهم حفّوا بهم)^(٣) .

وعن عطا قال : (مجالس الذّكر هي مجالس
 الحلال والحرام ، كيف نشترى ونبيع ونصلّي
 ونصوم وننكح ونطلّق وأشباه ذلك)^(٤) .

وعن ابن عمر عن النّبي صلّى الله عليه وآله
 وسلّم : قال : (مجلس فقه خير من عبادة ستين
 سنة)^(٥) .

(١) هو ابو زكريا يحيى بن شرف الشافعي ، وله بنوى سنة ٦٣١هـ
 وانتقل منها الى دمشق ، ودرس فيها وأصبح من العلماء الاعلام
 وصنف كثيراً من الكتب ، وتوفي سنة (٦٧٦هـ) . ترجمته في اول
 كتابه المجموع في شرح المهدب ٣/١ .

(٢) ينظر شرح المهدب ٣٥/١ .

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١٢/١ ، شرح المهدب ٣٥/١ .

(٤) الفقيه والمتفقه ١٣/١ ، شرح المهدب ٣٥/١ .

(٥) نفس المصدر ١٤/١ ، شرح المهدب ٣٥/١ .

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (يسيرُ الفقه خيرٌ من كثيرِ العبادة) (١) .

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (أفضلُ العبادةِ الفقه) (٢) .

وعن أبي الدرداء : (ما نحنُ لولا كلماتُ الفقهاء) (٣) .

وعن علي رضي الله عنه : (العالمُ أعظمُ أجراً من الصائمِ القائمِ الغازي في سبيلِ الله) (٤) .

وعن أبي ذرٍّ وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا : (بابٌ من العلمِ نتعلمه أحبُّ إلينا من ألفِ رَكعةٍ تطوعاً ، [(٥) وباب من العلمِ نعلمه نعمل به أو لم نعمل به أحبُّ إلينا من مائةِ رَكعةٍ تطوعاً]) (٦) . وقالا : سمعنا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (إذا جاءَ الموتُ طالبَ علمٍ ، وهو على هذهِ الحالةِ ماتَ وهو شهيدٌ) (٧) .

(١) نفس المصدر ١٤/١ ، ١٥ شرح المذهب ٣٥/١ ، مجمع البحرين في

زوائد الصحيحين ٢٠/١ وفيه قليل الفقه خير ٠٠٠ الخ .

(٢) الفقيه والمتفقه ٢١/١ ، شرح المذهب ٣٦/١ .

(٣) شرح المذهب ٣٦/١ ، الفقيه والمتفقه ٣٦/١ .

(٤) شرح المذهب ٣٦/١ .

(٥) ما بين المعوقين زيادة عن (م) ، (ب) ، وهو ساقط من الأصل بسبب

انتقال النظر .

(٦) الفقيه والمتفقه ١٦/١ ، شرح المذهب ٣٦/١ .

(٧) الفقيه والمتفقه ١٦/١ ، شرح المذهب ٣٦/١ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : (لَأَنْ أَعْلَمَ بِأَبَا
مِنَ الْعِلْمِ فِي أَمْرٍ وَنَهْيٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ سَبْعِينَ غَزْوَةً فِي
سَبِيلِ اللَّهِ) (١) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه : (مَذَاكِرَةُ الْعِلْمِ
سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ) (٢) .

وعن الحسن البصري قال : (لَأَنْ أَتَعَلَّمَ بِأَبَا مِنْ
الْعِلْمِ فَأَعْلَمَهُ مُسْلِمًا [١٢ ظ] أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ
لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (٣) .

وَعَنْ مَكْحُولٍ (٤) : (مَا عُبِدَ اللَّهُ بِأَفْضَلٍ مِنْ
الْفَقْهِ) (٥) .

وعن الزُّهْرِي (٦) : (مَا عُبِدَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْفَقْهِ) (٧) .

وعن سعيد بن المسيب قال : (لَيْسَتْ عِبَادَةُ الرَّجُلِ
بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ ، وَلَكِنْ بِالْفَقْهِ فِي دِينِهِ ، يَعْنِي :
لَيْسَ أَعْظَمُهَا وَأَفْضَلُهَا الصَّوْمُ بَلْ الْفَقْهُ) (٨) .

-
- (١) الفقيه والمتفقه ١٦/١ ، شرح المذهب ٣٦/١ .
(٢) الفقيه والمتفقه ١٦/١ ، شرح المذهب ٣٦/١ .
(٣) الفقيه والمتفقه ١٦/١ ، شرح المذهب ٣٦/١ .
(٤) هو أبو عبد الله مكحول بن أبي مسلم الهذلي مولاهم ، أصله من
كابل ، وهو فقيه وحافظ ، توفي سنة (١١٣هـ) .
(٥) الفقيه والمتفقه ٢٣/١ ، شرح المذهب ٣٦/١ .
(٦) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، وهو أعلم الحفاظ
توفي سنة (١٢٢هـ) .
(٧) الفقيه والمتفقه ٢٣/١ ، شرح المذهب ٣٦/١ ، مختصر جامع بيان
العلم ص ١٨ .
(٨) شرح المذهب ١٦/١ .

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي عدرة : (أقرب النَّاسِ من درجة النبوة أهلُ العلم ، وأهلُ الجهاد ، فالعلماءُ دلّوا النَّاسَ على ما جاءت به الرُّسُلُ ، وأهلُ الجهاد جاهدوا على ما جاءت به الرُّسُلُ) (١) .

وعن سفيان (٢) بن عيينة : (أرفعُ النَّاسِ عندَ الله منزلةً من كانَ بينَ الله وبينَ عباده ، وهم الرُّسُلُ والعلماءُ) (٣) .

وعن سهل (٤) التستري : (مَنْ أرادَ النَّظَرَ الى مجالسِ الأنبياءِ فليَنظر الى مجالسِ العلماءِ ، فاعرفوا لَهُم ذلك) (٥) .

(١) شرح المذهب ١/٣٦ .

(٢) هو ابو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي ، ولد في الكوفة سنة (١٠٧هـ) وسكن مكة كان محدثاً حجة وحافظاً ثقة ، واسع العلم عظيم القدر ، توفي في مكة سنة (١٩٨هـ) ترجمته في صفة الصفوة ٢/١٣٠ ، وفيات الاعيان ١/٢١٠ ، تاريخ بغداد ١٧٤ ، حلية الاولياء ٧/٢٧٠ ، الاعلام ٣٣/١٥٩ .

(٣) شرح المذهب ١/٣٦ .

(٤) هو ابو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أحد أئمة الصوفية والمتكلمين في علوم الاخلاص والرياضيات وعيوب الافعال ، توفي سنة (٢٨٣هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ١/١٨٩ ، الاعلام ٣/٢١٠ .

(٥) شرح المذهب ١/٣٧ .

وعن سفيان^(١) الثوري والشافعي : (لَيْسَ شَيْءٌ
بَعْدَ الْفَرَائِضِ أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ)^(٢) .

وعن أحمد بن حنبل ، وقيل له : (أي شيء أحبُّ
إليك ؟ أجلسُ بالليلِ أنسخَ ، أو صلي تطوعاً ، قال :
نسخُكَ تعلمُ به أمرَ دينِكَ فهو أحبُّ)^(٣) انتهى .

ما نقله الإمام النووي رحمه الله ، وقد ترجم عليه
بترجيح الاشتغال بالعلم على الصلاة والصيام
وغيرهما من العبادات القاصرة على فاعليها ، وصدَّره
بالإشارة إلى شيء من الآيات والأحاديث المتقدمة ، ثم
قال : (فهذه أحرفٌ من أطرافِ ما جاء في ترجيح
الاشتغال بالعلم على العبادة ، وجاء عن جماعات من
السلفِ ممَّنْ أذكَّره ' نَحْوُ ' مَا ذَكَرْتَهُ ' ، قال^(٤) :
والحاصلُ [١٣] أَنَّهُمْ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْإِشْتَغَالَ
بِالْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْإِشْتَغَالِ بِنَوَافِلِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ
والتَّسْبِيحِ ، ونحو ذلك من نوافل عبادات البدن ،
قال : ومن دلائله سوى ما سبقَ أَنَّ نَفْعَ الْعِلْمِ يعمُ
صَاحِبَهُ وَالْمُسْلِمِينَ ، والنَّوَافِلُ الْمَذْكُورَةُ مُخْتَصَّةٌ

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور
ابن عبد مناة ، ولد سنة (٩٧هـ) كان عالماً محدثاً مشهوراً ، توفي في
البصرة سنة (١٦١هـ) ترجمته في الحلية ٣٥٦/٦ ، تاريخ بغداد
١٥١/٩ ، الاعلام ١٥٨/٣ .

(٢) شرح المذهب ٣٤/١ - ٣٦ .

(٣) الفقيه والمتفقه ١٧/١ ، شرح المذهب ٣٦/١ .

(٤) (قال) : ساقطة من (ب) .

به ، ولأنَّ العلمَ مُصَحَّحٌ لغيره من العبادات مُفْتَقِرٌ
إليه ، ولا ينعكسُ ، ولأنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء ، ولا
يُوصَفُ المُتَعَبِّدُونَ بذلك ، لأنَّ العابدَ تابعٌ للعالمِ
مقتدٍ به مقلِّدٌ له في عبادته وغيرها ، واجبٌ عليه
طاعتهُ ولا ينعكسُ ، ولأنَّ العلمَ تبقى فائدتهُ وأثره
بعدَ صاحبه ، والنوافلُ تنقطعُ بموتِ صاحبها ، ولأنَّ
العلمَ صفةٌ لله تعالى ، ولأنَّ العلمَ الَّذِي الكَلامُ فيه
فرضٌ كفايةٌ ، فكانَ أفضلُ من النَّافِلَةِ ، وقد قالَ
إمامُ (١) الحَرَمينِ رحمهُ الله في كتابه الغيَاثي : (فرضُ
الكفايةِ أفضلُ من فرضِ العينِ من حيثُ إنَّ فاعلهُ
يسدُّ مسدَّ الأُمَّةِ ، ويسقطُ الحرجُ عن الأُمَّةِ ،
وفرضُ العينِ قاصِرٌ عليه) (٢) . انتهى ما قاله
النووي .

قلتُ : قد وافقَ [قول] (٣) إمامِ الحَرَمينِ في ذلك
قولَ والده الشيخِ أبي محمد (٤) في كتابه المحيطُ :
للقائمِ بفرضِ الكفايةِ مزيَّةٌ على القائمِ بفرضِ العينِ

(١) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني ،
الملقبُ بإمامِ الحَرَمينِ ، اعلم المتأخرين من أصحابِ الشافعي ، ولد في
جوين أحد مدن فارس ، ورحل إلى بغداد ، ثم سافر إلى مكة ، وبقي
فيها أربع سنين ، ثم ذهب إلى المدينة فافتى ودرس ، ثم ذهب إلى
بلده نيسابور وتوفي هناك سنة (٤٧٨هـ) ، ترجمته في وفيات الاعيان
٢٨٧/١ ، مفتاح السعادة ٤٤٠/١ ، الاعلام ٣٠٦/٤ .

(٢) النص نقله المؤلف من كتاب شرح المذهب ٣٧/١ .

(٣) (قول) : زيادة من (م) ، (ب) .

(٤) أي قول والده امام الحَرَمين ، عبد الله بن يوسف .

انتهى . وقد قالَ بذلكَ أيضاً الاستاذُ أبو إسحاق
الاسفراييني^(١) في شرح كتاب الترتيب . وكذا نقل
الشيخ أبو علي السنّجي^(٢) أوّل شرح التلخيص عن
طوائف من المحققين أنّ فرض الكفاية أهم من فرض
الأعيان ، والاشتغال به أفضل من الاشتغال بأداء فرض
العين ، وعبارة الامام في الغياثي [١٣ ظ] أفضل ، ولهذا
إعترض الزركشي^(٣) تبعاً لشيخه البرماوي^(٤) على
من نقل عنه كالتّووي ، وعن غيره من المذكورين

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، نشأ
ودرس في اسفرايين بين نيسابور وجرجان ، ثم رحل الى نيسابور
ودرس فيها ورحل الى خراسان وبعض انحاء العراق ، واصبح فقيهاً
واصولياً له عدة مصنفات ، توفي سنة (٤١٨هـ) في نيسابور . ترجمته
في وفيات الاعيان ٤/١ ، شذرات الذهب ٣/٢٠٩ ، طبقات السبكي
١١١/٣ ، الاعلام ٥٩/١ .

(٢) هو أبو علي الحسين بن شعيب بن محمد السنّجي ، ينتسب الى
سنج قرية من قرى مرو ، كان فقيها من فقهاء الشافعية في مدينة
مرو ، توفي فيها سنة (٤٢٧هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/١٤٥ ،
الاعلام ٢/٢٥٨ .

(٣) هو أبو عبدالله بدرالدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي كان
فقيهاً عالماً اصولياً له عدة مصنفات ، توفي سنة (٧٩٤هـ) .
ترجمته في الدرر الكامنة ٣/٣٩٧ ، شذرات الذهب ٦/٣٣٥ ، الاعلام
٢٨٦/٦ .

(٤) هو أبو عبدالله شمس الدين محمد بن عبدالدائم بن موسى النعيمي
العسقلاني البرماوي ، نسبة الى (برمة) من محافظة الغربية بمصر ،
ولد في مصر سنة (٧٦٣هـ) وتربى وتعلم فيها واصبح عالماً بالفقه
والحديث سافر الى دمشق وتصدر للافتاء ، وتوفي في القدس سنة
(٨٣١هـ) ، ترجمته في البدر الطالع ٢/٨٨١ ، الضوء اللامع ٧/٢٨٠ ،
الاعلام ٧/٦٠ .

كابن السَّبكي في جمع الجوامع أن فرض الكفاية أفضل من فرض العين ، قالوا : وصواب النقل عنهم أن القيام به أفضل كما وقع في عباراتهم ، لا أنه نفسه أفضل .

قلت : وفي قول النووي : (من حيث إن فاعله يسد مسد الأمة) (١) ، دلالة ظاهرة على أن المراد من فرض الكفاية فعل المكلف الذي كلفه به الشارع ، وهو متعلق الثواب ، وهو ما حصل في الخارج من قيام المكلف بذلك الفرض ، فوصف الاتيان به بالأفضلية إنما هو من حيث كون المأتي به أفضل من هذه الحيثية المخصوصة ، فنبه الامام النووي بما عبّر به على أنه مراد إمام الحرمين ، ولهذا لم يعرج شيخنا محقق العصر الجلال (٢) المحلي في شرحه لجمع الجوامع على هذا الاعتراض من شيخه البرماوي .

قلت : وفي قول النووي أيضاً من حيث إن فاعله الى آخره ، دلالة على أنه ليس أفضل من فرض

(١) شرح المنهذب ٣٧/١ .

(٢) هو محمد بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن هاشم المحلي ، نسبة للمحلة الكبرى في مصر ، ولد في القاهرة سنة (٧٩١هـ) ودرس فيها واصبح عالماً ومفسراً واصولياً مشهوراً ، عُرِضَ عليه القضاء الاكبر وامتنع ، له مؤلفات كثيرة ، توفي في القاهرة سنة (٨٦٤هـ) . ترجمته في شذرات الذهب ٣٠٣/٧ ، حسن المحاضرة ٢٥٢/١ ، الضوء اللامع ٣٩/٧ ، الاعلام ٢٣٠/٦ .

العين مطلقاً ، بل من هذه الحيثية فقط ، ولذا قال شيخنا الجلال المحلي : والمتبادر الى الأذهان - وإن لم يتعرّضوا له فيما علمت - أن فرض العين أفضل لشدة اعتناء الشارع به بقصد حصوله من كل مكلف في الأغلب انتهى .

ويشهد لذلك قول أصحابنا : إن قطع الطّواف المفروض لفعل سنة أو صلاة جنازة مكروه ، وعلّوه بأنّه لا يحسن ترك فرض العين لسنة أو فرض كفاية ، كما ذكره الشّيخان وغيرهما ، ونص إمامنا الشافعي على ذلك في الأم^(١) [١٤و] لئلا يقطع فرضاً لنفل أو فرض كفاية انتهى .

ووجهه ما أشار إليه شيخنا من أن مزية فرض العين من حيث اعتناء الشارع به حيث لم يجوز تركه بوجه مقتضيه ، لئلا يشتغل عنه بما يجوز له تركه في الجملة ، للاكتفاء فيه بوجود الفعل من غيره ، فالحاصل أن لكل من فرض العين ، وفرض الكفاية مزية ، ومزية فرض العين الدلالة على أن عناية الشارع به أشد ، مقتضية لتفضيله . فان قيل قول الإمام : ولأن العلم الذي الكلام فيه فرض كفاية الى آخره . كان الأصوب أن يقول بدله : ولأن العلم الذي الكلام فيه إماماً فرض عين ، وإماماً فرض كفاية ، وكلاهما أفضل من النافلة .

(١) ينظر كتاب الام للامام الشافعي ١٧٠/٢ - ١٧٨ .

قُلْنَا : إذا ثبتَ تفضيلُ 'فرضِ الكفايةِ' من العلمِ ،
 ففرضُ 'العينِ' أَوْلى ، مع أنَّه 'ليس المرادُ تفضيلُ
 الاشتغالِ بفرضِ الكفايةِ من العلمِ على الاشتغالِ
 بغيره من نوافلِ العباداتِ' ، ألا ترى إلى ما وردَ من
 تفضيلِ العالمِ على العابدِ ، مع أنَّ العابدَ لا يخلو
 عن علمٍ بالعبادةِ التي يواظِبُ عليها ، ولولا ذلكَ لم
 تكن عبادةً ، فلا بدَّ له من علمٍ ما هو فرضُ 'عينٍ' عليه ،
 وهو ما لا يتأدى الواجبُ الَّذي يعيَّنُ عليه فعله 'إلا'
 به ، وكذا كلُّ عبادةٍ أرادَ أن يأتي بها ويدخلَ فيها ،
 إذا 'يُحرمُ' التلبسُ^(١) بالعبادةِ ، وإن كانت نفلاً قبلَ
 معرفةِ كيفيتها ، وعلى هذا جماعاتٌ حديثُ سننِ ابنِ
 ماجهٍ ومُسندِ أبي يعلى وغيرهما عن أنسٍ مرفوعاً :
 (طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)^(٢) ،
 وقد ذَكَرَ [لَهُ]^(٣) الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ [١٤ ظ] في أماليهِ
 إسناداً جيّداً وحسنه من أجله ، وأشارَ النَّوَوِيُّ
 بقوله : الَّذِي الْكَلَامُ فِيهِ إِلَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَرْحِ
 الْمَهْذُبِ أَيْضاً مِنْ انْقِسَامِ الْعِلْمِ الْمَطْلُوبِ شَرْعاً إِلَى :
 فَرْضِ عَيْنٍ ، وَفَرْضِ كَفَايَةٍ ، وَنَفْلِ . وَقَالَ فِي بَيَانِ
 الْقِسْمِ الثَّلَاثِ : (هُوَ كَالْتَبَحُّرِ فِي أُصُولِ الْأَدْلَةِ ،
 وَالْإِمْعَانِ فِيمَا وَرَاءَ الْقَدْرِ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ فَرْضُ
 الْكَفَايَةِ ، وَكَتَعْلَمُ الْعَامِي نَوَافِلَ الْعِبَادَاتِ لِمُغْرَضِ الْعَمَلِ

-
- (١) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الأصل (التلبس) وهو تحريف .
 (٢) سنن ابن ماجه ٨١/١ ، شرح المهذب ٤١/١ ، ورواه الطبراني عن
 ابن مسعود ، المعجم الكبير ٢٤٠/١٠ .
 (٣) (له) : ساقطة من الأصل ، وهي زيادة من (م) ، (ب) .

لا ما يقوم' به العلماء' من تمييز الفرض من النفل ،
فإنّ ذلك فرض' كفاية' في حقّهم (١) انتهى .

قلت' : وفيه نظر ، إذ قد يُقال' لِمَ لا يتحرّج'
التّبعر فيما ذ'كر على الخلاف في مسح جميع
الرّأس وتطويل السّجود ؟ هلّ يوصف' الجمع
بالعرضيّة أم قدر' الواجب والزائد (٢) سنّة ؟

وأما تعلّم العامي لما ذ'كر فينبغي كونه فرض
كفاية ، وإنّ لم يف بالغرض ، أو عين ، لامتناع
الشروع في العبادة [وإنّ كانت نفلاً قبل العلم بما
يحتاج إليه في كفيّتها ، إذ لا تصحّ العبادة] (٣) إلاّ
مِمّن يعرفها كما صرّح به النّوّي ، فليحمل (٤) ما
سبق عنه' على تعلّم ما زاد على ذلك ، ويجعل
كون الغرض منه' العمل مانعاً من وقوعه فرض' كفاية ،
لأنّه لم يقصد به الشروع في تحصيله فليتأمل .

قلت' : ولمّ يختلفوا في تفضيل الاشتغال بالعلم
الشّرعي على وجهه المشروع على الاشتغال بنوافل
الطّاعات ، ولهذا نقل بعضهم عن سفيان بن عيينة
أنّه قال : (أرفع النّاس عند الله منزلةً من كان

(١) شرح المذهب للنوّي ٤٥/١ .

(٢) كذا في الاصل ، وفي (م) ، (ب) (منه) مكان (والزائد سنة) .

(٣) ما بين المعقوفين : ساقط من الاصل بسبب انتقال النظر ، وهو
عن (م) ، (ب) .

(٤) ينظر شرح التهذيب للنوّي ٤٥/١ .

بينَ الله وبينَ عباده ، وهم الأنبياءُ والعلماءُ (١) قالَ :
ولم يُعطَ أحدٌ شيئاً في الدُّنيا أفضلَ من النُّبوةِ ، وما
بعدَ النُّبوةِ شيءٌ أفضلُ من العلمِ والفقه ، ف قيلَ
عَمَّنْ هذا [١٥٥] قالَ : عن الفقهاءِ كُلِّهم ، أنتهى .

ورَوَى الامامُ البيهقي بسندهِ عَنِ الرَّبِيعِ (٢) بن
سليمان قالَ : سمعتُ الامامَ الشَّافعي يقولُ : (ليس
بعدَ أداءِ الفرائضِ أفضلُ من طلبِ العلمِ . قيلَ لهُ :
ولا الجهادُ في سبيلِ الله ؟ قالَ : ولا الجهادُ في سبيلِ
اللهِ) (٣) ، ثُمَّ رَوَى بسندهِ خَبَرَ ابنِ عيينةِ المتقدمِ ،
ولفظهُ : (سمعتُ الشَّافعي يقولُ : سمعتُ ابنَ
عيينةِ يقولُ : لم يُعطَ أحدٌ في الدُّنيا أفضلَ من
النُّبوةِ ، ولم يُعطَ أحدٌ بعدَ النُّبوةِ شيئاً أفضلَ
من العلمِ والفقه ، ولم يُعطَ في الآخرةِ أفضلَ من
الرَّحمةِ . ف قيلَ لهُ : يا أبا عبد الله عَمَّنْ هذا ؟ قالَ :
عن الفقهاءِ كُلِّهم) (٤) .

(١) شرح المذهب ١/٣٦ ، وفيه (الرسل والعلماء) مكان (الانبياء
والعلماء) .

(٢) هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي
بالولاء ، صاحب الامام الشافعي ، وراوي كتبه ، واول من أُملي
الحديث بجامع ابن طولون ، ولد سنة (١٧٤هـ) ، وتوفي سنة (٢٧٠هـ)
ترجمته في تهذيب التهذيب ٣/٢٤٧ ، وفيات الاعيان ١/١٨٣ ،
الاعلام ٣/٣٩ .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٨ .

(٤) مناقب الشافعي ٢/١٣٩ .

وأخرج البيهقي أيضاً عن سليمان التيمي^١ قال : كنت أنا وأبو عثمان ، وأبو نضرة ، وأبو مجلز ، وخالد الأشج^٢ نتذاكر الحديث والسنة ، فقال بعضهم : لو قرأنا سورة من القرآن كان أفضل . فقال أبو نضرة : كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول : (مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن)^(١) ، ثم أن ظاهر ما تقدم من الاستدلالات على تفصيل ذلك على نوافل الطاعات شموله للرواتب المؤكدة مع المواضبة عليها من سيد العلماء ومعلمهم صلوات الله وسلامه عليه ، وسلوك طريق المواضبة عليها هو ما درج عليه السلف من العلماء ، وتبعهم الخلف ، وذكروا تأكيداً حتى قالوا : إن تركها يخل بالعدالة ، فينبغي حمل إطلاقهم على ما عداها ، إلا أن تشتد الحاجة إلى الكلام في العلم^(٢) ، فتقدم على الراتب ، ويقضيها إذا فاتت كما ثبت في الصحيحين من قوله صلى الله عليه وآله وسلم [١٥ ظ] لأُم سلمة : (يا بنت أبي أُميَّة ! سألت عن الركعتين بعد العصر [أي اللتين راتباً] يفعلهما بعد العصر)^(٣) أنه أتاني أناس من وفد عبد القيس بالاسلام من قومهم ، فشغلوني عن اللتين بعد الظهر ، فهما هاتان الركعتان^(٤) .

(١) ذكره الخطيب البغدادي : (قال رجل لأبي مجلز ، وهم يتذاكرون الفقه والسنة : لو قرأت علينا سورة من القرآن الكريم ، فقال : ما أنا بالذي أزعج أن قراءة القرآن أفضل ما نحن فيه) الفقيه والمتفقه ١٧/١ .

(٢) (في العلم) : ساقطة من (ب) .

(٣) ما بين المعقوفين : ساقط من الاصل ، وهو من (م) ، (ب) .

(٤) المعجم الكبير للطبراني ٢٣/٢٥٩ .

وفي كتاب ترتيب الأوراد من الأحياء في بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال أن العالم الذي ينتفع الناس بعلمه إن أمكنه إستغراق الأوقات فيه ، أفضل ما يشغل به (١) بعد المكتوبات وروايتها انتهى .

فالظاهر ما قدّمناه ، وإلا فليقيّد ما ذكره في إخلال تركها بالعدالة بما إذا كان من غير أن يُصرف زمنها لما هو أفضل منها ، وقد رأيت في الطالع السعيد لأبي جعفر الأدفوي ما حاصله (٢) أن ابن دقيق (٣) العيد لما وصل إليه الشرح الكبير (٤) للامام الرافعي المسمى بالعزیز ، اشتغل بمطالعتة ، وصار يقتصر من الصلوات على الفرائض فقط ، ولعلّ المراد مع توابعها .

وفي الأحياء قال ابن عبدالحكم : (كنت عند مالك أقرأ عليه العلم ، فدخل الظاهر فجمعت الكتب لأصلي ، فقال : يا هذا ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه ، إذا صحّت النية) (٥) .

(١) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل : (بعض) وهو تحريف .

(٢) ينظر الطالع السعيد ص ٥٨٠ .

(٣) هو محمد بن علي بن وهب ، تقي الدين بن دقيق العيد القشيري ، كان عالماً فاضلاً وفقيها مشهوراً ، توفي سنة (٧٠٢هـ) ، الطالع السعيد ص ٥٦٧ - ٥٩٩ .

(٤) (الشرح الكبير) : هو (فتح العزيز على كتاب الوجيز) للامام أبي القاسم عبدالكريم بن محمد القزويني الرافعي الشافعي (ت ٦٢٣هـ) شرح به كتاب الوجيز في فروع الشافعية للغزالي . ينظر كشف الظنون ٢٠٠٢ .

(٥) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ١٨ ، نقله عن ابن وهب .

قلتُ : وهو ظاهرٌ " في تفضيل الاشتغال بالعلم مع صحّة النية فيه ، وهو المشارُ اليه بقولنا : على وجه المشروع على فضيلة أوّل الوقت ، وقول النووي : ولأنّ العابد تابعٌ للعالم الى قوله : واجبٌ عليه ، عبّر عنه البدرُ بن جماعة بقوله : (ولأنّ طاعة العالم واجبةٌ على غيره فيه ، وزادَ ولأنّ في بقاء العلم إحياء الشريعة [١٦] حفظ معالم المِلَّة) (١) انتهى .

قلتُ : وما ذكره من وجوب طاعة العالم فيما يتعلّق بالعلم ظاهرٌ صرّحَ به غيرهما ، واستدلّ عليه بقوله تعالى : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) (٢) . قال عطا في تفسيرها كما في مسند الدارمي : (أُولُوا الْعِلْمَ وَالْفَقْه) (٣) ، وصحّحه بعضهم ، لقوله تعالى : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) (٤) . فالراجحُ في هذه (٥) اتفاقاً أنّ المراد بأُولِي الْأَمْرِ العلماءُ ، على أنّه لو سلّم أنّ المراد من أُولِي الْأَمْرِ فيهما ولاتُ الأمور ، فالشرطُ فيهم العلمُ ، ولا طاعة

(١) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص ١٣ ، شرح المذهب ١/ ٣٧ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٣) مسند الدارمي ١/ ٦٣ .

(٤) سورة النساء الآية : ٨٣ .

(٥) (في هذه) : ساقطة من (ب) .

لهم إلا فيما وافق العلم ، (إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (١) ، فالدلالة على ما ذكرناه 'ظاهر' ، ولهذا اعترض التقي (٢) السبكي قول إمام الحرمين : القضاء 'إظهار' حكم الشرع من مطاع ، قال : والتعبير بمطاع للاحتراز عن المفتي ، فقال السبكي : هذا باطل ، لأن المفتي 'تجب طاعته' ، فهو مطاع شرعاً ، انتهى .

قلت : 'الظاهر' إن مراد إمام الحرمين بالمطاع ، من وجبت طاعته بالخصوص لا بعموم كونه عالماً ومفتياً ، وهو من انعقدت ولايته لفصل القضايا ، فقد قال في كتاب الغيathi : إنه 'إذا خلى الزمان' عن إمام وعن سلطان ذي كفاية فالأمور موكولة إلى العلماء ، ويلزم الأمة الرجوع إليهم ، ويصيرون ولاية العباد ، فإن عسر جمعهم على واحد استقل أهل كل ناحية باتباع علمائهم ، فإن كثر علماء ناحية فالمتبع أعلمهم ، [١٦ظ] فإن استووا أقرع بينهم انتهى .

هذا من حيث انعقاد الولاية الخاصة ، فلا ينافي وجوب طاعة العلماء مطلقاً ، وقد كان الإمام مالك بن أنس يمتنع من الدخول في الولايات ، ومع ذلك فكان يأمر بالحبس والتعزير فيمن رأى استحقاقه لذلك

(١) مسند ابن حنبل ٦٦/٥ ، وفيه عن عمران بن حصين ، المستدرك

للحاكم ٣٥٦/٣ وفيه عن عثمان بن عفان : (فلا طاعة لمن عصى الله) .

(٢) مرت ترجمته .

فيمثلُ أمره ، وكذا الشَّافعي ، فقد رُوِيَ البيهقي عن علي بن الوراق قال : (كان الشَّافعي عَطْرًا : وذلك أَنَّهُ كانَ بهِ باسُور ، وكانَ يجيءُ غَلامه ' كُلَّ يومٍ بغَليَّةٍ فيمَسحُ بها الاسطوانةَ الَّتِي يجلسُ عليها ، وكانَ الى جنبه انسانٌ يُسمي (١) الشَّافعي بالبطَّال ، فلما كانَ ذاتَ يومَ عمدَ الى شاربه فوضعَ فيه قَدْرًا ثم جاءَ الى حلقة الشَّافعي ، فلمَّا شمَّ الشَّافعي الرائحةَ أنكرها ، فقالَ : فتَّشوا نعالكم ، فقالوا : ما ترى شيئًا ، فقالَ : فيشمُّ بعضكم بعضًا ، فوجدوا ذلك الرَّجُلَ ، فقالوا : هذا ، فقالَ : ما حَمَلَكَ على هذا ؟ فقالَ : رأيتُ تجبُّركَ فأردتُ أنْ أتواضعَ لله تعالى ، قالَ : خذوه فاذهبوا به الى عبد الواحد - وكانَ على الشرطة - فقولوا له : يقولُ لك أبو عبد الله اعتقل هذا الى أن أتصرفَ ، فلمَّا خرج الشَّافعي دخلَ عليه فدعا به فضربَ ثلاثين ، أو أربعين درةً ، فقالَ : هذا بما تخطيتَ المسجدَ بالقَذَرِ وصلتَ على غيرِ الطَّهارةِ (٢) .

وقد أخرج ابن السَّمَّان عن محمد بن زياد قالَ : (كانَ عُمر يطوفُ بالبَيْتِ ، وعليه رضي الله عنه يطوفُ أَمامَه ' ، إذْ عَرَضَ رَجُلٌ لِعمر فقالَ : يا أَمير المؤمنين خذ لي حَقِّي من علي بن أبي طالب ، قالَ : وما باله ؟ قالَ : لطمَ عيني ، قالَ : [١٧و] فوقفَ عُمر حتَّى

(١) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) (يسميه) وهو مخالف للنص .

(٢) النص في مناقب الشافعي للبيهقي ٢٠٨/٢ .

مرَّ به عليٌّ ، فقالَ : أَلَطَمْتَ عَيْنَ هَذَا يَا أَبَا الْحَسَنِ ؟
 قالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قالَ : وَلِمَ ؟ قالَ : لِأَنِّي
 رَأَيْتُهُ يُتَأَمَّلُ حَرَمَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الطَّوَافِ ، فقالَ عمرُ :
 أَحْسَنْتَ يَا أَبَا الْحَسَنِ (١) .

قلتُ : وَلِمَ يَزِلُ وَلَاةُ الْأُمُورِ ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْعِلْمِ
 بِمَكَانَةٍ يَرْعُونَ الْعُلَمَاءَ ، وَيَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ ، فَقَدْ أَخْرَجَ
 الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ : (شَهِدْتُ (٢)
 عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُنْتِي بِامْرَأَةٍ قَدْ زَنْتَ ، فَأَمَرَ
 بِرَجْمِهَا ، فَذَهَبُوا بِهَا لِيَرْجُمُوهَا ، فَلَقِيَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا بِالْهَذِهِ ؟ قَالُوا : زَنْتَ فَأَمَرَ
 عُمَرَ بِرَجْمِهَا ، فَانْتَزَعَهَا عَلِيٌّ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَرَدَّهَا ، فَرَجَعُوا
 إِلَى عُمَرَ فَقَالُوا : رَدَّهَا عَلِيٌّ ، فَقَالَ : مَا فَعَلَ هَذَا عَلِيٌّ
 إِلَّا لَشَيْءٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فُجَاءَةً ، فَقَالَ : مَا لَكَ رَدَدْتَ
 هَذِهِ ؟ قَالَ : أَمَا سَمِعْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (رَفَعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنْ
 النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنْ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ ، وَعَنْ
 الْمُبْتَلِيِّ حَتَّى يَعْقَلَ ؟) (٣) قَالَ : بَلَى . قَالَ : فَهَذِهِ مَبْتَلَاةُ
 بَنِي فَلَانٍ ، أَتَاهَا وَهُوَ بِهَا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ : لَا أَدْرِي ، قَالَ : وَأَنَا لَا أَدْرِي ، فَتَرَكَ رَجْمَهَا) .
 وَفِي رِوَايَةٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : (لَوْلَا عَلِيٌّ لَهْلَكَ عُمَرُ) (٤) .

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ص ٨٢ .

(٢) هذا الكلام في تذكرة خواص الامة لسبط بن الجوزي ص ٨٧ ، ذخائر

العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ص ٨١ .

(٣) مسند الامام ابن حنبل ١٠/٦ ، ١٠١ ، ١٤٤ .

(٤) تذكرة خواص الامة ص ٨٧ .

وروي بعضهم أنه 'اتفق عليّ مع أبي بكر رضي الله عنهما نحو ذلك' ، وقد أخرج ابن السّمان عن أبي سعيد الخدري أنه 'سمع عمر يقول 'عليّ رضي الله عنهما ، وقد سأله عن شيء فأجابته 'ففرّج عنه' : (لا أبقاني الله 'بعدك يا عليّ) (١) . وقال الزّين العراقي في شرح التّريب ، في ترجمة عليّ رضي الله عنه : قال 'عمر رضي الله عنه' : (أقضانا عليّ) (٢) ، وكان يتعوّذ من معضلة [١٧ظ] ليس لها أبو الحسن (٣) انتهى ، وهذا التّعوّذ رواه 'الدارقطني وغيره' ، ولفظه : (أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن) (٤) ، وفي رواية له 'عن أبي سعيد الخدري قال : قد منا مع عمر مكة ومع عليّ بن أبي طالب ، فذكر له عليّ شيئاً ، فقال عمر : (أعوذ بالله أن أعيش في قوم ليس فيهم أبا حسن) (٥) ، قالوا : وإتّما لم نوله شيئاً من النّعت ، لأنّه 'يمسكه' عنده 'لأخذ رأيهِ ومشاورته' .

وأخرج الحافظ عن عبد الملك بن أبي سليمان قال : قلت 'لعتاء : (أكان أحدٌ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أفقه من عليّ ؟ قال : لا والله ما علمته)' (٦) .

(١) تذكرة خواص الامة ص ٨٨ ، وفيه : (لا أبقاني الله بعد ابن ابي

طالب) ، ذخائر العقبي ص ٨٢ نفس الكلام .

(٢) المستدرک للحاكم ٣/١٣٥ ، ذخائر العقبي ص ٨٣ .

(٣) ذخائر العقبي ص ٨٢ .

(٤) ذخائر العقبي ص ٨٢ ، ٨٥ .

(٥) ذخائر العقبي ص ٨٢ .

(٦) ذخائر العقبي ص ٧٨ .

قلتُ : وهذا شاهدٌ مما جاءَ في فضيلة عليٍّ ، في هذا الباب شاهدٌ لحديث : (أنا مدينةُ العلمِ وعليٍّ بابُها) (١) ، رواهُ الإمامُ أحمدُ في الفضائلِ عن عليٍّ رضي اللهُ عنه ، والحاكم في المناقب في مستدركه ، والطبراني في معجمه الكبير ، وأبو الشيخ ابن حبان في السُّنة له ، وغيرهم كلهم ، عن ابن عباس مرفوعاً به بزيادةٍ ، (فمن أتى العلمَ فليأتِ البابَ) (٢) ، رواهُ الترمذي من حديث عليٍّ مرفوعاً : (أنا مدينةُ العلمِ وعليٍّ بابُها) (٣) . وقالَ الترمذي "عُقِبَ هذا : إنَّه مُنكَرٌ ، وكذا قالَ شيخه البخاري . وقالَ الحاكم (٤) عقب الأول : إنَّه صحيحُ الاسناد ، ورواهُ ابن الجوزي (٥) مع الثاني في الموضوعات ، وقالَ الحافظ أبو سعيد الغلامي : الصَّوابُ أنَّه حسنٌ باعتبار طرقه ، لا صحيح ولا ضعيف ، فضلاً عن أن يكونَ موضوعاً ، وكذا قالَ شيخُ الاسلام ابن حجر في فتاوى له (٦) : ولا ينافيه تفضيلُ أبي بكر [١٨و] وشهدَ له بالعلمِ أيضاً . فقد قالَ عليٌّ : (أبو بكر أعلمهم وأفضلهم ، وما اختلفوا

(١) المستدرک للحاکم ١٢٦/٣ ، وفيه عن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم : (أنا مدينة العلم وعليٍّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب) .

(٢) المستدرک ١٢٦/٣ تكملة للحديث السابق .

(٣) صحيح الترمذي ١٧١/١٣ وفيه : (أنا دار الحكمة وعلي بابها) .

(٤) ينظر المستدرک ١٢٦/٣ .

(٥) الموضوعات لابن الجوزي ٣٥١/١ .

(٦) (له) : ساقطة من (ب) .

في شيءٍ إلاَّ كانَ الحقُّ معه) ، وعدم اشتهار علمه لعدم طول مدته بعد الاحتياج لموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقول عمر رضي الله عنه : (عليٌّ أقضانا) (١) ، رواه البخاري في صحيحه ، ونحوه عن جماعة من الصحابة ، وللحاكم في المستدرک عن ابن مسعود قال : (كنّا نتحدّث أن أقضى المدينة) (٢) (عليٌّ) ، وقال : إنّه صحيح ، ولم يخرجاه وأصل ذلك قصة بعثه صلى الله عليه وآله وسلم لعلِّي رضي الله عنه إلى اليمن قاضياً ، (فقال يا رسول الله : بعثني أقضي بينهم ، وأنا شابٌّ لا أدري ما القضاء ؟ ف ضرب صلى الله عليه وآله وسلم في صدره ، وقال : (اللهم أهدم وثبت لسانه) ، قال : فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما شككت في قضاء بين اثنين) (٣) ، رواه أبو داود والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، وبهذا يستغني عما أورده البغوي (٤) في المصابيح (٥) ، ورواه أيضاً غيره بأسانيد ضعيفة مرفوعاً : (أقضى أمتي عليٌّ) ، مع أن الإمام أحمد رواه في حديث : (أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدّهم في

(١) ذخائر العقبى ص ٨٣ •

(٢) المستدرک ١٣٥/٣ •

(٣) مسند ابن حنبل ١/١١١ ، المستدرک ١٣٥/٣ ، مع اختلاف في لفظ المصدرين •

(٤) هو ركن الاسلام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المعروف بالفراء المتوفى سنة (١٥٠هـ) •

(٥) انظر مصابيح السنة للبغوي ٥٠/٢ •

أمر الله عمر ، وأصدقهم حياءَ عثمان ، وأقضاهم عليٌّ ،
وأفرضهم زيد الحديث (١) ، ورواهُ الترمذي بدونِ
قوله : (أقضاهم عليٌّ) ، وصحَّحه ، وروى أحمد
والطبراني رجال وثقوا أن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وآله وسلَّم قالَ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : (أما ترضينَ
أنَّ زَوْجَكَ أقدمَ أُمِّي سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم
حِلْماً) (٢) ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ [١٨ظ] الْعِلْمَ هُوَ مَادَةُ
الْقَضَاءِ .

ومن عيون ما أُنشِدَ في فضلِ العلمِ وأهله ما
يُروى عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه ، وقيل إنَّه لأبْنَه
الحسن رضيَ اللهُ عنه (٣) :

مَا الْفَخْرُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمْ
عَلَى الْهُدَى لَمَنْ اسْتَهْدَى أَدِلَاءُ
ووزنُ كِلْ إمْرءٍ مَا كَانَ يَحْسَنُهُ
وَالجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَزِدُ فِي الْخَيْرِ مَأْثَرَةً
فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

(١) مسند الإمام ابن حنبل ٣/١٨٤ ، ٢٨١ ، وقد ذكر الحديث دون ان يذكر علياً .

(٣) مسند الإمام ابن حنبل ٥/٢٦ .

(٢) الابيات في الديوان المنسوب للإمام علي ص ٦ ، شرح ديوان الامام علي لزادة سعد الدين سلمان ص ٨ - ٩ ، وفي الكتابين اختلاف في الالفاظ لا يؤثر على المعنى ، وآثرنا الابقاء على ما في المخطوطة ، وهي في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٢٤ ، شرح المذهب ١/٣٨ ، ولم ينسبه احد هذه المصادر لابنه الحسن .

وجاءَ عن أبي الأسود الدؤلي إنَّه قالَ على ما نقله
النووي (١) :

العِلْمُ زَيْنٌ وتَشْرِيفٌ لصاحِبِه
فاطْلُبْ هُدًى يَتَفَنُّونَ العِلْمَ والأدبَا

لا خَيْرَ فِيمَنْ لَهٗ أَصْلٌ بلا أدبٍ
حَتَّى يَكُونَ عَلَى مَا زَانَهُ حَدْبًا

كَمْ مِنْ كَرِيمٍ أَخِي (٢) عَيٍّ وَطُمْطُمَةٍ
قَدِمَ لَدَى الْقَوْمِ مَعْرُوفٌ إِذَا نُسِبَا

فِي بَيْتٍ مَكْرَمَةٍ آبَاؤُهُ نُجُبٌ
كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذَنْبًا

وْخَامِلٍ مَقْرَفٍ (٣) الْآبَاءُ ذِي أدبٍ
نَالَ المَعَالِي بِالْأَدَابِ والرُّتَبَا

أَمْسَى عَزِيزًا عَظِيمَ الشَّانِ مُشْتَهَرًا
فِي خَدِّهِ صَعْرٌ قَدْ ضَلَّ مُحْتَجِبًا

(١) ديوان أبي الاسود الدؤلي تحقيق محمد حسن آل ياسين ص ٩٦ ،
ديوان أبي الاسود الدؤلي تحقيق الدجيلي ص ٢٢٥ ، شرح المذهب
للنووي ٣٧/١ ، الفقيه والمتفقه للبغدادى ٥٢/١ ، جواهر الادب
٢٩٥/٢ .

(٢) في الاصل (اَخا) وهو خطأ .

(٣) المقرف : القبيح الوجه ، ويقصد الشاعر بالمقرف : الهجين الذي
امه عربية وابوه أعجمي .

العلم 'كنز' وذخر " لا نفاد له'
نعمَ القرينُ إذا ما صاحبٌ صاحباً

قدَّ يجمعُ المرءُ مالاً ثمَّ يُحرِّمه'
عمّا قليلٍ فيلقَى الذِّلَّ والحربا

وَجَامِعُ الْعِلْمِ مغبوطٌ بهِ أبداً
ولا تحاذرُ منهُ الفوتَ والعطبا (١)

يا جَامِعَ الْعِلْمِ نعمَ الذُّخْرُ تجمعُهُ
لا تعدلنَّ بهِ درّاً ولا ذهباً

ولبعضهم (٢) :

قدَّ عابَ ذا الفقه قومٌ لا عقولَ لهم
وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ

مَا ضَرَّ شَمْسُ الضَّحَى وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ
أَنْ لَا يَرَى ضَوْءَهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ

[١٩] ولبعضهم (٣) :

وَأَلَذَّ مَا طَلَبَ الْفَتَى بَعْدَ التَّقَا
عِلْمًا هُنَاكَ يَزِينُهُ طَلْبُهُ

(١) كذا في المخطوطة ، وفي المصادر المذكورة : (السلبا) .
(٢) البيتان في شرح المهذب ٣٨/١ ، وفيه (عاب التفقه) مكان (قد
عاب ذا الفقه) .

(٣) البيتان لاحمد بن محمد بن أحمد كما ذكر ابن عبد البر في مختصر
جامع بيان العلم وفضله ص ٢٣٠ .

وَلِكُلِّ طَالِبٍ لَذَّةٌ مُنْتَزَعَةٌ
وَأَلَذَّةٌ نَزْهَةٌ عَالِمٍ كَتَبَهُ

فصل (١)

قد ترجمَ الإمام النووي في مقدمة شرح المذهب
للنهي الأكيد ، والوعيد الشديد لمن يؤذي ، أو ينتقص
الفقهاء والمتفقيين ، والحثُّ على إكرامهم وتعظيم
حرماتهم ، ثم أوردَ في ذلك قوله تعالى : (وَمَنْ
يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى
الْقُلُوبِ) (٢) ، وقوله تعالى : (وَمَنْ يُعْظِمْ
حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) (٣) ،
وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا كَتَسَبَّوْا فَقَدْ إِحتَمَلُوا
بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) (٤) .

قلتُ : ووجهُ الدلالة من الآيتين الأوليتين ظاهرٌ ،
لأنَّ علماءَ الدِّين من أعظمِ شعائرِ الله ، إذ المرادُ من
شعائرِ الله أعلام دينه ، وهم من أعظمِ حرَماته على
ما دلَّتْ عليه الأدلة السابقة ، وأمَّا وجهُ الدلالة من
الآية الثالثة ، فهو أنَّ هذا الوعيد إذا ثبتَ الفاعلُ
ذلك بالنسبةِ إلى عامةِ المؤمنين ، فما ذاك بخاصتهم ،

(١) الفصل والفقرة إلى نهاية آية سورة الأحزاب من شرح المذهب ١/ ٤٠ .

(٢) سورة الحج الآية : ٣٢ .

(٣) سورة الحج الآية : ٣٠ .

(٤) سورة الأحزاب الآية : ٥٨ .

ولهذا أَرَدَفَ النَّوَوِي ذلكَ بالحديث الآتي : (من آذى لي وليًّا الحديث) (١) .

وعن أبي أُمَامَةَ مَرْفُوعًا : (ثلاثةٌ لا يستخفُّ بهم إلا منافقٌ : ذو الشَّيْبَةِ في الإسلامِ ، وذو العلمِ ، وإمامٌ مقسُطٌ) (٢) ، رواه الطَّبْرَانِيُّ في الكبير .

وعن عبد الله بن عمر قالَ : قالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (ليسَ مِنَّا من لم يوقرَ كبيرَنا ، ومن لم يعرفَ لعالمنا حقَّه) (٣) ، رواه الترمذِيُّ ، ورواه أبو يعلى [١٩ظ] عن أنسٍ مرفوعًا .

وعن أبي الدَّرْدَاءِ رضيَ الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (اكرموا العلماءَ ووقروهم ، وأحبوا المساكينَ وجالسوهم ، وارحموا الأغنياءَ وعفوا عن أموالهم) ، رواه أبو عبد الرحمن السَّلْمِيُّ في سنن الصُّوفِيَّةِ ، وكذا روي عن أنسٍ مرفوعًا : (بجلُّوا المشايخَ فإنَّ تبجيلَ المشايخِ مِن إجلالِ الله تعالى) (٤) ، وأخرجه الخطيب في الجامع ،

(١) الحديث عن أبي هريرة كما ذكره النووي في شرح المذهب ٤٠/١ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٣٨/٨ ، وفيه لا يستخف بحقهم مكان (بهم) . وكذا ذكره ابن عبد البر في مختصر جامع بيان العلم وفضله عن جابر ص ٦٩ .

(٣) الحديث ذكره الترمذي في صحيحه ١٠٩/٨ ، ابن حنبل ٢٥٧/١ ، ٢٢٢ ، ٢٠٧ .

(٤) الجامع ١١٧/١ .

وقال في رواية له : (إنَّ منْ إجلالي توقير الشيخ منْ أُمَّتِي) (١) ، وتَرَجَمَ الخطيب على ذلكَ ببيانِ تعظيمِ المحدثِ وتبجيله ، وأخرجَ فيه أيضاً عن كعب الأخبار قال : (ثلاثةٌ نجدُ في الكتابِ يحقُّ علينا أن نكرمهم ، وأن نُشرِّفهم ، وأن نوسعَ عليهم في المجالس : ذو السنِّ ، وذو السلطانِ لسلطانهِ ، وحامل الكتابِ) (٢) .

وعن أبي سعيد الساعدي مرفوعاً : (اللهم لا يدركني زمانٌ ، أو قال : لا يدركوا زماناً لا يتبعُ فيه العليم ، ولا يستحوا فيه من الحكيم قلوبهم قلوب الأعاجم ، وألسنتهم ألسنة العرب) (٣) ، رواه أحمد وفيه ابن الهيعة .

وعن أبي بكرة قال : سمعتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم يقول : (أعدُّ عالماً أو متعلِّماً أو مستمعاً أو محبباً ، ولا تكن الخامسَ فتهلك . قال عطا : قال لي مُسْعَرُ زدتنا خامسةً لم تكن عندنا ، والخامسةُ أنْ تَبْغُضَ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ) (٤) ، رواه الطَّبْراني في الثلاثة ، والبَزَّاز ، ورجاله موثوقون ، وقال ابن عبد البر : الخامسةُ بمعادةُ العلماء وبغضهم ، ومن لم يحبهم فقد أبغضهم ، أو قاربَ وفيه الهلاك) (٥) ، انتهى .

-
- (١) الجامع ١١٧/١ ، في رواية أخرى له .
 (٢) الجامع ١١٧/١ .
 (٣) مسند الإمام ابن حنبل ٣٤٠/٥ .
 (٤) المعجم الصغير للطبراني ٩/٢ .
 (٥) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ١٩ .

وعن علي رضي الله [٢٠] عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا بغض الناس علماءهم ، وأظهروا عمارة أسواقهم ^(١)) ، ومالوا على جمع لدراهم ، رماهم الله بأربع خصال : بالقحط في الزمان ، والجور من السلطان ، والخيانة من ولاية الأحكام ، والشوكة من العدر ^(٢)) ، رواه أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من مشى الى سلطان الله في الأرض ليدله ، أذل الله رقبته مع ما يدخر له في الآخرة) ^(٣) . قال مسدد : وسلطان الله في الأرض كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، أخرجه الطبراني في الكبير .

قلت : ومراد مسدد حمل الوعيد المذكور على من أذل العالم بهما ، ورويناه في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله عز وجل قال : (من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب) ^(٤) ، ومن حديث عائشة عند الامام أحمد : (من آذى لي ولياً) ^(٥) ،

-
- (١) في كشف الغمة عن جميع الامة ١٧/١ : (تالبوا) .
(٢) الحديث أورده الشعراي في كشف الغمة عن جميع الامة ١٧/١ . ولم اعثر على الحديث المذكور في طبقات الصوفية لابي عبد الرحمن السلمي .
(٣) المعجم الكبير للطبراني ٢١٤/١١ .
(٤) مسند الامام ابن حنبل ٢٥٦/٦ .
(٥) مسند ابن حنبل ٢٥٦/٦ ، شرح المهذب للنووي ٤١/١ .

وفي رواية في الزَّهد للامام أحمد قال الله تعالى : (من أهانَ وليَّ المؤمنَ ، فقد استقبلني بالمحاربة) (١) . وفي حديث ميمونة (فقد استحلَّ محاربتني) ، وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند الامام البغوي في شرح السنَّة له عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن جبريل عليه السلام يقول ' الله عزَّ وجل : (من أهانَ لي ولياً فقد بارزني في المحاربة ، وإنِّي لأغضبُ لأوليائي كما [٢٠ ظ] يغضبُ الأسدُ الجردُ ') (٢) . وفي حديث لمعاذ : (من عادَى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة) (٣) ، رواه ابن ماجة والحاكم ، وقال : صحيح لا علة له ، وقد نقل الامام محيي الدين النووي رحمه الله في كتابيه شرح المذهب والتبيان ، عقب ايراده لهذا الحديث بلفظ رواية البخاري عن الامامين الجليلين أبي حنيفة النُّعمان ، وأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي عليهما الرحمة والرضوان أنَّهما قالا : (إنَّ لم يكن العلماءُ أولياءُ الله فليسَ لله ولي) (٤) ، وقد روى ذلك عنهما الامام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه المسمى بكتاب الفقيه والمتفقه ، وأسنده البيهقي عن إمامنا الشافعي في مناقبه ، وقال في بعض

(١) في مسند ابن حنبل ٤٢/٥ ، ٤٩ : (من أهانَ سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانه الله يوم القيامة) .

(٢) المستدرک للحاکم ٣٣٨/٤ .

(٣) مسند ابن حنبل ٢٥٦/٦ .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١٥٥/٢ ، الفقيه والمتفقه ٣٥/١ ، ٣٦ ، شرح المذهب ٤١/١ .

طرقه : (إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله عز وجل فما لله ولي) (١) .

قلت : وإيضاحه ' أن سنة الله تعالى في عباده جارية ' بأن العلماء إنما ينالون العلم بالدؤب والعكوف عليه ، وصرف الأوقات فيه إذ لا ينال العلم براحة الجسد ثم يحلو لهم ذلك فيستغرقون أوقاتهم فيه تعلماً وتعليماً ، وقد إتضح مما سبق في الفصل قبله ' أن ذلك من أفضل الطاعات ، وأن حالهم في ذلك دائر ' بين قيامهم بفرض العين ، أو فرض الكفاية منه ' . وقد قال في هذا الحديث القدسي ، كما في الصحيح وغيره : (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه) (٢) . فأوقات العلماء مستغرقة بهذه العبادة الفاضلة فطاعاتهم لا تزال متوالية ، والولي من توالى طاعاته لمولاه فتولاه الله ، وأيضاً فالولي هو القائم [٢١ و] بحقوق الله وحقوق عباده على حسب طاقته وأعظم كرامته الاستقامة ، ولا يصل أحد إلا من طريق العلم الذي أورثه الله عز وجل عباده العلماء مع سبق العناية بارادة الله تعالى بهم الخير بشهادة الحديث الصحيح : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) (٣) . فيفقهون عن الله عز وجل أمره ونهيته بالنور [الرباني] (٤) الذي أتاحه في

(١) مناقب الشافعي ١٥٥/٢ .

(٢) رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين للنووي ص ١٥٣ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٢٤٢/١٠ .

(٤) (الرباني) : زيادة من (م) ، و (ب) وبه يكمل المعنى .

قلوبهم ، كما يرشد' اليه قول' الحسن البصري : (إنما
الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيته) .

قلت' : فلا يكون' إلا عاملاً بعلمه ، وإلا فلم يرد
الله' به خيراً ، بل زيادة في الوبال ، ولذا أسند البيهقي
عن الشافعي أنه قال : (ما أحدٌ أورع' لخالقه من
الفقهاء) (١) إنتهى . فالعلم' ما أورث الحشية والعمل' ،
فيورث' الله' صاحبه' حينئذ علم' ما لم يعلم ، كما
جاءت الإشارة' اليه في بعض الأحاديث : فينال' حينئذ
مقام' الوراثة المشار' اليه بحديث : (العلماء' ورثة'
الأنبياء) (٢) . وإذا كان' مقام' الولاية لا يوصل' إليه
إلا' من طريق هؤلاء فكيف لا يكونون' أولياء' مع
إرتفاعهم (٣) من مقام' الولاية الى مقام' الوراثة ، وهناك
تعظم' عداوة الجهال لهم ، لعلمهم بقبيح أفعالهم
وإنكارهم لما وافق الهوى من أعمالهم ، فقد رأيت' من
بالغ' في العداوة والأذى وليس' لذنوب سوى الافتاء
بما لم يوافق هواه' ، فمنشأ' عداوة أولياء الله تعالى
غالباً غيرتهم لله عز وجل ، وذكرهم من الحق' ما يخالف
الأهوية ، فلذلك يغار' لهم المولى عز وجل فينتصر'
لهم إ' منشأ' عداوتهم مخالفة الجهلة [٢١ظ] لما أوجب الله'
من طواعيتهم ، ومن الجهال من يبعثه' على عداوتهم

(١) مناقب الشافعي ١٥٥/٢ .

(٢) رواه ابن حنبل ١٩٦/٥ ، سنن الدارمي ٨٣/١ .

(٣) كذا في الاصل ، وفي (م) : (ارتقايم) ، وفي (ب) : (انتقالهم) ،
وما ذكرناه ارجح .

البغي والحسد' ، فيكره' أن' يكونَ لأحدٍ عليه شقوق' منزلة' ، واختصاص' بمزية' .

وقوله' في الحديث القدسي : (من عادى لي ولياً) (١) ، أي اتخذهُ عدواً ، وإنْ لم يعاده الولي لحلم وصفح ونحوهما ، وقد تطلق المعادة ويُرادُ بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل ، ومن الآخر بالقوة ، وقوله : (فقد آذنتهُ) بالمد وفتح المعجمة ، أي أعلمته' ، وقوله : (بحربٍ) ، وفي الرواية الأخرى (بالمحاربة) ، بيانه' أنَّ الحربَ تنشأُ عن العداوة ، والعداوةُ تنشأُ عن المخالفة ، وغاية الحرب الهلاكُ واللهُ تعالى لا يغلبهُ غالبٌ ، فالمعنى قد أعلمته' بتعرضه' ، لأنْ أعملَ ما يعلمهُ العدوُّ والمحاربُ ، وفيه كمالٌ قالَ الفاكهي (٢) : تهديدٌ شديدٌ ، لأنَّ من حاربهُ اللهُ أهلكهُ ، قالَ : وذلكَ أنَّ من كرههُ من أحبَّ اللهُ فقد أظهر مخالفتَهُ ، ومن أظهر مخالفتَهُ فقد عاداهُ ، ومن عاداهُ أهلكهُ ، وإذا ثبتَ هذا في جانب المعادة ثبتَ ضدهُ في جانب الموالاتة ، فمن وإلى أولياءِ الله تعالى أكرمه' الله تعالى ونصرهُ ، وقال الطوفي : لما كانَ ولي الله من تولى الله بالطَّاعة والتقوى ، تولاهُ اللهُ بالحفظ والنصح ، وقد جرتِ العادة بأنَّ عدوَّ العدوِّ صديقٌ ، وصديقُ العدوِّ

(١) الحديث سبق تخريجه' .

(٢) هو محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي ، مؤرخ من أهل مكة . كان معاصراً للزرقى ، له تاريخ مكة ، توفي سنة (٢٧٢هـ) . كشف الظنون ٣٠٦ ، الاعلام ٢٥٢/٦ .

عدو" ، فعدو ولي* الله عدو الله ، فَمَنْ عَادَاهُ كَانَ كَمَنْ حَارَبَهُ ، ومن حاربه فكَانَتْ حَارِبَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قلت : وسيأتي قول السيد الجليل عبد الله (١) بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضوان الله عنهم [٢٢و] كفى بالمبغض لنا بغضاً أَنَسِبَهُ إِلَى مَنْ يَبْغِضُنَا ، فَإِنَّكَ وَمَوْلَاةٌ مِّنْ تَجَرَّأَ عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَى مَا يُوجِبُ عِدَاوَةَ الْخَالِقِ وَحَرْبَهُ ، وهو الغالب الذي لَا يُغَالَبُ ، والقَهَّارُ الذي لَا قِبَلَ لِأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِذَرَّةٍ مِنْ بَلَائِهِ ، وَلَوْ وُضِعَ ذَرَّةٌ مِنْ ذُرَّاتِ قَهْرِهِ عَلَى الْجِبَالِ لَذَابَتْهَا ، فَمِنْ وَآلِي مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ مِنْ حِزْبِ مُحَارِبِي الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْدَائِهِ ، فَخَفَ مَقْتُهُ وَسُوءَ عِقَابِهِ ، فَانَّهُ تَعَالَى أُغِيرَ مِنْ خَلْقِهِ ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ (٢) :

تَوَدُّ عِدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي
صَدِيقُكَ إِنَّ الرَّاْيَ (٣) عَنْكَ لَعَازِبٌ

(١) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ، كَانَ لَهُ مَنْزِلَةٌ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَلَمَّا جَاءَ الْعَبَّاسِيُّونَ أَكْرَمُوهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، وَفِي عَهْدِ الْمَنْصُورِ حُبِّسَ وَمَاتَ فِي الْحَبْسِ سَنَةَ (١٤٥هـ) . ترجمته في تاريخ بغداد ٤٣١/٩ ، تذكرة خواص الأمة في معرفة الأئمة ص ١٢٤ - ١٢٦ ، الاعلام ٢٠٧/٤ .

(٢) البيت ذكره ابن قتيبة في عيون الاخبار ونسبه للعتابي ٦/٣ .

(٣) في (ب) : (الود) .

وسياتي لهذا مزيدٌ تحقيق في البابِ الثَّانِي ،
فإنَّ قِيلَ قد يوجد من آذَى بعضِ الأولياء من العلماء ،
ولم يظهر آثارُ النِّصرة والانتقامِ منه ، قلنا : قد
يُصَابُ بأعظمِ مما يطَّلَعُ العبادُ عليه ، وقد قالَ
الشيخُ أبو الفضلِ بنِ عطا : إنَّه يوجد من هذا
الحديثِ إنَّ من آذَى ولياً من أولياءِ الله ، ولم يُعَاجِلْ
بمصيبته ، فلا يحكم له بالسَّلامة من انتقامِ الله تعالى ،
فقد تكونُ مصيبتهُ أعظمُ بأنَّ يُصَابُ في دينه ،
وقالَ التَّاجُ بنُ عطاالله : قد تكونُ عقوبتهُ قساوةً
في القلبِ ، أو جموداً في العينِ ، أو تعويقاً عن طاعةٍ ،
أو وقوعاً في مصيبةٍ ، أو سلبَ لذاذةِ خدمةٍ ، وأيضاً
فلا يلزمُ تعجيلُ عقوبتهُ ، لقصرِ مدَّةِ الدُّنيا عندَ
اللهِ ، ولأنَّ اللهَ تعالى لم يرضَ الدُّنيا أهلاً لعقوبةِ
أعدائه ، كما لم يرضها أهلاً لاثابةِ أحبائه ، وإنَّ
كانتِ معجَّلةً ، فلا يُحْكَمُ لأنسانٍ آذَى ولياً من أولياءِ
اللهِ [٢٢ ظ] تعالى بالسَّلامة إذا لم تشهدْ حلولَ
المحنِ به ، ومعلومٌ أنَّ من سقط من عينِ الباري عزَّ
وجلَّ وهانَ عليه ، فإنَّه يُخَلِّي بينه وبينَ معاصيه ،
وكلمًا أحدثَ ذنباً أحدثَ له نعمةً ، فيظنُّ أنَّ ذلكَ
شكراً منه عليه ، ولا يعلمُ أنَّه عينُ الإهانةِ .

وفي الحديثِ المشهور : (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً
عَجَّلَ لهُ عقوبتهُ في الدُّنيا ، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ
شرّاً أَمْسَكَ عنهُ عقوبتهُ في الدُّنيا ، فيردُّ القيامةَ
بذنوبه) (١) . وقد روى أبو عمرو الصَّدِّي في جزوهِ

(١) ينظر جامع السعادات ٢٧٣/٣ ، ٢٨٩ .

عن علي رضي الله عنه مرفوعاً : إذا أَعْرَضَ اللهُ عن العبد ورثته إلا نكاراً على أهل الديانات . وقال الإمام النَوَوِي في كتابه التبيان وشرح المذهب : قال الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر (١) رحمه الله : (إِعْلَمَ يا أخي وَفَقَّنَا اللهُ وإِيَّاكَ لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاهُ ويتقيه حَقَّ تَقَاتِهِ : إنَّ لحومَ العلماءِ مسمومةٌ ، وعادةَ اللهِ في هتِكَ أَسْتَارِ مَنْتَقِصِهِمْ معلومةٌ ، وإنَّ من أَطْلَقَ لِسَانَهُ في العلماءِ بِالثَّلْبِ بَلَاهُ اللهُ تعالى قبلَ موتهِ بِموتِ القلبِ ، فليحذرَ الذينَ يخالفونَ عن أمرِهِ أَن تَصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أو يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٢) انتهى .

قلتُ : ولا عقوبةَ أعظمُ من موتِ القلبِ الذي هو مدرجةٌ سلبِ الإيمانِ المفضي للعذابِ السَّرمدي والعياذَ باللهِ عزَّ وجلَّ .

قلتُ : والحكمةُ في إبتلائهِ بذلكَ أَنَّ العلمَ حياةُ القلوبِ وغذاؤها ، ومصباحُ البصائرِ وضياؤها ، والجَّانِي [٢٣ و] على أهلِهِ قد كفرَ نعمتهُ الَّتِي تشتغلُ الحيواناتُ العجماواتُ بِشكرِها ، لاشتغالهم بالاستغفارِ لأهلِهِ ، على ما سبقَ في أوائلِ البابِ ،

(١) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي الحافظ الرحالة المؤرخ ، ولد في دمشق سنة (٤٩٩هـ) له تاريخ دمشق الكبير المعروف بتاريخ ابن عساكر ، توفي سنة (٥٧١هـ) ترجمته في وفيات الاعيان ٣٣٥/١ ، مفتاح السعادة ٢١٦/١ ، البداية والنهاية ٢٩٤/١٢ .

(٢) شرح للمذهب ٤١/١ .

فما ذاك ببني آدم الذي هو حياة" لقلوبهم فكانت عقوبة' الكافر لنعمة العلم بالجناية على أهله ، منعه' من أن' يلج قلبه' وذاك' موته ، كما أشار إليه فتح' (١) الموصلي أحد أئمة الصوفية حيث' قال' كما في الأحياء (٢) : أليس المريض' إذا منع' الطعام' والشرب' والدواء يموت' ؟ قالوا : نعم . قال : كذلك القلب' إذا منع' الحكمة' والعلم' ، وبه حياته' ، كما أن' غذاء' الجسد' الطعام' ، فمن فقد' العلم' فقلبه' مريض' ، وموته' لازم' ، لكنّه' لا يشعر' بذلك' ، لأنّ سكره' بدنياه' ، وشغله' بها أبطل' إحساسه' ، فاذا حطّ' الموت' عنه' أعباء' الدنيا أحسّ' الهلاك' كاحساس' المفيق عن سكره' بما أصابه' من الحراجات في حالة السكر (٣) ، فنعوذ' بالله من يومٍ يكشف' الغطاء' ، فإنّ الناس' نيام' ، فاذا ماتوا انتبهوا .

قلت' : فأنّما يحسّ' بما يصيب' (٤) القلب' من ذلك' من كان قلبه' حيّاً ، وإلاّ فهو كما قيل (٥) :

(١) هو ابو بكر فتح بن سعيد الموصلي من كبار الزهاد والعباد ، كان اماماً مشهوراً ترجمته في حلية الاولياء ٢٩٢/٨ - ٢٩٤ ، تاريخ بغداد ٣٨١/١٢ .

(٢) الاحياء للامام الغزالي ١٧/١ .

(٣) في (ب) : (الشكر) وهو تصحيف .

(٤) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل : (يصلب) وليس لها معنى .

(٥) هذا عجز بيت صدره (من يهن يهن يسهل الهوان عليه) من قصيدة للمتنبى يمدح' بها ابا الحسين علي بن أحمد المرسي الخراساني ، وكان بينهما مودة ، شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوقي ٢٧٧/٤ .

مَا لِيَجْرَحَ بِمَيِّتٍ إِيْلَامٌ

ونظائر هذه المناسبة التي ذكرناها كثيرة ، فقد روى إمامنا الشافعي رحمه الله ' أن رجلاً شكى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الفقر ، فقال له : لعلك تسبُّ الرِّيحَ ، والسبب فيه أن الرِّيحَ سببُ المطرِ ، والمطرَ سببُ الرُّزْقِ ، فمن سبَّها إستحقَّ مَنعَ الرُّزْقِ ، ومن الحكم (١) في ابتلاء المولى عزَّ وجلَّ لعباده العلماء بتسليط الجهال عليهم أن يصبروا فيحصل لهم [٢٣ ظ] التَّرقِي إلى مقام الصَّابرين ، ثمَّ ينتصر لهم مولاهم عزَّ وجلَّ فيشكرونه على ذلك فينيلهم مقام الصَّابرين ثمَّ يرتقون إلى مقام التَّمكن الموروث لهم عن الأنبياء ، وقد سئل إمامنا الشافعي رحمه الله ' أيُّما أفضل للرجل أن يُمكن أو يُبتلى ؟ فقال : لا يُمكن حتَّى يُبتلى ، وقد ابتلى الله عزَّ وجلَّ أولي العزم من رُسله ، فلمَّا صبروا مكَّنتهم ، انتهى .

ولمَّا جرت عادتهم بعدم الانتصار لأنفسهم ، كان المولى عزَّ وجلَّ هو النَّاصر لهم والمُحاربُ عنهم ، والغالبُ لمن غالبهم ، ومن إنتصر منهم لاقتضاء المقام ، لذلك فإنَّما ينتصر لمولاه عزَّ وجلَّ ، فيتذلَّلُ له بالدعاء . وقد روى التَّرمذي حديث (٢) : (من دعا على ظالمه فقد انتصر) (٣) ، ولأحمد وأبي داود عن عائشة

(١) في (ب) : (الحكمة لله في ابتلاء) ، ولا يستقيم معه الكلام .

(٢) (حديث) : ساقط من (ب) .

(٣) صحيح الترمذي ٦٦/٣ .

رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها وقد دعت على سارق سرق لها ملحفة :
 (لا تسبخي عنه ' بد'عائك عليه) (١) ، أي لا تخفقي
 عنه ' إثم سرقة . وأهل التحقيق يجتنبون في الغالب
 الدعاء على من ظلمهم تركاً للانتصار لأنفسهم ، مع أن
 بعض العلماء قد قال : إن الله تعالى قد مدح
 المنتصرين من البغي ، كما مدح العافين عن الناس ،
 فالثاني (٢) محمول على من ندر منه البغي ، فيقال
 غيرته بالعفو عنه ، والأول محمول على ما إذا كان
 الباغي وقحاً ذا جرأة وفجور . وقال الواحدي : إن
 الانتصار لأجل الدين فهو المحمود ، إن كان لأجل
 النفس فهو مباح لا يحمده عليه ، انتهى .

ولهذا قال بعضهم : إن انتصار [٢٤ و] سعد بن
 أبي وقاص حيث دعا على أبي سعدة (٣) ، لما قال فيه
 ما سيأتي ، إنما كان للدين ، لكونه إنتهك بمقالته
 تلك من صحب صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله
 وسلم ، فانتصر سعد لمنصب الصُحبة المقتضي
 للظاهرة عما نسبته إليه .

وقصته في ذلك رواها البخاري في صحيحه عن
 عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال : (شكأ أهل

(١) سنن أبي داود ٥٧٦/٢ .

(٢) في (ب) : (فالأول محمول على ما ندر ٠٠٠ الخ) ، وهو خطأ .

(٣) في (ب) : (أبو مسعدة) ، وهو خطأ .

الكوفة سعداً الى عمر رضي الله عنه ، فعزله - أي
 عن الكوفة - وذكر الحديث الى أن قال : فأرسل
 - يعني عمر - معه رجلاً ، أو رجلاً الى الكوفة ، فسأل
 عنه أهل الكوفة ، ولم يدع مسجداً إلا سأل عنه
 ويشنون معروفاً حتى دخل مسجداً لبني عبس ، فقام
 رجل منهم يقال له 'أ' سامة بن قتادة يكنى أبا سعدة
 قال : أمّا إذا نشدتنا فإن سعداً كان لا يسير
 بالسريّة ، ولا يقسم بالسويّة ، ولا يعدل في القضية ،
 قال سعد : أمّا والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان
 عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسمعةً فأطل عمره وأطل
 فقره وعرضه للفتن . وكان بعد إذا سئل يقول :
 شيخ كبير مفتون ، أصابتني دعوة سعد ^(١) . قال
 عبد الملك : (فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على
 عينيه من الكبر وأنه يتعرّض للجواري في الطريق
 يغمزهن) ^(٢) انتهى ما رواه البخاري .

ولا بن سعد من طريق مليح بن عوف السلمي ،
 قال : بعث عمر رضي الله عنه محمد بن مسلمة - أي
 مع سعد - وأمرني بالمسير معه ، وكنت [٢٤ ظ] دليلاً
 بالبلاد فذكر القصة وفيها : فأقام سعداً في مساجد
 الكوفة ليسألهم عنه ، وفي رواية ابن عيينة فكلهم
 يثني عليه خيراً ، والحكمة في قول سعد : لأدعون

(١) هذا الكلام لم أجده في صحيح البخاري بل وجدته في المعجم الكبير

للطبراني ١٠٢/١ ، وانظر مسند ابن حنبل ١٧٦/١ .

(٢) كتاب مجابي للدعوة ص ٢٢ .

بثلاث : إقامة العدل والانصاف في دعائه عليه ، لأنَّه نفى عنه بما قال الفضائل الثلاث ، فنفى عنه الشَّجَاعَةَ حيثُ قال : لا يسيرُ بالسَّرية ، أي من الجيش ، وفي رواية ولا ينفرُ في السرية ، وذلك يقتضي أنَّه آثرَ نفسه بالحياة الدُّنيا وحبَّ البقاء والتَّعمير فلم يَقمُ بحقِّ إعلاء كلمة الله بالجهادِ ، لما فيه من تعريضِ النَّفسِ لذهابِ حياتها فدعا عليه في مقابلة (١) ذلك بطولِ العمر بحيث يُردُّ الى أرذلِ العمر وتكونُ حياته نعمةً لا نعمةً ، لمقارنتها لما سيأتي . ونفى عنه العفَّةَ حيثُ قال : ولا يقسمُ بالسَّوِيَّةِ فاقترضى ذلك حبه للمال ، فلا يعدلُ فيه إتباعاً ، لشهوته في المال ، فدعا عليه في مقابلة ذلك بالفقر ، فلا يقدر على المال الذي اختلق عليه تعديهِ فيه لحبِّه إيَّاه ، وإيثاره لشهوته فيه ونفى عنه الحكمة ، حيثُ قال : ولا يعدلُ في القضية ، أي الحكومة ، فاقترضى نسبته لترك ما يقتضيه العلم من أحكامِ الشريعة وجوره فيها ، لعدم ديانته ، وهذه أعظمُ الثلاثة لنفيه عنه الدِّينَ مطلقاً ، فدعا عليه في مقابلة ذلك بالوقوع في الفتن فيُصابُ في دينه . وقال بعضهم : الثلاثة التي نفاها عن سعدٍ متعلِّقةٌ بالنَّفسِ والمال والدِّينِ فقابلها بمثلها ، فبطولِ العمر تتعلَّقُ بالنَّفسِ ، وطولِ الفقرِ يتعلَّقُ بالمال ، والوقوعُ [٢٥ و] في الفتن يتعلَّقُ بالدِّينِ ، فاقترضى عدلُ سعدٍ رضي الله عنه ، وعدمُ إعتدائه في الدُّعاءِ عدمُ الزُّيادةِ على

(١) (في مقابلة ذلك) : ساقطة من (ب) .

الأُمُورِ الثلاثةَ المتعلِّقةَ بالنَّفْسِ والمالِ والدِّينِ جزاءً وفاقاً ، ليظهرَ بسرُّ الإجابةِ في الأُمُورِ الثلاثةِ براءةُ سعدٍ منها ، والعجبُ أنَّ سعداً معَ مواجهةِ هذا الرَّجلِ لهُ بما أغضبهُ ودعائه عليه في تلكَ الحالِ راعى معَ هذا العدلِ والانصافِ في الدُّعاءِ عليه ، لتعليقه بشرطِ أنْ يكونَ كاذباً ، وأنْ يكونَ الحاملُ لهُ على ذلكَ الغرضُ الدُّنيوي ، حيثُ قالَ : اللهمَّ إنَّ كانَ عبدُكَ هذا كاذباً قامَ رياءً وسُمعةً ، أي ليراهُ النَّاسُ ويسمعوه ، فيشهرُوا ذلكَ عنه ، فيكونَ لهُ بهُ ذكْرٌ .

ولهذا قالَ الزَّيْنُ : في الدعواتِ الثلاثِ مناسبةٌ للحالِ ، وأمَّا طولُ عمره فليراهُ من سَمِعَ بأمرِهِ فيعلمَ كرامةَ سعدٍ ، أي (١) وذلكَ ضدَّ قصده ، وأمَّا طولُ فقرِهِ فلنقيضَ مطلوبه ، لأنَّ حاله يُشعرُ بأنَّه طلبَ أمراً دنيوياً ، وأمَّا تعرُّضه للفتنِ فلكونه قامَ فيها ورضيها دونَ أهلِ بلده ، وفي روايةٍ للطَّبْراني قالَ عبدُ الملكِ : (فأنا رأيتُهُ يتعرَّضُ للاماءِ في السَّكِّ ، فاذا سألوهُ قالَ : كبيرٌ فقيرٌ مقتونٌ) (٢) . وفي روايةٍ لابنِ عيينة ، ولا تكونُ فتنةٌ إلاَّ هو فيها ، وروى أنَّه أدركَ فتنةَ المختارِ (٣) فقتلَ

(١) (أي وذلك ضد قصده) : ساقطة من (ب) .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٠٢/١ .

(٣) هو أبو اسحاق المختار بن أبي عبيدة بن مسعود الثقفي ، من الزعماء

المطالين بدم الحسين الذين ثاروا على الامويين ، وهو من أهل الطائف انتقل مع أبيه الى المدينة ، وقتل أبوه في واقعة الجسر في العراق وبقي المختار بالمدينة ثم سكن البصرة ، وانتقل الى الكوفة ، وقتل فيها بعد تلك الحوادث سنة (٦٧هـ) ، ترجمته في تاريخ ابن الاثير ٨٢/٤ ، تاريخ الطبري ١٤٦/٧ ، الاعلام ٧٠/٨ .

فيها ، وفتنته حين غلب على الكوفة سنة خمس وستين ، الى أن قُتل سنة سبع وستين ، وفي رواية لسيف أن هذا الرجل عاش الى فتنة الجماجم (١) ، وكانت سنة ثلاث وثمانين ، وقد كان سعد [٢٥ ظ] رضي الله عنه معروفاً باجابة الدعوة ، وسببه ما رواه الترمذي ، وابن ماجة ، والحاكم عن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (اللهم استجب لسعد [إذا دعاك]) (٢) ، وفي رواية للحاكم عن سعيد ذكر فيها قصة يوم أُحد الى أن قال : (فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهماً أرمي به عدوك ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اللهم استجب لسعد [(٣)] اللهم سدد رميته ، واستجب دعوته) (٤) ، الحديث .

وفي رواية للطبراني بسند حسن عن الشعبي قال : (قيل لسعد : متى أصبت الدعوة ؟ قال : يوم بدر كنت أرمي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)

(١) دير الجماجم : يقع بظاهر الكوفة ، وسمي دير الجماجم بهذا الاسم لانه كان يعمل فيه الاقداح الخشبية ، وهذه تسمى جماجم ، وفي هذا المكان دارت معركة بين أهل الشام بقيادة الحجاج وبين أهل العراق بقيادة عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث ، والتي هزم فيها ابن الاشعث . ينظر تاريخ الطبري ٣٥٧/٦ ، معجم البلدان ٤٠٣/٢ .

(٢) المستدرک ٤٩٩/٣ .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (م) ، (ب) ، وهو ساقط من الاصل بسبب انتقال النظر .

(٤) المستدرک ٥٠٠/٣ ، دلائل النبوة لابي نعيم ٢٠٦/٢ .

عليه وآله وسلّم ، فأضع السّهم في كبد القوسِ
 ثمّ أقول : اللهمّ زلزل أقدامهم ، وارعب قلوبهم ،
 وافعل لهم وافعل ، فيقول النّبيّ صلّى الله عليه وآله
 وسلّم : اللهمّ استجب لسعد (١) .

قلت : ولا منافاة بينهما إذ لا مانع من دعائه له
 بذلك في اليومين ، وقد اشتهر لسعد وقائع ببركة
 تلك الدعوة منها ما سبق ، ومنها ما قاله ابن عيّنة
 أحد رواة حديثه السّابق في دعائه صلّى الله عليه
 وآله وسلّم يوم أحد بأثره ، قال : فولي سعد أمر
 النّاس بالقادسية ، وأصابه جراح ، فلم يشهد يوم
 الفتح ، أي فتح القادسية ، فقال رجل من بجيلة :

ألم تر أنّ الله أظهر دينه
 وسعد باب القادسيّة معصم (٢)

[٢٦ و] فأبنا وقد أمّت نساء كثيرة
 ونسوة سعد ليس فيهنّ أيّم

فقال سعد : اللهمّ أكفنا يده ولسانه ، فجاء
 سهم عذب فأصابه فخرس ويبست يداه جميعاً ، وقد
 روي الطّبراني هذه القصة بأسنادين ، رجال أحدهما
 ثقات .

(١) المعجم الكبير للطبراني ١/١٠٥ .

(٢) ذكر أبو نعيم البيهقي والدعوة والاستجابة في دلائل النبوة ٢/٢٠٧ .

(عن قبيصة بن جابر قال : قال ابن عم لنا يوم القادسية :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ نَصْرَهُ

وذكرَ البيتين المتقدمين ، قال : فبلغَ سعداً قوله ، فقال : اللهمَّ أكفني لسانَه ' ويده ' ، فجاءتْ نشابةٌ فأصابَتْ فاهُ فخرسَ ، ثُمَّ قُطِعَتْ يدهُ في القتالِ ، فقالَ سعدٌ : احملوني على بابِ فخرجوا بهِ محمولاً ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ ، وفيه قروحٌ ، فأخبرَ النَّاسَ بعذْرِهِ فعذروه ، وقالَ : وكانَ سعدٌ لا يجبنُ ^(١) ، وفي روايةٍ ^(٢) :

يقاتلُ حتى ينزلَ اللهُ نصرَه

وقالَ : وقُطِعَتْ يدهُ وقُتِلَ .

ومنها ما قاله ' عامرُ بن سعد ' قالَ : (بينما سعدٌ يمشي إذ مرَّ برجلٍ ، وهو يشتمُ عليَّ وطلحة والزُّبيرَ فقالَ له ' سعدٌ : إِنَّكَ لتشتُمُ أقواماً قد سبَقَ من الله ما سبقَ ، والله لتكفنَ عن شتمهم ، أو لأدعونَ الله عزَّ وجلَّ عليك ، قالَ : يخوفني كأنَّه نبيٌّ ، قالَ سعدٌ : اللهمَّ إِنْ كَانَ هذا يشتمُ أقواماً قد سبقَ لهم منك ما سبقَ فاجعله اليومَ نكالا ، فجاءت نجيبةٌ

(١) المعجم الكبير ١/١٠٣ .

(٢) المعجم الكبير ١/١٠٣ .

فأفرج النَّاسَ لها فتخبَّطته ، فرأيت النَّاسَ يتبعون سعداً يقولون : إستجابَ اللهُ لك يا أبا إسحاق (١) ،
رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

وفي رواية ذكرها الحافظ جمال الدين [٢٦٦ ظ]
محمد الزَّرندي (٢) عن صُدِّي قال : (بينا أنا أَلْعَبُ ،
وأنا غلامٌ عندَ الزَّيْتِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيَّ بِعَيْرٍ ،
فوقفَ يسبُّ عَلَيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فحفَّ به النَّاسُ
ينظرونَ إليه ، فبينما هم كذلك إِذْ طلعَ سعدٌ - يعني
ابن أبي وقاصٍ - فقال : ما هذا ؟ قالوا : يشتُمُ عَلَيَّ ،
فقال : اللهمَّ إِنِّ كَانَ يشتُمُ عبداً صالحاً فأرَّ المسلمونَ
خزيه ، فما لبثَ أَن تَعَثَّرَ به بعيره فسقطَ واندقتْ
عنقه ، وخبطه بعيره فكسَّره وقتله) (٣) .

وذكر ابن أبي الدنيا (٤) في كتاب مجابي الدعوة
أنَّ امرأةً كانت تطلعُ على سعدٍ فنهاها فلم تنته ،

(١) المعجم الكبير ١/١٠٢ ، المستدرك للحاكم ٣/٤٩٩ ، دلائل النبوة
٢٠٦/٢ ، ٢٠٧ .

(٢) هو محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي ، ولد في المدينة المنورة
سنة (٦٩٣هـ) ، ودرس على علمائها ، وتولى التدريس فيها بعد أبيه ،
ورحل الى شيراز ، وتولى القضاء فيها ، وتوفي فيها سنة (٧٤٧هـ) .
ترجمته في الدرر الكامنة ٤/٢٩٥ ، الاعلام ٨/٢٦ .

(٣) كتاب مجابي الدعوة ص ٢٤ .

(٤) هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي مولى بني امية
المعروف بابن ابي الدنيا توفي في بغداد سنة (٢٨١هـ) ، ترجمته في
مقدمة كتاب مجابي الدعوة ص ٦ .

فقال : (شاه وجهك ، فعاد وجهها في قفاها) (١) .
وقد إتفق لسعيد بن زيد أحد العشرة في الدُّعاء على
من نسب إليه ظلماً نحو ما إتفق لسعد رضي الله
عنهما ، ففي أخبار العقيق للزبير (٢) بن بكار عن العلا
بن عبد الرحمن عن أبيه أن أروى (٣) بنت أوس إستعدت
مروان بن الحكم ، وهو والي المدينة على سعد بن زيد
في أرضه بالشجرة وقالت : أخذ حقي ، وأدخل
صغيرتي في أرضه ، فقال سعيد : كيف أظلمها ؟ وقد
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول : (من اقتطع شبراً من أرض طوّقه الله من
سبع أرضين يوم القيامة) (٤) ، وترك لها ما ادّعت ،
وقال : اللهم إن كانت أروى ظلمتني فاعم بصرها ،
واجعل قبرها في بئرها ، فعمت أروى ، وجاء سيل
فأبدى عن صغيرتها ، وحقها خارجاً [٢٧ و] عن حق
سعيد ، فجاء سعيد إلى مروان ، فقال له : أقسمت
عليك لتركن معي ولتنظرن إلى صغيرتها ، فركب
معه بالناس حتى نظروا إليها ، قال : ثم إن أروى

(١) كتاب مجابي الدعوة ص ٢٣ .

(٢) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الاسدي المكي ، ولد في المدينة
المنورة سنة (١٧٢هـ) ، وهو من أحفاد الزبير بن العوام ، عالم
بالأنساب وأخبار العرب ، توفي سنة (٢٥٦هـ) في المدينة المنورة ،
ترجمته في تاريخ بغداد ٤٦٧/٨ ، الاعلام ٧٤/٣ .

(٣) المعجم الكبير ١١٢/١ ، وفيه عن هشام بن عروة عن أبيه ، وذكر
القصة مع اختلاف في اللفظ ، والحديث فيه : (من سرق شبراً من
الأرض ... الخ) .

(٤) المعجم الكبير ١١٢/١ .

خرجت بعد ما عميت ، فوقعت في البئر فماتت ،
والقصّة في صحيح مسلم باختصار ، وفي رواية
للزبير أيضاً أنّها سألت سعيداً أن يدعو لها ، وقالت :
إنّني ظلمتك ، فقال : لا أردّ على الله تعالى شيئاً
أعطانيه ، وكان أهل المدينة يدعو بعضهم على بعض ،
فيقول : أعماك الله كما أعمى أروى يريدونها ، ثمّ
صار أهل الجهل يقولون : أعماك الله أعمى الأروى
يعنون التي في الجبل يظنونها شديدة العمى انتهى .

وقد أخرج الإمام أحمد في المناقب عن عليّ عن
زاذان : (إنّ عليّاً رضي الله عنه حدث حديثاً
فكذّبه رجل ، فقال رضي الله عنه : أدعو عليك
إن كنت صادقاً ؟ قال : نعم ، فدعا عليه فلم ينصرف
حتّى ذهب بصره) (١) ، وهو من قبيل الغيرة لمقام
الصّحبة أيضاً والحرص على نزاهته ، وكما يُغار
لمقام الصّحبة ، يُغار أيضاً لمقام الورثة ، وهو مقام
العلم ، وعليه يُحمّل ما وقع الكثير من السّلف ، فمن
ذلك ما رواه مهدي بن ميمون ، قال : حدّثنا غيلان بن
جرير أنّ مطرف بن عبد الله بن الشّخير : (كان بينه
وبين رجل كلام فكذّب عليه ، فقال مطرف : اللهم
إن كان هذا كاذباً فأمتّه ، فخرّ مكانه ميّتاً ، فرُفع
ذلك الى زياد ، فقال : قتلت الرجل ، قال : لا ولكنها
دعوة وافقت أجلاً) (٢) .

(١) كتاب مجابي الدعوة ص ١٩ .

(٢) كتاب مجابي الدعوة ص ٥٣ ، وفيه عن حميد بن هلال ، مع اختلاف

في الفاظ الكلام .

فصل

فإن قيل قد تشاهد ممّن يوصف [٢٧ ظ]
بالفقه والعلم وارتكاب المعصية ، وهذا هو المسقط
لمقامهم ، والمانع من اعتقاد الولاية فيهم .

قلنا : (العالم من عمل بعلمه ، ووافق علمه
عمله) (١) كما قال علي رضي الله عنه فيما رواه
الدارمي في مسنده ، وقال سفيان : (إن أنا عملت
بما أعلم ، فأنا أعلم الناس ، وإن لم أعمل بما أعلم
فليس في الدنيا أحد) (٢) أجهل مني (٣) رواه الخطيب
البغدادى في الجامع ، وقال أبو الدرداء رضي الله
عنه : (لا يكون المرء عالماً حتّى يكون بعلمه عاملاً) (٤)
رواه ابن حبان والبيهقي ، وقال الشعبي : العالم من
يخاف الله ، وقال الحسن : (إنّما الفقيه الزاهد في
الدنيا ، الرّاغب في الآخرة ، البصير بأمر دينه ،
الداوم على عبادة ربه) (٥) . وقال مجاهد : (إنّما
الفقيه من يخاف الله) (٦) ، روى ذلك عنهم الدارمي

(١) سنن الدارمي ٨٩/١ وفيه عن علي : (فأنما العالم من عمل بما علم
ووافق علمه عمله) .

(٢) (أحد) : ساقطة من (ب) .

(٣) الجامع ٢٦/١ .

(٤) في سنن الدارمي ٧٦/١ عن أبي الدرداء : (لا يكون المرء عالماً حتّى
يكون بعلمه عاملاً) .

(٥) سنن الدارمي ٧٦/١ .

(٦) سنن الدارمي ٧٦/١ .

في مسنده ، فلا علم إلا ما نفع صاحبه أولاً ، وهو المخذل للهوى ، وتكتنفه الخشية والا نابة على ما يشير إليه قوله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (١) . وكذا جاء في رواية عن إمامنا الشافعي رحمه الله كما سبق عن البيهقي : (إن لم يكن الفقهاء العاملين أولياء فما لله ولي) (٢) . وأيضاً فالكرامة العظمى للولي هي الاستقامة ، وهي التي جعلت على الولاية علامة ، غير أن وجوب العصمة إنما هو للأنبياء فقط ، ولذا قال الامام أبو القاسم (٣) القشيري في باب إثبات كرامات الأولياء من رسالته ما لفظه : (فأن قيل فهل يكون الولي معصوماً ؟ قيل إماماً وجوباً كما يقال في الأنبياء فلا ، وإماماً أن تكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب وإن حصلت [٢٨ و] هفاة ، أو هفوات ، أو زلات فلا يمتنع ذلك في وصفهم ، فقد قيل للجنييد : العارف يزني يا أبا القاسم ؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً) (٤) انتهى .

(١) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

(٢) مناقب الشافعي ١٥٥/٢ .

(٣) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الامام العالم المتصوف المشهور ، ولد سنة (٣٧٦هـ) ، وتوفي سنة (٤٦٥هـ) .

(٤) الرسالة القشيرية في علم التصوف باب كرامات الاوليا ص ١٦٠ .

وعن هذا قال ابن عبدالسلام^(١) في أماليه كما رأيته بها ، ونقله عنه العلامة الكمال الدميري : إن الولي إذا قال : أنا الله عزَّرتَّ التعزير الشرعي ، ولا ينافي ذلك الولاية ، لأنَّهم غير معصومين انتهى .

قلت : وليس منافياً لقول القشيري في موضع آخر من شرط الولي أن يكون محفوظاً ، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً ، فكل من كان للشرع عليه اعتراض ، فهو مغرور مخادع انتهى . لأن مراده من كان للشرع عليه اعتراض بالاصرار على الذنوب ، بدليل كلامه السابق ، فالحاصل أنَّهم محفوظون ، وإن حصلت منهم هفوة تداركهم مولاهم بالإنابة والتوبة سريعاً ، فلا يصرون على الذنوب ، لأنَّ النور الرباني المخامر لقلوبهم يمنعهم من ذلك ، كما قال تعالى : (إنَّ الذين اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)^(٢) أي فيسترجعون من الشيطان ما اختلسه ويستردون منه ما افترسه ، لا نبعاث جيوش الاستغفار والذلة إلى الله والافتقار

(١) هو عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الملقب بسلطان العلماء ، ولد بدمشق سنة (٥٧٧هـ) ، ونشأ فيها ودرس على أساتذتها ، زار بغداد وعاد إلى دمشق ، وتوجه إلى القاهرة ، وتولى القضاء فيها ، توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ) ترجمته في فوات الوفيات ٢٨٧/١ ، النجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ ، مفتاح السعادة ٢١٢/٢ ، الاعلام ١٤٤/٤ .

(٢) سورة الاعراف الآية : ٢٠١ .

وانقشاع سحب الغفلة ، وإشراق شمس البصيرة ،
فلا يدعهم تقواهم للإصرار على معصية مولاهم ، بل
رُبَّمَا كَانَ حَالُهُمْ بَعْدَ الْمَخَالَفَةِ أَتَمَّ مِنْ حَالِهِمْ قَبْلَهَا ،
لعظيم ما ينشأ عن ذلك من الذلَّة والانكسار ،
وعظيم الخضوع والالتجاء للمولى عزَّ وجلَّ ، وذلك هو
الحكمة في جريان المخالفة [٢٨ ظ] عليهم كما أشار
إليه بعض العارفين ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (اللَّهُ وَلِيُّ
الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) (١) ،
فَأَفْهَمَ أَنَّهُمْ قَدْ يَدْخُلُونَ فِي الظُّلُمَاتِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ
لَوْلَايَتِهِ إِيَّاهُمْ يَتَوَلَّى إِخْرَاجَهُمْ كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى :
(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ الْآيَةَ) (٢) . وهو مسوق
مَسَاقَ الْمَدْحِ لَهُمْ . وعن هذا قال بعض العارفين : من
سبقت له العناية لم تضره الجناية ، وأما من يصر
على الذنوب الظاهرة والباطنة فلم يمازج العلم
منه الجنان ، وإن حصل منه على لقلقة اللسان ،
وهو المضروب له المثل بقوله تعالى : (كمثل الحمار
يَحْمِلُ أَثْقَارًا) (٣) ، وهو المعنى بحديث أُسَامَةَ
بن زيد مرفوعاً : (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَيَتَنَدَّقُ أَقْتَابَهُ فَيَدُورُ بِهَا
كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٧ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٥ .

(٣) سورة الجمعة الآية : ٥ .

فيقولون : يا فلان ! ما شأنك ؟ أأست كنت تأمر
 بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم
 بالمعروف ، ولا آتية ، وأنهاكم عن الشر وآتية (١) ،
 الحديث رواه البخاري ومسلم ، واللفظ له ، ومثل
 هذا هو المعنى بحديث عمران بن حصين مرفوعاً : (إن
 أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم
 اللسان) (٢) ، رواه الطبراني في الكبير والبيهقي ،
 ورواه محتج بهم في الصحيح ، وفي حديث علي
 رضي الله عنه عند الطبراني في الصغير والأوسط
 نحوه ، وعن جابر رضي الله عنه : (العلم علمان : علم
 في القلب فذاك العلم النافع ، وعلم على اللسان
 فذاك حجة الله على ابن آدم) (٣) ، رواه الخطيب
 البغدادي في تاريخه بإسناد حسن ، ورواه [٢٩ و]
 الدارمي عن هشام عن الحسن مرفوعاً ، فالثاني لا
 ينصرف إليه اسم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ،
 وهم العلماء العاملون الأبرار المتقون الذين آل إليهم
 العلم الموروث بالصفة التي كان عليها عند
 المورث ، لا من علمه حجة عليه ، وقد منعه سوء
 ما لديه من خبث نيته ، وسوء طويته ، واتباع

(١) صحيح البخاري ١٤٧/٤ ، صحيح مسلم ٢٢٤/٨ ، مسند ابن حنبل
 ٢٠٥/٥ .

(٢) مسند الامام ابن حنبل ٢٢/١ ، المعجم الصغير للطبراني ٩٣/٢ ،
 المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٩٢/٣ ، مع اختلاف بالألفاظ
 بالمصادر المذكورة .

(٣) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٩٠ ، وفيه عن الحسن .

شهوته من أن يلج نور العلم قلبه ، ويخالط لبّه ،
فأورده النّار ، وبئس الورد المورد .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : (أَشَدُّ
النّاس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفعه الله
بعلمه) (١) ، رواه الطّبراني في الصغير والبيهقي في
الشّعب .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : (مَنْ
تعلّم علماً لغير الله ، أو أراد به غير الله
فلتَبَوَّأ مقعده من النّار) (٢) ، رواه الترمذي
وابن ماجة . وقد جرت عادة الله عزّ وجلّ بتمييز هذا
القسم من المنتسبين للعلم عمّن يقتدي به منهم
بإظهار ما يخفيه من مضمراته ، وكشف ما يستتره
من عوراته خصوصاً المنهمك في الدّنيا والمستعبد
لأهلها ، ليميّز الله الخبيث من الطّيب ، ومثل هذا
يتعيّن مجانبته واتقاه .

فعن بشر (٣) رحمه الله : (أوحى الله تعالى الى داود
عليه الصّلاة والسّلام لا تجعل بيني وبينك عالماً

(١) المعجم الصغير للطبراني ١/١٨٢ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله
ص ٨٤ ، زوائد المعجمين ١/٣٠ .

(٢) صحيح الترمذي ١٠/١٢٣ ، سنن ابن ماجة ١/٩٥ .

(٣) هو ابو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن
ماهان بن عبد الله الحافي ، اصله من مرو ، توفي سنة (٢٢٧هـ) في
بغداد . ترجمته في حلية الأولياء ٨/٣٣٦ - ٣٦٠ ، الرسالة القشيرية
ص ١١٠ .

مفتوناً فيصدك بسكره عن محبتي ، أولئك قطاع الطريق على عبادي (١) .

قلت : والذي يرشدك الى أن مثل هذا لم يلج نور العلم قلبه ، إن من شهد قلبه أن الله هو الفعال لا غيره ، وأنه لا نافع ولا ضار إلا هو ، وأن قلوب جميع العباد بيده ، وأنه لا يناله من الدنيا إلا ما قسمه وقدره له ، كيف يقصد بعلمه [٢٩ ظ] النفيسة غير الله تعالى من إستجلاب الدنيا الخسيسة ، وقد مازج قلبه (٢) العلم ، بأنه لا يأتيه مع ذلك إلا ما قدر له منها ، وأن هذا القصد لا يفيد من الدنيا شيئاً أصلاً سوى خسران نصيبه من الآخرة التي علم نفاستها ، وأن الإخلاص في العلم أعظم أسباب الوصول إليها ، فلا يدوم على ذلك القصد السيئ إلا من لم يؤمن بهذا العلم ، فهو كافر والعياذ بالله ، أو لم يمازج هذا العلم قلبه ، لسكره بدنياه وهواه ، فمنعه السكر من الرجوع لهذا العلم ، فهذا لا عقل له ، فكيف يُعَدُّ في العلماء ، ولهذا قال سفيان بن عيينة - فيما رواه الدارمي - : (أجهل الناس من ترك ما يعلم ، وأعلم الناس من عمل بما يعلم) (٣) . فالعلم يمنع أهله أن (٤)

-
- (١) تذكرة السامع والمتكلم ص ١٤ .
(٢) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : (مازج العلم قلبه) .
(٣) سنن الدارمي في ٨٠/١ .
(٤) كذا في الاصل ، وفي (م) ، (ب) (عن أن) ، وما ذكرناه أفضل .

يقصدوا به شيئاً من الأعراض التي لا تفيده ، ولا يصل اليهم منها إلا ما قدّر لهم ، ولهذا قال بعضهم : (طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا الله) (١) ، وهو ما أشار إليه الحسن بقوله - فيما رواه الدارمي - : (لقد طلب أقوام العلم ما أرادوا به الله ، ولا ما عنده ، فما زال بهم العلم حتى أرادوا به الله وما عنده) (٢) ، وروى الدارمي أيضاً عن مجاهد قال : (طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كثير نيّة ، ثم رزق الله بعد فيه النيّة) (٣) .

وأما قول إمامنا الشافعي قدّس الله روحه - فيما رواه البيهقي - : (من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم) (٤) ، فلا يتوهم منه الرخصة في أن يراد بالعلم تحصيل الدنيا ، بل مراده أن العلم ثمر لصاحبه ما يقصد تحصيله من الفوائد الدنيويّة والآخرويّة إذا طلبه من وجهه المشروع ، [٣٠ و] أمّا من كانت نيّته في طلبه أرادة تحصيل الدنيا ، فإنّه يحرم الدنيا والآخرة . ففي حديث لزيد بن ثابت رضي الله عنه مرفوعاً : (ومن كانت الدنيا نيّته فرّق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ، ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب

(١) سنن الدارمي ٨٥/١ .

(٢) سنن الدارمي ٨٥/١ .

(٣) سنن الدارمي ٨٥/١ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ١٠٧ .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ١٣٩/٢ .

له' ، ومن كانت الآخرة نيته' ، جمع الله أمره' ،
 وجعل غناه' في قلبه وآتته' الدنيا وهي راغمة' (١) ،
 رواه ابن حبان في صحيحه وغيره' ، فقوله' : (وآتته'
 الدنيا وهي راغمة') هو ما أراده إمامنا الشافعي
 رحمه الله' ، فلا تشتبه' (٢) عليك الأُمُور' ، ولا تترك
 اعتماد الولاية للعلماء بما يقع' من المتشبهين بهم' ،
 فسمت العلماء وهديهم ودلهم لا يخفى ، وقد استدل
 ابن عبد البر' ومن وافقه' بحديث أبي هريرة مرفوعاً :
 (يحمل' هذا العلم من كل خلف عدوله' ، ينفون عنه'
 تحريف الغالين' ، وتأويل الجاهلين' ، وانتحال
 المبطلين') (٣) . أخرجهُ كما سبق الخطيب' في الجامع
 مع ما رواه' بأثره من قول عيسى بن صبيح : إنه'
 صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم علي ما
 ذهبوا إليه من أن كل من حمل العلم ولم يتكلم فيه
 يتحرَّج ، فهو عدل' فما ذاك بمن ظهرت عدالته' ،
 وحسن هديه' وذله' من غير ثبوت ما يقتضي خلاف
 ذلك ، فهذا هو الذي يعتقد ولايته ، وقد رُكبت مرّة'
 وسرت' مع شيخني شيخ الإسلام فقيه العصر شرف

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٢٢ .

(٢) أي قول الشافعي : (ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم) .

(٣) الجامع ٦٣/١ ، مناقب الشافعي ٧/١ رواه عن إبراهيم المعدري
 عن أبيه ، وفيه تقديم وتأخير في الأخير ، وأوله (يرت) .

الدين يحيى المناوي^(١) تغمّده 'الله' برحمته من منزله بالبندقانيين^(٢) من القاهرة المعزية^(٣) الى الجزيرة^(٤) الوسطى ، فمررنا بقوم جلوس ، فوقع في النفس بعض الشّيء من بعضهم ، فجال ذلك في نفسي ، فكاشفني به شيخنا المشار' اليه ، وقال لي : جميع هؤلاء أعتقد [٣٠ ظ] ولايتهم لأتّي ما علمت من أحد منهم تقصيراً في شيء من حقوق الله ، أو حقوق عباده ، قال : وقد أخبرني شيخنا الشيخ وليّ الدين ، يعني شيخ الاسلام أبا زرعة الحافظ زين الدين العراقي مذاكرة أنّه ركب مع شخص من المكارية من طائفة الرّيافة ، قال : فقلت في نفسي وقد خاضت في الأمل : لو كان لي أربع زوجات في أربع مساكن ، وفي كلّ مسكن من الكتب التي أحتاجها نظير ما في بقية المساكن ، قال : فرفع ذلك المكارى طرفه إليّ ، وكان يبدّل في نطقه القاف كافاً ، فقال :

(١) هو ابو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن احمد ، شرف الدين بن سعد الدين الحداوي المناوي ، ولد سنة (٧٩٨هـ) ، ونشأ في القاهرة ودرس فيها الى ان اصبح من كبار الفقهاء فيها ، ولحق قضاء الديار المصرية ، وقد صنف عدة مصنفات ، توفي سنة (٨٧١هـ) ترجمته في الضوء اللامع ١٠/٢٥٤ - ٢٥٧ ، حسن المحاضرة ١/٢٥٣ ، شذرات الذهب ٧/٣١٢ ، الاعلام ٩/٢١٢ .

(٢) حي من احياء القاهرة . انظر القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٦٥ .

(٣) اي التي أمر ببنائها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله .

(٤) تكونت نتيجة لتفرع نهر النيل في القاهرة . القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٣٣ .

يا فكيه ، ما هذا الأمل ؟ أربع زوجات ، وأربع مساكن ،
وفي كل مسكن من الكتب نظير ما في الآخر ، قال :
فترجلت عن دابته ، وقلت له : أنت أحق أن
تركب ، وأمشي في خدمتك ، فقال : لا والله لأن لم
تركب ، ذهبت عنك بدابتي ، قال : فركبت معه ،
فلما وصلنا إلى الرملة (١) ، قال لي : يا فكيه (٢) ، ركب
معى مرة شخص من الأتراك ، فلما وصل إلى هذا
الموضع نزل عن الحمار ، فقلت له : الكرا أعطيتة ،
فرفع المكرعة وضربني بها ، والله لو قلت للأرض :
إبتلعيه لابتلعتة (٣) ، فذهبت يا فكيه ، وتركتة . ثم
قال لي شيخنا : فطائفة المكارية فيهم الأولياء ، وكذا
غيرهم ، وحسن الظن ربح ، وسوء الظن حرمان ،
أو قال : خسران ، فعلمت أنه كاشفني بما وقع
في نفسي .

فصل

قد رأيت أن أستطرد هنا ما وقع (٤) لي مع
شيخنا شيخ الاسلام الشرف المناوي المشار إليه من
المكاشفات الدالة على ولايته مع الإشارة إلى شيء
مما وقع لي مع غيره من المشايخ العلماء ، [٣١ و]

-
- (١) حارة في القاهرة تقع في طريق القلعة ، القاهرة ص ١٣٠ .
(٢) أي (يا فقيه) ، أبدل الكاف من القاف ، وهي اللهجة العامية المصرية .
(٣) في (م) (ابتلعتة) وما أثبتناه أصح .
(٤) هذا اعتراف بالفضل من المصنف لاساتذته الذين امدوه بالعلم
والمعرفة .

ليزولَ ما يستبعدهُ بعضُ النَّاسِ من إثباتِ الولايةِ
للعلماءِ في زماننا .

أمّا شيخنا شيخ الاسلام المشار اليه ، فقد وقعَ لي
معهُ المكالفةُ الصّريحةُ مراراً كثيرةً .

منها ما سبقَ آخرَ الفصلِ قبله لما وقعَ في نفسي
ممنّ مررنا به في المسيرِ معهُ ما وقعَ ، وبلطفه في
إزالتهِ بما سبقَ رحمهُ الله .

ومنها أنّي كنتُ في مجلسِ درسهِ بالمدرسةِ
القُطبيّةِ تجاهَ منزلهِ ، وكانَ يحضرُ مجلسهُ الجُمُ
الغفيرُ من الطّلبةِ ، فَجَرى ذكرُ بحثٍ لشيخه شيخ
الاسلام الولي أبي زُرعة بن الزّين العراقي ، فاستحسنه
الجماعةُ ، فأعجبَ ذلكَ شيخنا ، وقالَ : ما رأيتُ مثلَ
شيخنا الشّيخِ ولي الدّينِ ، ولا رأى الشيخُ ولي الدّينِ
مثلَ نفسه ، فقلتُ في نفسي - من غير أنْ أنطقَ
بحرفٍ - : كيفَ يقولُ هذا ، وقد رأى الشيخُ ولي
الدّينِ شيخهُ شيخَ الاسلام السّراجَ البلقيني^(١) ،
وهو أفقهُ من تلميذه الشيخِ ولي الدّينِ ، ولم يخطرْ
ببالي حينئذٍ من مشايخ الشيخِ ولي الدّينِ ، ولم يخطرْ

(١) هو أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني
الأصل ثم البلقيني ، ولد في بلقينة بمصر سنة (٧٢٤هـ) ، وتعلم في
القاهرة وأصبح عالماً وفقيهاً مشهوراً ، سافر الى الشام وولي القضاء
فيها ، ثم رجع الى القاهرة واشتغل بالتدريس ، وتوفي سنة (٨٠٥هـ) .
ترجمته في الضوء اللامع ٨٥/٦ ، شذرات الذهب ٥١/٧ ، الاعلام
٢٠٥/٥ .

لي الشيخ جمال الدين الأسنوي^(١) ، ولا ابن النقيب^(٢) وغيرهما من مشايخه ، فلم يتم هذا الخاطر حتى أقبل علي شيخنا شيخ الاسلام من بين الجماعة كلهم ، وقال لي : الشيخ سراج الدين البلقيني كان فقيها ، ووالد الشيخ ولي الدين كان محدثا ، فأخذ عن الأول الفقه ، وأخذ عن الثاني الحديث ، فجمع بينهما ، ففي هذا الجمع لم ير مثل نفسه ، فعلمت أنه كاشفني بما جال في نفسي ، لتخصيصه إياي من بين الجماعة بذلك على الوجه المذكور ، فخرجت واستحيت منه [٣١ ظ] لعلمي باطلاعه على ما خطر لي ، فلما انصرفت من ذلك المجلس مشيت مع أحد أكابر أصحابه وتلامذته شيخنا الامام العلامة الشمس الجوجري^(٣) تغمده الله برحمته فذاكرته

هو عبدالرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي جمال الدين ، فقيه اصولي من علماء العربية ، ولد باسنا من أعمال مصر سنة (٧٠٤هـ) ، انتهت اليه رئاسة الشافعية ، توفي سنة (٧٧٢) في القاهرة . ترجمته في البدر الطالع ١/٣٥٢ ، الدرر الكامنة ٢/٢٥٤ ، الاعلام ٤/١١٩ .

(٢) ابن النقيب كنية لكثير من الاشخاص لا يمكن الفرقة بين اسمائهم لعدم ورود ما يدل على اسم هذا الشخص . ينظر الاعلام ٩/٢٠-٢١ .

(٣) هو محمد بن عبدالمنعم بن محمد بن محمد بن عبدالمنعم بن أبي طاهر اسماعيل الشمس بن نبيه الدين الجوجري ، ولد بجوجر سنة (٨٢١هـ) ، وتحول منها الى القاهرة وتلقى تعليمه على اساتذتها ، وصار فقيها وناب في القضاء ، ثم تعفف عن مناصب الدولة ، وتوفي سنة (٨٨٩هـ) في مصر . ترجمته في الضوء السامع ٨/١٢٣ - ١٢٦ ، البدر الطالع ٢/٢٠٠ ، الاعلام ٧/١٣٠ .

بذلك ، وذكرت له 'حكمة إقباله عليّ بذلك القول من بينهم ، فذكر لي أشياء كثيرة من العجائب إتفقت له معه أيضاً ، وأنه كان يذكر له ما يصدر من بعض أقارب الشمس من الأذى في ابتداء أمره ، مما لم يطلع عليه أحد من الناس ، ويسأله عن ذلك .

ومنها أنّ الطّاعون كثر وفشا ، وأنا مقيم بالقاهرة في رحلتي إليها سنة أربع وستين وثمانمائة ، فترددت في السفر لوالدي وأهلي ، ومنعني من الجزم به خشية أن يكون ذلك من الفرار (١) ، لأنّه لم يكن في وقت سفري المعتاد ، فعزمت على استشارة شيخنا شيخ الاسلام ، فرأيت تلك الليلة في منامي أنّي خلف جدار ، وأمامه جماعات يرمون السّهام على النّاس ، والجدار حائل بيني وبينهم ، ثمّ رأيت كتاباً فتناولته ، فاذا مكتوب عليه بذل الماعون في رفع الطّاعون ، ولم تطرق هذه التّسمية سمعي قبل ذلك ، فلمّا أصبحت أتيت الى مجلس الدّرس ، فلمّا هممت أن أبدأ شيخنا المشار اليه بالكلام في ذلك ، بدأنني هو وقال لي : لم لا تسافر لوالدك ؟ سافر اليه فإنّه في أمر عظيم عليك .

(١) يقصد بذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه عبد الرحمن بن عوف : (اذا وقع الطاعون بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ، واذا وقع بارض ولستم بها فلا تدخلوا عليه) .
المعجم الكبير ٩٠/١ .

فقلت 'له' : ما جلست هذا المجلس إلا للاستشارة في ذلك ، فما حال هذا السّفَر بالنسبة الى الفرار المنهي عنه ؟ فقال لي : أنت لا تقصد الفرار ، وإنما تقصد تطمين خاطر والدك والأهل ، ثم قال : [٣٢ و] وأيضا فقد بلغني أنّ الطّاعون إنتشر في تلك الجهات ، والفرار إنّما يتحقق في الخروج من موضع هو فيه الى موضع ليس هو فيه . فأنشرح الخاطر للسّفَر ، ثم قصصْتُ عليه الرؤيا السّابقة ، فبشّرني بالسّلامة من الطّاعون ، ثمّ سألني عن الكتاب المذكور : هل تعرفه ؟ فقلت : لا ولم تطرق سمعي هذه التّسمية قط . فقال : هو كتاب " ألفه الحافظ بن حجر (١) ، وأنا قد إختصرته . وذكر لي بعض ما اشتمل عليه ممّا يتحصّن به من الطّاعون ، ثمّ ودّعته وسافرت في مركب البلاد ، فطعن جميع من في المركب ، ومات غالبهم ، ولم يسلم منهم من الطّعن غيري ، فلمّا وصلت للوالد عاتقني وبكى ، ولم يكن ذلك من عادته معي ، ووجدته - كما أخبر شيخنا - في أمر عظيم ، لغيبتي عنه في مثل ذلك الوقت ، وحماني الله من الطّاعون الى وقتي هذا ، ثمّ أسكنني طيبة المحفوظة منه ، فله الحمد والمنة .

(١) هو أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ولد فيها سنة (٧٧٣هـ) ، ولع بالادب ثم أقبل على الحديث ، وأصبح حافظ الاسلام في عصره ، ولي القضاء في مصر ، وتوفي سنة (٨٥٢هـ) في القاهرة . ترجمته في الضوء اللامع ٣٦/٢ ، البدر الطالع ٨٧/١ ، الاعلام ١٧٣/١ .

ومنها انِّي كنتُ أَيْامَ اشتغالي بالعلمِ بالمدرسة (١) المؤيدية (٢) داخلاً بابِ زويلة (٣) ، فَصَلَّيتُ العِشاءَ خلفَ إمامها قربَ خلوتي بمؤخرها ، فاعتقدتُ عندَ التكبيرِ لقيامِ الرَّابِعةِ أَنَّهُ فرغَ منها ، وَأَنَّهُ جالسٌ للشَّهَدِ الأخيرِ ، فجلستُ أَتَشْهَدُ ، فلم أَتذكرْ إلاَّ عندَ تكبيرهِ للركوعِ ، فترددتُ في أَنِّ أقومَ فأركعَ معَ الإمامِ وتسقطُ عَنِّي القراءةُ كالسَّاهي عن القُدوة (٤) إذا رفعَ رأسَهُ من السَّجودِ ، فتذكرُ القُدوةَ عندَ ركوعِ الإمامِ ، أو أَقرأ الفاتحةَ ، وأُسعى خلفَ الإمامِ ، كمن سَهى عن قراءةِ الفاتحةِ ، حتَّى ركعَ الإمامُ ، [٣٢ ظ] فلمَّا لم يترجَّحْ عِنْدِي في ذلكَ شيءٍ ، نويتُ المفارقةَ وأتممتُ الصَّلَاةَ مُفْرَداً ، فلمَّا حضرَ درسُ شيخنا المِشارِ اليه من الغدِ ، أردتُ أَنِّ أسألهُ عن ذلكَ فبادرني وقالَ : وقعتُ مسألةً سئَلنا عنها بالأمسِ ، ثم ذكرَ صورةَ واقعتي بعينها ، ثم ذكرَ ما أَجابَ بهِ ، وَأَنَّ بعضَ أَهلِ العصرِ خالفهُ ، وذكرَ جوابَهُ ، فوجدتُ كلاًّ منهما قد تمسَّكَ بأحدِ الاحتمالينِ المتقدمينِ ، فقلتُ لهُ : يا سيدي ، هذهِ واقعتي الليلةَ ،

(١) مدرسة بناها السلطان المؤيد شيخ المحمودي سنة (٨١٩هـ) تقع قرب جامع المؤيد ، أو فيه . ينظر القاهرة تاريخها وآثارها ص ٥٧ ، ١٦٨ .

(٢) في (م) : (المؤيدة) ، وهو تحريف .

(٣) أحد أبواب سور القاهرة ، القاهرة تاريخها وآثارها ص ١٣ ، ١٧٧ .

(٤) القُدوةُ أو القُدوةُ : لما يُقتدى بهِ ، أو لما تسننتَ بهِ . لسان العرب مادة (ق د ا) .

وقد ترددت فيها ، فنويت 'المفارقة' ، وأتممت صلاتي ، فأعجبه ذلك ، وهذه المسألة 'بخصوصها ليست منقولة' في كلام الأصحاب ، وقد أوضحت 'الراجح' فيها في كتابي 'إكمال المواهب' (١) الذي ذيّلت به على رسالتي في مسألة 'المسبوق المسماة بمواهب الكريم' 'الفتاح في المسبوق' 'المشتغل بالاستفتاح' (٢) ، فراجعه .

ومنها انه 'وقع لي قرب سفري الى الحجاز الشريف ما يقتضي الامتناع عن الناس' ، فقال لي يوماً : يا فلان ، الشخص 'إذا أقبل على الله عز وجل يقبل الناس' عليه أولاً ثم ينحرفون عنه ويؤذونه ، لأن سنة الله تعالى في عباده قد جرت بابتلائهم واختبارهم تطهيراً لهم من السكون الى الخلق ، وتخليصاً لهم من الالتجاء لغير الحق ، قال تعالى : (أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (٣) ثم حكى أن شيخه 'السيد الشريف الطباطبي كان بخلوته التي بجامع عمرو بن العاص بمصر العتيقة ، فتسلط عليه شخص من أمراء الأتراك يقال [٣٣ و] له 'قرقماش' (٤)

(١) كتاب للمصنف ذكر في هدية العارفين ١/ ٧٤٠ .

(٢) كتاب للمصنف ذكر في هدية العارفين ١/ ٧٤٠ .

(٣) سورة العنكبوت الآيتان : ١ ، ٢ .

(٤) هو قرقماش الشهباني برقوق ثم الناصري ، ويعرف بـ (قرقماش

أهرام ضاغ) يعني : جبل الأهرام لكبره ، أصله من كتابية (الظاهر ،

ثم ملكه ابنه فاعتقه ، وعمله خاصكيث ، وتدرج في المناصب ، وخلع

الشَّعْبَانِي ، وأُخرجهُ منها ، قالَ : فأصبحَ السَّيِّدُ
يوماً فجاءَهُ شخصٌ ، وقالَ لَهُ : رأيتكَ اللَّيْلَةَ فِي
المنامِ جالِساً بينَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ ، وهو يَنشُدُكَ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ :

يَا بَنِي الزَّهْرَاءِ وَالنُّورِ الَّذِي
ظَنَّ مُوسَى أَنَّهَا نَارٌ قَبَسَ

لَا أُوَالِي الدَّهْرَ مِنْ عَادَاكُمْ
أَنَّهُ آخِرُ سَطْرِ مِنْ عَبَسَ

وذلكَ قولُهُ تعالى : (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ
الْفَجَرَةُ) (١) ، قالَ : ثُمَّ أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَذْبَةَ سَوْطٍ فِي يَدِهِ فَعَقَدَهَا ثَلَاثَ عَقَدَاتٍ ،
قالَ شيخنا شيخ الإسلام الشَّرفُ المناوي : فَكَانَ مَنْ
تَقْدِيرِ اللهِ عِزًّا وَجَلًّا أَنْ ضَرَبَتْ رَأْسَ قَرَقَمَاشٍ فَلَمْ
يُضْرَبْ إِلَّا بِثَلَاثِ ضَرْبَاتٍ ، فَكَانَ ذَلِكَ السَّوْطُ مِنْ
قَبِيلِ (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) (٢) ،
ثم قالَ لي شيخنا شيخ الإسلام : يَا فُلَانُ ، إِذَا أَقَامَ
الْفَقِيرُ بِخُلُوةٍ فَأُخْرِجَ مِنْهَا فَجَلَسَ فِي مَوْضِعٍ ، قِيَضَ
اللهُ لَهُ عِمَارَتُهُ ، وَلَوْ كَانَ مَزْبِلَةً ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُعْنِينِي

عليه بالمحمودية الكبرى فباشرها بحزم زائد وبطش بالناس . بحيث
هابه كل واحد ، وقد حوكم وضربت عنقه في أيام جقمق . ترجمته
في الضوء اللامع ٢١٩/٦ .

(١) سورة عبس الآية : ٤٢ .

(٢) سورة الفجر الآية : ١٣ .

بجملة كلامه الأول ، ولم أعلم أنه يعينني بالجملة الأخيرة ، ولا [عرفت] (١) حكمة عطفها على ما قبلها إلا بعد مضي نحو سبع عشرة سنة ، فاني فارقتُه عقب ذكر سنة سبعين وثمان مائة ، وجئتُ الى الحجاز الشريف ، وأقمتُ به ، فلما سكنتُ بالمدينة النبوية أقمتُ فيها بخلوة في مؤخرة المسجد النبوي بجانب المنارة الغربية الشمالية ، فرأيتُ ما وصف شيخنا من إقبال الناس ، ثم رأيتُ ما أشار إليه من الانحراف ، وأعظم الأسباب في ذلك إجابة المستفتين عن المسائل العلمية ، فسعى بعضهم [٣٣ ظ] في إخراجي من تلك الخلوة عند شخص ولي مشيخة الحرم بمصر ، وكان لا يعرفني فاستكتبه كتاباً يتضمن الأمرُ باخلائها وأن يوضع زيتُ المسجد بها ، فرأيتُ ليلة ورود هذا الكتاب والدي السيد العلامة جمال الدين عبد الله جالساً بالمصلّى النبوي من الروضة الشريفة ، وأنا خلفه بها ، وهو في غاية الحزن والكآبة ، فقلتُ له : يا سيدي ، ما سببُ هذا الحزن ؟ فقال : البسّس (٢) في مؤخرة المسجد خربشوني . فقلتُ : يا سيدي خربشة البسّس من الأمور السهلة ، فزال عنه ما كان يجده من الحزن ، وأشرق وجهه ، ومن العجب اني كنتُ خلف المصلّى النبوي بالمحل الذي رأيتُ أني مع والدي يوم ورود الكتاب المذكور ، فجاءني شخص وأخبرني بورود ذلك الكتاب ، وما تضمّنه في أمر

(١) (عرفتُ) : زيادة من (ب) ، وبها يكمل المعنى .

(٢) (البسّس) : يبدو انها كلمة عامية مصرية ، تعني (القطط) .

الخلوة ، فشقَّ عليَّ ذلكَ ، ثُمَّ تذكَّرتُ الرؤيا ،
فقلتُ : هذا ما أخبرَ بهِ الوالدُ من خربشةِ البسِّسِ ،
وقد إستسهلتُها فسرى عني ، ثم أردتُ موضعاً يكونُ
بجانبِ المسجدِ النَّبويِّ أُقيمُ بهِ ليحصلَ بالاقامةِ
فيه المعنى الذي يُرادُ من تلكَ الخلوةِ من القربِ ، فلم
أجدُ غيرَ دارٍ ببابِ الرحمةِ ، أحدُ أبوابِ المسجدِ
النَّبويِّ مشهورةٌ بدارِ تميم^(١) الدَّاري رضي الله عنه
كما رأيتُه في وثائقها ، فاكتريتها ونقلتُ كُتُبي
اليها ، وكانتُ متشعثةً خراباً ، فأقمتُ بها مدةً ، ولم
يخطرُ ببالي قطُّ أنْ أملكها ، ولا أنْ أعمُرَ داراً ،
ولا أضعَ لبنةً على لبنةٍ ، بل لم يخطرُ ببالي ملكُ دارٍ
بالمدينةِ أبداً ، ثم لما قدِمَ شيخُ الحرمِ الى المدينةِ
الشَّريفةِ ، وبلغه تلكَ المقاصدُ الفاسدةُ في أمرِ
الخلوةِ ، أمرَ بردً مفتاحها إليَّ ، وقد كانتُ قصَّتُها
سبباً [٣٤ و] في إنشادي للقصيدةِ التي إمتدحتُ بها
سيدنا رسولَ الله صلَّى الله عليه وعلى آله^(٢) وصحبه
وسلَّم ، واستدفعتُ من كرمه ضيمَ الأعداءِ وأستنصرتُ
به عليهم إذ لمْ يرعوا في حرمةِ مع ما بدا من بعضهم
من الوقاحةِ والقباحةِ ، وأوَّلها^(٣) :

يُضَامُ بِجَبِكُمْ يَا عَرَبُ رَامَهُ
نزِيلٌ أَنْتُمْ صَرْتُمْ مُرَامَهُ

(١) ينظر ذلك كتاب المصنف وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ١/ ٥٢٤ .

(٢) (وعلى آله وصحبه) : ساقطة من (ب) .

(٣) ذكر المصنف اثنين وعشرين بيتاً وذكر القصة في كتابه وفاء الوفا

ويعدو من أعاديهِ عليه
غداة صارَ قصدهمُ اهتِضامه

وأنتم عرْبُهُ تنمى إليكم
ومن أبوابكم حازَ احترامه

ومنها (١) :

ولم يرفعوا جوارك يا ملاذي
ولا نسبي إليك ولا ذمامه

في أبياتٍ أُخرى تزيدُ على الستين ، وقد رأيتُ
عقبَ ذلكَ في منامي ما يؤذنُ بالنَّصرِ العظيمِ ، ثمَّ
رأيتُ في اليقظة بحمدِ الله تعالى ، وهو أمرٌ مشهورٌ
غيرُ خافٍ ، ثم دفعَ اللهُ عني جميعَ كيدِهِم ، وتوالى
نصره لي حتَّى كانَ من أمرِ حريقِ المسجدِ النَّبويِّ
ما كانَ عقبَ سفري إلى مكةَ في شهرِ رمضانَ سنة
ستٍّ وثمانينَ وثمان مائةَ ، فكانَ من تقديرهِ عزٍّ وجلٍّ
أنَّ سافرتُ لزيارةِ والدتي بصعيدِ مصرَ آخرَ العامِ
المذكورِ ، فأدركتُ من حياتِها عشرةَ أيَّامٍ ، ثم توفيت
ببلدنا سمهود غروبَ الشَّمسِ اليومَ العاشرَ ، ثمَّ
رجعتُ إلى مصرَ للسفرِ منها صحبةَ الحجاجِ ، فألهم

(١) (ومنها) : ساقطة من نسخة (ب) .

اللهُ تعالى سلطانها الأشرف قايتباي^(١) بلغه الله من خيري الدارين آماله ، وسدد أقواله وأفعاله ، فدفع إليَّ عند سفري مبلغاً ، فعدتُ به الى المدينة النبوية آخر سنة سبع ، فوجدتُ الدارَ التي كنتُ أقمتُ بها [٣٤ ظ] عند الخروج من تلك الخلوة قد عرضها أصحابها للبيع ، وهي متشعبة خراب ، وكان المبلغ نحو ثمنها فشريتها به ، ثم منَّ الله بأسباب عمارتها فعمَّرتها ، وهي الآن منزلي بباب الرحمة ، ولما تيسر لي أسباب عمارتها فهمتُ حينئذٍ ما سبق عن شيخنا شيخ الاسلام ممَّا ذكره من الجملة الأخيرة المتقدمة ، وأتته كاشفني بذلك ، وعندي عنه أشياء غير ذلك من هذا القبيل ، حذفْتُ خشية الإطالة .

وكان رحمه الله إذا اعتدى عليه أحدٌ حلتْ بذلك المعتدي النعمة من الله عزَّ وجلَّ . وحكي لي في سبب ذلك أن شيخنا الولي المجذوب سيدي محمد^(٢) بن أحمد

(١) هو أبو نصر قايتباي المحمود الاشرفي ثم الظاهري سيف الدين سلطان الديار المصرية من ملوك الجراكسة ، كان من المماليك اشتراه الاشرف برسباي صغيراً من الخواجة محمود ، وصار الى الظاهر جقمق بالشراء ، فاعتقه واستخدمه في جيشه وصار اتابك العساكر ، ولما خلع المماليك تمر بغا بايعوا قايتباي سنة (٨٧٢هـ) وبقي الى أن مات سنة (٩٠١هـ) ينظر ابن اياس ٩٠/٢ - ٣٠٣ . الاعلام ٦/٢٤٠

(٢) هو محمد بن أحمد السميعي - نسبة الى قرية من قرى ابو تيج يقال لها قرية بني سميع - البوتجي ، يعرف بالفرغل ، رجل مجذوب شهرة في الصعيد وغيره ، له كرامات ، قدم القاهرة أيام الظاهر جقمق شافعاً في ابن قرين العزال ، فاجابه واكرمه . ترجمته في الضوء اللامع ٧/١٣٠ .

الفرغلي^(١) قَدَمَ الصَّعِيدَ إِلَى الْقَاهِرَةِ أَيَّامَ الْمَلِكِ
الظَّاهِرِ جَقْمَقِ^(٢) قَبْلَ أَنْ يَلِيَ شَيْخَنَا شَيْخَ الْإِسْلَامِ
وِظِيفَةَ الْقَضَاءِ ، قَالَ : فَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ وَزَرْتُهُ ، فَقَالَ
لِي : وَلَيْتَكَ قَاضِي الْمَنْجَلِ ، وَأَنَا قَدَامُكَ بِهَذَا الْمَنْجَلِ
لَا يَتَقَدَّمُ لَكَ أَحَدٌ إِلَّا قَطَعْتُ رَأْسَهُ بِهَذَا الْمَنْجَلِ ،
قَالَ : فَلَمْ يَمْضِ إِلَّا مَدَّةً يَسِيرَةً وَتَوَلَّيْتُ الْقَضَاءَ ،
فَقَصَدْنَا جَمَاعَةً بِالسُّوءِ ، فَكَلِمًا تَقَدَّمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ
بِسُوءٍ أَخَذَهُ اللَّهُ ، وَقَدْ إِتَّفَقَ لِي مَعَ شَيْخَنَا الْفَرْغَلِيِّ^(٣)
غَرَائِبُ لَيْسَ هَذَا مَحَلٌّ ذِكْرُهَا .

وَكَانَ شَيْخَنَا شَيْخَ الْإِسْلَامِ كَثِيرًا مَا يَقُولُ : أَخْبَرْنَا
الْفُقَرَاءُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - يَعْنِي الْعِلْمَ - يَكُونُ فِينَا وَفِي
جَمَاعَتِنَا ، أَوْ جَمَاعَةِ جَمَاعَتِنَا ، وَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ
يَنْكُرُ ذَلِكَ ، لِتَوَفُّرِ الْعُلَمَاءِ فِي زَمْنِهِ ، فَلَمْ يَمْضِ إِلَّا
مَدَّةً قَلِيلَةً ، وَلَمْ يَبْقَ الْآنَ بِمِصْرَ مِنْ يَعْوَلُ عَلَيْهِ إِلَّا
جَمَاعَتُهُ وَجَمَاعَةُ جَمَاعَتِهِ ، وَمَا تَوْفِي حَتَّى إِنْتَهَتْ إِلَيْهِ
رِثَاسَةُ الْعِلْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) فِي (ب) : (الْفَرْغَلِيُّ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) هُوَ جَقْمَقُ الْعِلَاقِيِّ الظَّاهِرِيِّ سَيِّفُ الدِّينِ ، مِنْ مُلُوكِ دَوْلِ الشَّرَاقِسَةِ
بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ ، خَلَعَ الْمَمَالِيكَ وَلَدَ الْمَلِكِ الظَّاهِرَ بَرْقُوقَ بَعْدَ
مَوْتِ أَبِيهِ وَوَلِيَ (جَقْمَقُ) مَكَانَهُ السُّلْطَانَةَ ، فَكَانَ مُلَكًا عَظِيمًا جَلِيلًا
دِينًا مُتَوَاضِعًا كَرِيمًا هَدَأَتْ فِي عَهْدِهِ الْبِلَادُ ، تَوَفَّى سَنَةَ (٨٥٧هـ) .
تَرْجَمَتُهُ فِي ابْنِ أَبِياسَ ٢٤/٢ ، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٩١/٧ ، الضُّوءُ الْلَامِعُ
٧١/٣ ، الْإِعْلَامُ ١٢٨/٢ .

(٣) فِي (ب) : (لَافْغَلِيُّ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

وأما شيخنا شيخ الاسلام الامام العلامة محقق العصر الجلال المحلي رحمه الله [٣٥ و] تعالى فقد إتفق لي معه المكاشفة الصريحة أيضاً حتى اتى آتية كثيراً بمنزله بحدرة الكماحين خارج باب (١) الحرق من القاهرة المعزية ، فقلماً طرقت بابه إلا أجابني من داخل بيته شرف أدخل ، فأدخل ، فأجده في موضع لا يمكن أن يكون قد رأيته منه ، وكنت آتية في أوقات مختلفة ، وقدم علي بعض اخوتي من البلاد فكاشفني بذلك عند قدومه ، وكنت كلما أردت السفر من القاهرة لزيارة أهلي آتية وأودعه فلا يبكي ، حتى كان في سفري آخر شعبان سنة ثلاث وستين وثمانمائة ، فوادعته فبكي فلم أره بعد ذلك ، فانتهت توفى عند عودي من البلاد ليلة المحرم سنة أربع وستين .

وكذا إتفق لي مع شيخنا شيخ الاسلام الشرف المناوي ، كنت أوادعه عند سفري في كل سنة فلا يبكي حتى وادعته في سنة سبعين ، فبكي فلم أره بعد ذلك لسفري من بلادنا الى الحجاز الشريف بحراً ، ومجاورتي به ، فتوفي ليلة الثاني عشر من جمادى الآخرة ، سنة إحدى وسبعين .

(١) أحد أبواب سور القاهرة .

وأما شيخنا شيخ الاسلام الإمام العلامة سعد الدين (١) الحنفي ، قاضي الحنفية بالديار المصرية ، فقد أخبرني مراراً بما يقتضي أنه ' يستكمل ' من العمر ثمانية وتسعين عاماً ، وكان ' يسند ' ذلك الى منام ' رآه ' ، وأنه ' إرتقى درجاً عدتها كذلك ' ، فكان ' كما أخبر ' ، فإن ' مولده ' سابع ' عشر رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة ، ووفاته ثامن ربيع الآخر سنة سبع وستين وثمانمائة .

وأما شيخنا الوالد الإمام العلامة السيد الشريف جمال الدين عبد الله الحسني ، فرأيت ' منه ' عجائب حتى انني كنت ' أرى أنه ' يطّلع ' على ما يصدر ' مني ' [٣٥ ظ] حال ' غيبتني عنه ' ، فأخافه ' كحضوره ' ، لأنني ما غبت ' عنه ' قط ' أيام ' رحلته ' بي الى مصر ، قبل الستين وبعدها ، فاشتغلت ' بعلم ' أو خير ' ثم ' جئته ' إلا ' ولقيني بوجه ' عبوس ' منقبض ' ، وأنال ' منه ' من الاعراض ' على حسب ' الحالة ' التي ' كنت ' عليها في غيبتني عنه ' ، ومما ' استقري ' من ' حاله ' أنه ' لم يعاده أحد ' فيفلح أبداً .

وأما شيخنا الإمام ' الهمام ' العلامة ' القدوة ' ولي ' الله ' العارف ' به ' جيد زمانه ' تقشفاً وزهداً الشيخ

(١) هو ابو السعادات بن محمد بن عبد الله بن سعد ، النابلسي الاصل المقدسي نزيل القاهرة ، الحنفي كان اماماً علامة شيخ مذهب النعمان . توفي سنة (٨٦٧هـ) ، وقد عمر مائة سنة . ترجمته في شذرات الذهب ٣٠٦/٧ .

(٢) ترجمته في الضوء اللامع ٥/٥ - ٦ .

شهاب' الدين أبو المناقب أحمد الابشيطي^(١) ، نزيل المدينة النبوية ، فرأيت' منه' ما لا أحصيه لكثرة من العجائب في هذا الباب ، فمن ذلك أنني صحبتته أولاً بمكة عام إثنين وسبعين ، كان مجاوراً بها ، فبلغني أنه سُرِقَ له' دراهم' من خلوته ، وأنه ذكر أن بعض الجن أخذها ، فأحببت أن أسمع ذلك منه ، فجلست إليه بالمسجد الحرام قبل إقامة الصلاة ، فقلت له' : بلغني أنه قد سُرِقَ لكم دريهمات . فقال : نعم من الخلوة . فأقيمت الصلاة قبل أن يكمل لي القصّة ، فمضى معظم الصلاة وأنا أتوسوس بأن أعيد له' السؤال عن ذلك إذا سلّمت من الصلاة لئلا أنسى ذلك فيفوتني سماعه' منه' ، ويتكرر ذلك في نفسي ، فلمّا سلّمت قلت له' : يا سيدي ، من هذا الذي تجرّأ وأخذ ذلك من خلوتكم ؟ فقال : واحد وهو يعترف بأخذ ذلك . فقلت : من هو هذا ؟ فاني سمعت عنكم أنه من الجن ؟ فقال : نعم وهو من الذين يقولون لك بطول الصلاة أوّل ما تسلّم أسأله' . فقبّلت يده' ، وقلت : قد كان ذلك منهم يا سيدي .

(١) هو أحمد بن اسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بريدة شهاب الدين الابشيطي ، من فقهاء الشافعية العارفين بالحديث ، ولد في ابشيط من قرى المحلة بمصر سنة (٨٠٢هـ) ، وتعلم بالازهر ودرس فيه ، ثم ذهب الى مكة وتوفي بالمدينة المنورة سنة (٨٨٢هـ) له مصنفات عديدة . ترجمته في الضوء اللامع ١/ ٢٣٥ ، شذرات الذهب ٧/ ٣٣٦ ، الاعلام ١/ ٩٤ .

ومن ذلك انِّي صحبتُه [٣٦ و] بمكة والمدينة من التَّاريخ المتقدم الى سنة خمسٍ وسبعين ، وكانت الفتوحات (١) تردُّ عليه كثيراً من النَّاسِ فيفرِّقُها على أصحابه وغيرهم ، فما دفعَ لي في هذه المدة درهماً ولا ديناراً ، لأنِّي كنتُ مكفيّ المؤنة بما جئتُ به من عند أهلي ، مع أنَّي لم أَعلمه بشيءٍ من حالي ، فلمَّا رجعتُ من الحجِّ الى المدينة الشَّريفة سنة خمسٍ وسبعين ، وكانت والدتي معي في ذلك العام ، وقد قلَّ المصروف ، فزرتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وطلبتُ منه الممدَّ ، ثم توجهتُ الى الشَّيخِ برِّباط (٢) الأصفهاني ، لأنَّه سلَّم عليه ، فوجدتُ باب الرِّباط مقفلاً ، فأردتُ أنْ أطرقه ثم تأدَّبتُ ، وقلتُ : ببركة الشَّيخ يتيسرُ من يفتحُ ، فلم يتمَّ هذا الخاطرُ إلاَّ وقد فتح الشَّيخُ البابَ ، وليسَ على رأسه عمامةٌ ، ثم قال لي : ادخل ، يا استاذ ، وكان يخطبني بذلك دائماً ، فدخلتُ وقبَّلتُ يدهُ ، وعلمتُ أنَّه خرجَ قصداً لفتحِ البابِ من أجلي ، فأنَّه تركَ باب خلوته مفتوحاً ورجعَ معي اليها ، ثم أعطاني خمسةَ عشرَ ديناراً ، ثم دعا لي بدعواتٍ مناسبةٍ في أمرِ الرِّزقِ ، وتيسيره ، والغنا

(١) يقصد بالفتوحات الحقوق الشرعية أمثال الزكوات أو الصدقات وغيرها .

(٢) في هذا المكان كانت تقع دار عثمان رضي الله عنه العظمى التي عند موضع الجنائز ، فتصدق بها على ولده ، فهي بأيديهم صدقة ، والتي محلها اليوم رباط الاصفهاني ، وتربة اسد الدين شركوه عم صلاح الدين الايوبي ، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ١/ ٥٢٨ .

عن النَّاسِ ، ولم أخبره ' بشيءٍ من حالي ولا غيره ، ثم في أثناء السنة إحتجتُ الى شراء أمة لتؤنس الوالدة وتخدمها ، فعرض عليَّ بعضُ الأصحابِ أمةً فرأيتُ أنِّي أحتاجُ في ثمنها الى عشرةِ دنانير ، فعزمتُ عليَّ إقتراضها ، ولم أشاركُ في ذلكَ أحدًا ، فلمَّا حضرتُ الدَّرسَ عندَ لشيخ ، وأردتُ الانصرافَ ناداني وأجلسني عليَّ بابِ خلوته ، وقد إنصرفَ جماعةُ الدرسِ ، فدخلَ خلوتهُ ثم خرجَ إليَّ بصُرةٍ ، فوضعها في يدي ، وقالَ : إنَّ صلحت يكون ذلكَ في ثمنها وإلا فتنتفعُ به ، فعلمتُ أنَّه كاشفني ، فأعلمتهُ بالقصةِ ، [٣٦ ظ] ثم توجهتُ ففتحتُ تلكَ الصُّرةَ ، فوجدتها عشرةَ دنانير من غير زيادةٍ ولا نقص ، فشريتُ تلكَ الأمةَ ، وصرتُ أتأملُ في قوله : إنَّ صلحت الى آخره ، فقدَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بمجيئِ صاحبِ الأمةِ في اليومِ الثاني نادماً يسألُ الإقامةَ ، وقد تغيَّرَ حاله ، فأقلتهُ ورددتُها عليه ، وانتفعتُ بذلكَ المبلغَ كما قالَ الشيخُ ، واستشترتهُ في أنْ أتزوَّجَ بامرأةٍ تؤنس الوالدة ، وتقومُ عنها بأمرِ المعيشةِ ، فوافقَ عليَّ ذلكَ فحصلَ الاستغناء عن شراءِ الأمةِ .

ومن ذلكَ أنِّي كنتُ لمَّا أحضرُ درسهُ أجِدُ من بعضِ الجماعةِ يبساً في البحثِ ، وعدمِ الجريان فيه على الأوضاعِ ، وكانَ الشيخُ يسلكُ معهم طريقَ المسامحةِ ، ورأيتُ من بعضهم ما يشبهُ الحسدَ ، ولم يسهلَ لي تركَ مجلسِ الشَّيخِ ، فوقَعَ في النَّفسِ أنْ

لو كان الشيخ يفرد لي وقتاً أقرأ عليه فيه وعيَّنت في نفسي كتاباً ، فقلت في نفسي : هذا لا يحسم تلك العلة ، بغض الناس لا يخفى عليه ذلك ويأتي ويحضر ، فلو كانت القراءة بخلوة الشيخ بحيث لا يحضر معي أحد ، وأختلي بالشيخ فيحصل لي منه ما لا يحصل مع الجماعة ، فأفوز منه بما أتوقعه ، ثم زجرت النفس عن هذا الخاطر ، ولم يخطر ببالي أن أذكر له ذلك بلساني ، ثم جئته زائراً عقب ذلك ، فقال لي : يا استاذ أريد أن أقرأ عليك الكتاب الفلاني داخل هذه الخلوة من غير أن يحضر معك أحد . فقلت : أستغفر الله يا سيدي قد وقع في نفسي قراءة ذلك الكتاب عليكم كذلك ورأيت أن ذلك مني سوء أدب ، ثم قبَّلت يده ، فعين للقراءة وقت ما بين الظهر والعصر ، فجئته في ذلك الوقت [٣٧ و] فأدخلني في خلوته وشرعت في القراءة عليه ، فجاء بعض أعيان المدينة الى موضعي يريدني ، فقبل له ذهب الى الشيخ ، فجاء الى باب الخلوة ، فسمع القراءة ، فاستأذن فسكت الشيخ فقطعت القراءة ، لعلمي بأنه قد تحقق سماعي لاستئذانه ، وكان الشيخ قد ترك باب الخلوة مفتوحاً ، فدخل والكتاب في يدي ، فسلمت وجلس ، ثم قال : أريد أن أسمع قراءة فلان لهذا الكتاب عليكم ، فقلت : لا بأس بذلك ، فأتممت قراءة ذلك المجلس ، ثم انصرفنا ، فلما كان في اليوم الثاني حضرت فوجدت الشيخ ينتظرني ، فأدخلني ثم أغلق الباب علينا ، فحضر ذلك

الرجل' ، فصارَ يكررُ الاستئذانَ فقطعتُ القراءةَ حياةً منه' ، فقامَ الشيخُ الى البابِ ، وقالَ له' : إذهب فوالله ما أفتحُ لكَ ، ورجعَ إليَّ ، وقالَ : إقرأُ فقرأتُ وأنا في غايةِ الخجلِ من ذلكَ الرجلِ ، وقلتُ للشيخِ : يا سيدي أخشى أنْ ينسبني ، لأنِّي سألتكم في ذلكَ ، فقالَ : إقرأُ ما عليكَ ، ثم صارَ في كُلِّ يومٍ يدخلني ويغلقُ البابَ علينا ، فحصلَ لي بذلكَ ما لا يعلمه إلا الله تعالى من الخيرِ ، وشاهدتُ من أحواله وتصرُّفه واطِّلاعه حتَّى على أمورِ الأمواتِ ما لا يُوصَفُ ، ومن ذلكَ أنْ أهلَ المدينةِ الشريفةِ كانوا إذا مرضَ لهم مريضٌ يأتونَ الى الشيخِ ويسألونه قراءةَ الفاتحةِ والدعاءِ لمريضهم ، فتارةً يفعلُ ذلكَ ، وتارةً يقرأُ الفاتحةَ ويدعو لمن جاءَ يطلبُ ، ولا يتعرَّضُ للمريضِ . فاستقرتْ أحوالُ الشيخِ ، فكانَ فعلهُ الأولُ لمن يحصلُ لهُ الشفاءُ ، وفعلهُ الثَّاني لمن يموتُ من مرضه .

ومن ذلكَ أنَّ شيخنا الشيخَ الإمامَ [٣٧ظ] العلامةَ المحققَ شمس الدين محمد الشرواني^(١) قدِمَ الى المدينةِ الشريفةِ صحبةَ الحاج المصري آخر عامِ إثنين وسبعين ،

(١) هو محمد بن مراهم الدين الشمس الشرواني ، ثم القاهري الشافعي ، منسوب لمدينة بناها انو شروان محمود باد ، فاسقطوا (انو) تخفيفاً ، ولد سنة (٧٨٠هـ) ، ودرس على علماء عصره ، واصبح عالماً فقيهاً قدم القاهرة واشتهر بها كثيراً ، ثم سافر الى الشام ورجع الى القاهرة ، وتوفي سنة (٨٧٣هـ) .

ترجمته في الضوء اللامع ٤٨/١٠ .

فتوجهت معه الى الشيخ بخلوته ، وكان قد رجع من مكة ، فسلم عليه ثم قال لي شيخنا الشرواني عند سفره صحبة الحاج الى مصر : قد عزمت على أن آخذ كتبني من مصر ثم أرجع الى هذه البلدة الشريفة ، فأقيم بها ، فأحب أن تطلب لي من الشيخ شهاب الدين الأبيشيبي الدعاء بذلك . فلما سافر جئت الى الشيخ وأعلمته بذلك ، فقال : كيف يرجع يا استاذ ؟ والله ما سافر إلا وهو في الترسيم . فجاءني الخبر بعد ذلك أن الشيخ شمس الدين وصل الى مصر متوعدًا أواخر المحرم ، وتوفي مستهل صفر سنة ثلاث وسبعين .

ومن ذلك أن بعض أكابر العلماء من المصريين حجَّ ومعه ابنه ، وكان الابن فيما يُقال غير مرضي الطريقة ، وكان قد بدأ بالمدينة فزار ثم توجه الى مكة ، فمرض ابنه بمكة ، فلما رجعت مع الحاج الأول دخلت على شيخنا برباط الأصفهاني فسلمت عليه ، ثم قلت : يا سيدي الشيخ فلان قد مرض ابنه . فقال : اللهم أرح منه البلاد والعباد ، والله ما يصل مصر إلا وهو مفتت . فتعجبت من ذلك ، وما سمعت شيخنا يدعو على أحد قبله ، فلما قدم ركب المحمل جاء الخبر بأن ذلك الولد توفي ، دفن بالينبع ، فتعجبت من قول شيخنا : ما يصل مصر إلا وهو مفتت . فجاء الخبر بعد ذلك بأنهم نقلوه في البحر ، فغرقت به المركب ، فأُخرج ودفن في جزيرة ، ثم نُقل منها الى مصر ، فلم يصل إلا وهو مفتت كما قال شيخنا .

ومن ذلك أنّه أُشيعَ قبلَ [٣٨ و] حج السلطان
الأشرف قايتباي سنة ثلاث وثمانين ، وهي سنة وفاة
شيخنا أنّ السلطان يحجُّ تلكَ السنة ، فقالَ لي
شيخنا : هو لا يحجُّ في هذه السنة ، ولكن في التي
بعدها ، وتكون سنة خضراء • فحجَّ السلطان بعدَ وفاة
شيخنا ، فقدمَ المدينةَ الشريفة في الموسم الأول من
سنة أربع وثمانين ، وكانَ عامَ ربيع ، فكنتُ أرى
الأرضَ ممّا توجّهتُ للحجِّ كما قالَ شيخنا خضراء ،
وتصدّقَ السلطانُ على الناسِ ، فكانتُ سنةً
خضراءَ حسناً ومعنىً خصوصاً عليّ ، فإنّه بعثَ إليّ
بمائة دينارٍ على يدِ إمامه شيخ الشيوخ الإمام العلامة
عين الأعيان ونادرة الزّمان البرهان الكرّكي أدامَ الله
النفعَ به ، وقد كانَ هو السببُ في ذلكَ ، جزاهُ الله
تعالى عنّي خيرَ الجزاء •

ولو تتبعتُ كرامات شيخنا وأحواله ، لزادت عن
مجلدة ، فلنقتصر على ذلك •

الباب الثاني

في بيان منشأ معادات العلماء ، ومعادات أهل البيت الكرام ، ومحبة اللئام للئام ، والتحذير من موالاة من عادى العلماء ، ومشروعيه هجره وتحقير أمره ، والأخذ بمعالي الهمم والاعراض عن سفاسفها .

اعلم وفقني الله وإيّاك إنّنا قد أشرنا الى شيء من ذلك فيما مضى ، ولكن القصد هنا إيضاح ذلك كلّه وبيانه بيانا شافيا ، وذلك أنّ الله تعالى طيّب لا يحبّ إلاّ الطيّب ، ولا يقبل إلاّ ما كان طيّبا ، ويبغض الخبيث ، ولا يقبل ما كان خبيثا ، فخلق دارا أخلصها [٣٨ ظ] للطيب وحرّمها على غير الطيبين وجمع فيها كلّ طيّب ، وهي الجنّة دار السّعداء ، ودارا أخلصها للخبيث والخبائث ، ولا يدخلها إلاّ الخبيثون ، وهي دار الأشقياء ، فجمع فيها كلّ خبيث ، وجعل أهل هذين الدارين أوّلا معا في هذه الدار الدنيا ، فوقع الا بتلاء والامتحان ، بسبب هذا الاجتماع والاختلاط ، وجعلها دار تكليف ، فبعث اليهم الرّسول ، لبيان ما كلّفهم به من الأقوال والأفعال والأخلاق الطّيبة الموصلة الى جنانه ، واجتناب ما يضادّ ذلك من خبث المذكورات المبعد عنه ، وأمرهم بجهاد الأعداء الذين سبقت لهم منه الشقاوة ، فقامت الحروب بينهم وبين الرّسول على ساق ، وكذا بين

أَتْبَاعُهُمْ خُصُوصًا وَرَثَتُهُمْ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ
الْمَعَادِ مَيَّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ، فَجَعَلَ الطَّيِّبَ
وَأَهْلَهُ فِي دَارِهِمُ الَّتِي هِيَ الْجَنَّةُ لَا يَخَالُطُهُمْ غَيْرُهُمْ ،
فَيَتَنَعَّمُ هَؤُلَاءِ بِطَيِّبِهِمْ ، وَيَتَعَذَّبُ هَؤُلَاءِ بِخَبِيثِهِمْ ،
لَا نَكْشَافَ الْحَقَائِقَ لَهُمْ حِينَئِذٍ ، وَجَعَلَ تَعَالَى عَلَى
السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ عُنْوَانًا يُعْرَفَانِ بِهِ .

فَأَمَّا السَّعِيدُ ، فَطَيِّبٌ "يَحِبُّ الطَّيِّبَ" ، وَلَا يَأْتِي
إِلَّا طَيِّبًا ، وَيَكْرَهُ الْخَبِيثَ وَيَتَعَدَّى عَنْهُ ، فَيَتَفَجَّرُ
الطَّيِّبُ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ ، وَلِهَذَا يَقُولُ
لَهُ خُزْنَةُ الْجَنَّةِ ، كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى : (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
طَيِّبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) (١) ، الْفَاءُ لِلْسَّبَبِيَّةِ ،
أَيُّ بِسَبَبِ طَيِّبِكُمْ إِدْخَلُوهَا ، وَذَلِكَ لِأَحْكَامِ الْمُنَاسِبَةِ فِي
ذَلِكَ لَمَّا سَبَقَ مِنْ [٣٩ و] جَعَلَ الطَّيِّبَ بِحُذَافِيرِهِ فِي
الْجَنَّةِ وَإِخْلَاصَهَا لِلطَّيِّبِينَ ، وَتَحْرِيمَهَا عَلَى غَيْرِهِمْ .

وَأَمَّا الشَّقِيُّ فَخَبِيثٌ "مُخْبِتٌ" مَبْغُضٌ لِلطَّيِّبِ
وَأَهْلِهِ ، وَمُحِبٌّ لَا تَيَانَ الْخَبِيثُ وَمُلَازِمَةٌ أَهْلُهُ
وَمَحَلُّهُ ، فَلَا يَأْتِي إِلَّا خَبِيثًا ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا
الْخَبِيثُ ، فَيَتَفَجَّرُ الْخَبِيثُ مِنْ قَلْبِهِ وَجَوَارِحِهِ ، لِأَحْكَامِ
الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَحِيمِ ، لَمَّا سَبَقَ مَنْ جَعَلَ
الْخَبِيثَ بِحُذَافِيرِهِ فِيهَا ، وَإِخْلَاصَهَا لِلْخَبِيثِ وَالْخَبَائِثِ ،
قَالَ تَعَالَى : (٢) الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ

(١) سورة الزمر الآية : ٧٣ .

(٢) سورة النور الآية : ٢٦ .

لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ
لِلطَّيِّبَاتِ) ، وهي عامّةٌ لِلذَّوَاتِ وَالْأَفْعَالِ
وَالْأَقْوَالِ مِنَ الْجَنَسِينَ ، وَإِنْ فَسَّرَهَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضِ
ذَلِكَ ، فَكُلُّ مَا نَاسَبَهُ مِنْ ذَلِكَ إِذِ الْعَبْرَةُ بِعُمُومِ
اللَّفْظِ ، وَعَمَّا قَرَّرْنَاهُ مِنْ أَمْرِ التَّنَاسُبِ نَشَأُ قَوْلَهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - كَمَا فِي الصَّحِيحِ - :
(الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا
إِثْتَلَفَ ، وَمَا تَنََاكَرَ مِنْهَا إِخْتَلَفَ) (١) ، أَيِ مِنْ أَجْلِ
الْمُنَاسَبَةِ الْمَحْكَمَةِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، فَيَمِيلُ الطَّيِّبُ إِلَى
الطَّيِّبِ وَيَأْلَفُهُ ، وَالْخَبِيثُ إِلَى الْخَبِيثِ وَيَأْلَفُهُ كَمَا
يُشِيرُ إِلَيْهِ مَا نَقَلَهُ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ الْإِمَامِ
الْخَطَّابِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ (٢) مَا خَلَقَ اللَّهُ
عَلَيْهِ الْأَرْوَاحَ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ ، فَكَانَتْ
الْأَرْوَاحُ قَسَمِينَ مُتَقَابِلِينَ ، فَأَذَا تَلَاقَتْ الْأَجْسَادُ فِي
الدُّنْيَا إِثْتَلَفَتْ ، وَاخْتَلَفَتْ بِحَسَبِ مَا خُلِقَتْ عَلَيْهِ ،
فَيَمِيلُ الْأَخْيَارُ إِلَى الْأَخْيَارِ ، وَالْأَشْرَارُ إِلَى الْأَشْرَارِ .

وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ (٣) فِي الْأَمْثَالِ
عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا : (الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ
تَلْتَقِي [٣٩ ظ] فَتُشَامُ كَمَا تُشَامُ الْخَيْلُ ، فَمَا

(١) الحديث ورد في سنن محمد بن ادريس الشافعي ص ١١٩ عن ابي هريرة ، صحيح البخاري ١٦٢/٤ عن عائشة ، صحيح مسلم ٤١/٨ عن ابي هريرة ، سنن ابي داود ٥٥٩/٢ .

(٢) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل (أجمل) وما ذكرناه أفضل .

(٣) هو ابو هلال العسكري صاحب كتاب جمهرة الامثال .

تعارفَ منها إئتلفَ ، وما تناكرَ منها إختلفَ (١) . فلو أن رجلاً مؤمناً جاءَ الى مجلسٍ فيه مائةٌ منافقٍ ، وليسَ فيه إلا مؤمنٌ واحدٌ ، لجاءَ حتَّى يجلسَ اليه ، ولو أن منافقاً جاءَ الى مجلسٍ فيه مائةٌ مؤمنٍ ، وليسَ فيه إلا منافقٌ لجاءَ حتَّى يجلسَ اليه .

ويشهدُ له - أيضاً - ما رواه أبو يعليَ برجال الصَّحيح عن عمرة (٢) بنت عبد الرحمن قالت : كانت امرأةٌ بمكةَ مزّاحةً فنزلتُ على امرأةٍ شبيهةٍ لها - أي بالمدينة - فبلغَ ذلك عائشةَ رضي اللهُ عنها فقالت : صدقَ حُبِّي [سمعتُ] (٣) رسولَ اللهَ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم يقولُ : (الأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ) الحديث . وفي روايةٍ لأبي يعليَ وغيره ذكرَ السَّببَ للحديث المذكور عن عائشة رضي اللهُ عنها أن امرأةً كانت بمكةَ تدخلُ على نساءٍ قریش تضحكنَّ ، فلمّا هاجرنَ ووسعَ اللهُ تعالى دخلتُ المدينةَ ، قالت عائشة : كانت تضحكُ بالمدينة فدخلتُ عليَّ ، فقلتُ لها : يا فلانةُ ، ما أقدمك ؟ قالت : إلیکنَّ ، قلتُ : فأينَ نزلتِ ؟ قالت : على فلانة امرأة كانت تضحكُ

(١) جمهرة الامثال ١/١٨٣ ، وهو في مسند ابن حنبل ٢/٢٩٥ عن أبي هريرة .

(٢) هي عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة بن عدس النجارية ، سيدة نساء التابعين فقيهة عالمة بالحديث ، صحبت عائشة واخذت الحديث عنها ، توفيت سنة (٩٨هـ) ترجمتها في تهذيب التهذيب ٢/٤٣٨ ، دول الاسلام للذهبي ١/٥٠ ، طبقات ابن سعد .

(٣) (سمعت) : ساقطة من الاصل .

بالمدينة ، قالت عائشة : فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : فلانة المضحكة عندكم ؟ قالت عائشة رضي الله عنها : نعم ، فقال : فعلى من نزلت^(١) ؟ قالت : على فلانة المضحكة ، قال : الحمد لله (إن الأرواح جنود مجنّدة)^(٢) ، الحديث كما في الصحيح . ومنشأ ذلك إحكام التناسب ، ولذا قال إمامنا الشافعي رحمه الله : كما في مناقبه للبيهقي : (العلم جهل عند أهل الجهل ، كما أن الجهل جهل عند أهل العلم)^(٣) ثم أنشأ يقول :

[٥٤٠] ومنزلة الفقيه من السفيه
كمنزلة السفيه من الفقيه

فهذا زاهد في قرب هذا
وهذا فيه آزهد منه فيه

ومن أجل هذا ذكر لي شيخنا الإمام العلامة المحقق الشَّمسُ الشرواني أن تَمَرْلَنكَ^(٤) كان يحب شخصاً

(١) في (ب) : (بزلت) وهو تصحيف .

(٢) الحديث ورد في صحيح البخاري ١٦٢/٤ ، سنن أبي داود ٥٥٩/٢ .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١٥١/٢ ، عن الربيع بن سليمان ، النص والبيتان .

(٤) هو تمرلنك بن طرغاي الحفظاي الأعرج ، وهو اللنك بلغتهم ، فعرف بتمراللك ثم خُفِّفَ فقليل تمرلنك ، وكان ابتداء ملكه انه لما انقرضت دولة بني جنكيز خان ظهر في اعقاب بني حفظاي بين كشر وسمرقند تيمور هذا وتغلب على ملكهم محمود بعد أن كان اتابكه وتزوج امه بعد مهلك أبيه واستبد عليه ، وتمكن من القضاء

من الأكابر المعتمدين^(١) ببلاد العجم ، ويتردد تمر إليه ، قال : فوجد ذلك الرجل في قلبه ميلاً ومحبّةً لتمر ، فتشوّش لذلك تشويشاً عظيماً ، وقال : ما هذه المناسبة التي إقتضت ميلتي لتمر ؟ فخاف على نفسه من ذلك ، فجاء إليه تمر فمنعه من الدخول عليه ، فذكر له ما خطر له في أمر المناسبة في الميل إليه مع ما اتّصف تمر به ممّا هو معروف من سيرته وشرّه ، فقال له تمر : بيني وبينك مناسبة أخرى من أجل أنّك تحب آل النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وأنا والله أحبهم ، وكذلك العلماء ، وأنت رجل كريم ، وأنا أحبّ الكريم ، فهذه المناسبة هي المقتضية للميل ، لا ما في من الشر ، فأعجب ذلك الرّجل ما قال تمر ، فإنّه كان معروفاً بذلك واستدام صحبته .

قلت : ومنشأ ذلك إجتماع مادتي الطيب والخبث في الشّخص الواحد ، فيميل إليه بعض الطيّبين لطيبه ، وعكسه فإنّه قد يكون في الشّخص الواحد مادتان الطيب والخبث فيصدران منه ، ويميل لكلّ منهما ، ويقع الميل إليه لأجلهما من أصحاب الوصفين ، وهذا الشّخص له حالان :

على بقية المفلوك ، ثم ملك العراق وحلب والشام وجنوب الانطول واسر بايزيد ، مات سنة ٨٠٧ قرب مدينة اترار .
ترجمته في الضوء اللامع ٤٦/٣ - ٥٠ .

(١) في (ب) : (المعتمدين) ساقطة ، وفي الاصل ، (م) : (المعتقدين) وهو تحريف .

الحال' الأول' أن' يريد الله' به' خيراً فيُطهره' من
المادة' الخبيثة' قبل' الموافاة' حتّى لا [٤٠ ظ] يحتاج' الى
دخول' النار' لتطهره' فيلهمه' عزّ وجلّ' التّوبة'
النّصوح' وفعل' الخيرات' ، أو يُصاب' بالمصائب' المكفّرات'
وأنواع' البليّات' فيتطهر' من مادة' خبيثة' مع كراهته'
لما نزلَ به' ، وآليه' الاشارة' بقوله' تعالى : (وَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) (١) فيكره'
العبد' ما يصيبه' من البلايا' مع ما يترتب' عليها من
الثّمرات' والمزايا' ، ولهذا كان' الأب' الشّفيق' يسوق'
لابنه' الحجّام' والطّبيب' النّاصح' ليُعالجه' بالمراهم'
الجادة' المؤلمة' ، ولو أطاع' الولد' لما حصل' الشّفاء' ، وقد
رأى رسول' الله' صلّى الله' عليه وآله وسلّم' امرأة'
معها ولدها ، فقال : أترونَ هذه طارحةً ولدها في
النّارِ ؟ قالوا : لا يا رسولَ الله . فقال صلّى الله' عليه
وآله وسلّم : الله' أرحمُ بعبدِهِ المؤمنِ من هذه'
بولدها . وقال تعالى : (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَحِيمًا) (٢) . فكلُّ ما يُصيب' المؤمنَ من أنواع' البلاء'
في الحياة' الدّنيا ، وكذا بعدها من ضغطة' القبر' وعذابه'
وأهوال' يومِ (٣) القيامة' جميعه' لما إقتضته' الحكمة' من
التطهيرات' ورفعَةِ الدّرجات' ، ألا ترى أنّ' البلاءَ يُخمد'
النّفْسَ ويذُلّها ويدهشّها عن طلبِ حظوظها ، ولمْ
يكن في البلاءِ إلاّ وجود' الدّلة' ، ومع' الدّلة' تكون'

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٦ .

(٢) سورة الاحزاب الآية : ٤٣ .

(٣) (يوم) : ساقطة من (م) .

النصرة' ، قال تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) (١) . وهذا مما لا يفهمه إلا أولو البصائر - جعلنا الله وإيّاكم منهم - ومن تحقق بعلم ذلك انفتح له باب الرضا والتسليم لربه عز وجل ، ولهذا قال بعض العارفين : لو كشف للمبتلى عن سرّ سريان الحكمة في البلاء لم يرض إلا بالبلاء .

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [٤١ و] عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل قال : (إن من عبادي من لا يصلحه إلا السقم ، ولو صححته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك ، إنني لأبرّ عبادي لعلمي بقلوبهم إنني بهم عليم خير) (٢) .

وعن جابر مرفوعاً : (ليودنّ أهل العافية أن جلودهم قطعت بالمقاريض لما يرون من فضل أهل البلاء) (٣) ، رواهما أبو عبد الرحمن السلمي في سنن الصوفية .

(١) سورة آل عمران الآية : ١٢٣ .

(٢) جاء في جامع السعادات ٢٧٨/٣ ما ورد في بعض الاحاديث القدسية : (ان بعض عبادي لا يصلحه إلا الفقر والمرض ، فاعطيه ذلك ، وبعضهم لا يصلحه إلا الغنى والصحة فاعطيته ذلك) .

(٣) الحديث ورد في صحيح الترمذي ٢٤٥/٩ عن جابر ، ولفظه : (يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض) ، المعجم الكبير للطبراني ١٦٩/٩ وفيه عن ابن مسعود .

والحال الثاني أن [من] ^(١) لا يريد به الله خيراً فلا يُيسر له مواد التطهير ، فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة ومادة طيبة ، وحكمته تعالى تأبى أن يجاوره أحد في دار كرامته ، وهو مُتَّصِفٌ بخبائثه ، فإن كان قابلاً للتطهير من غير إدخاله النار طهره الله عز وجل بما شاء بسبب شفاعته أو غيرها ، ثم يدخله الجنة ، وإلا أدخله النار طهرةً له وتصفيةً ، ليميز الخبيث من الطيب ، فاذا خلصت سبيكة إيمانه من الخبث ، وانفصل عنه خبثه في دار الخبث منزل الخبيثين ، صلح حينئذ لجواره ومساكنة الطيبين من عباده . وإقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطؤها ، فأسرعهم زوالاً وتطهيراً أسرعهم خروجاً ، وأبطأهم أبطأهم جزاءً وفاقاً ، (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) ^(٢) .

ثم أن مادة الخبث إذا غلبت في شخص واستحكمت ، فالميسر له عمل أهل الخبث ، فكان مظهرًا للأفعال الخبيثة التي هي عنوان الشقاوة ، وبضدّه من غلبت واستحكمت فيه مادة الطهارة كما يشير إليه قوله صلى عليه وآله وسلم : [٤١ ظ] (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) ^(٣) ، ولهذا (لما مرّ بجنّازة فآثنوا عليها

(١) (من) : زيادة من (ب) وبها تكمل العبارة .

(٢) سورة فصلت الآية : ٤٦ .

(٣) الحديث في مسند الامام ابن حنبل ٦/١ ، وفي صحيح مسلم بشرح

النووي (اعملوا فكل ميسر) وقد كمله النووي في الحاشية ١٦/١٩٦ .

خيراً ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : وجبت وجبت - أي الجنة - ولما مرَّ بالأُخري فأتوا عليها شراً ، قال : وجبت وجبت ، أي النار (١) . وفي رواية لأنس فسئل - يعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عن ذلك فقال : (إنَّ الله ملائكة في الأرض ينطقون على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر) ، رواه الديلمي وغيره وأخرجه الحاكم في الجنائز من صحيحه ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ولم تزل سنة الله في عباده جارية باطلاق الألسنة بالثناء والمدح للطيبين والأخيار ، وبالسبب (٢) والذم للخبيثين الأشرار ، ليميز الخبيث من الطيب أيضاً في هذه الدار .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذ بن جبل وأبا موسى الى اليمن ، قال : فخطب الناس معاذ فحثهم على الاسلام والتفقه والقرآن ، وقال : (أخبركم بأهل الجنة وأهل النار ، إذا ذُكر الرجلُ بخير فهو من أهل الجنة ، وإذا ذُكرَ بِشَرٍّ فهو من أهل النار) (٣) ، رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله موثقون ، ومثله لا يُقال من قبل الرَّاأي ، فيكون مرفوعاً ، وحينئذٍ

(١) الحديث في رياض الصالحين للنووي ص ٣٠٨ ، وفيه (وجبت) مفردة .

(٢) كذا في (ب) ، وفي الاصل و (م) : (الثناء) ولا يستقيم المعنى به .

(٣) الحديث ورد في زوائد المعجمين ٢١/١ .

فاطلاق 'ألسنة الخلق' التي هي أقلام الحق بشيء في العاجل دليل "وعنوان" على ما يكون في الآجل ، ولذا جاء في الحديث الصحيح : (أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : تلك عاجل بشرى المؤمن) (١) ، قال العلماء : معناه 'أن البشرى المعجلة بالخير ، هي دليل البشرى المؤخرة الى الآخرة بقوله تعالى : (بشر أكم اليوم جنات [٤٢ و] تجري من تحتها الأنهار) (٢) . وهذه البشرى المعجلة دليل على محبة الله لعبده ، حيث حببه الى خلقه ، فانطلقت ألسنتهم بالثناء عليه . ولذا جاء في رواية فيجبه الناس عليه ، فالطيب الصادر عنه دليل طيبه المقتضي لمحبة ، كما أن من صدر عنه الخبيث كان لكل خبثه المقتضي لبغضه .

(١) الحديث ذكره الامام ابن حنبل في مسنده ١٥٦/٥ ، ١٥٧ .

(٢) سورة الحديد الآية : ١٢ .

ولهذا إختَصَّ الطَّيِّبُونَ بِمَحَبَّةِ الْمَوْلَى عَزَّ
وَجَلَّ ، ثُمَّ بِمَحَبَّةِ أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ ، عَلَى
مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي
الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : (إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ ، قَالَ :
فِيحِبُّهُ جَبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ،
ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ
عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَيَقُولُ : إِنِّي
أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغُضُهُ ، فَيَبْغُضُهُ جَبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي
فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُ فُلَانًا فَأَبْغُضُوهُ ،
فَيَبْغُضُونَهُ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ ،
أَيَّ فَيَبْغُضُهُ أَهْلُ الْأَرْضِ) (١) . كَمَا أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ فِي
الْأَوَّلِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ، أَيَّ الْحُبِّ
فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَرِضَاهُمْ عَنْهُ فَتُحِبُّهُ الْقُلُوبُ
وَتَرْضَى عَنْهُ . وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ فَتُوضَعُ لَهُ
الْمَحَبَّةُ ، وَزَادَ الطَّبْرَانِيُّ فِي رِوَايَتِهِ لَهُ : ثُمَّ قَرَأَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ
لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) (٢) ، أَيَّ فَيَنْظُرُ لَهُمُ الْعِبَادُ بَعَيْنِ
الْحُبِّ وَالْوُدِّ ، وَيَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ هَيْبَتُهُمْ
وَاعْتِزَازُهُمْ : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

(١) قد أخرجه الامام ابن حنبل بطرق مختلفة منه ما ذكره المصنف ،

المسند ٢/٢٦٧ ، ٣٤١ ، ٤١٣ ، ٤٨٠ ، ٥٠٩ ، ٥١٤ .

(٢) سورة مريم الآية : ٩٦ .

وَلِلْمُؤْمِنِينَ (١) . وفي رواية للبخاري : (مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَلَهُ صِيَّةٌ فِي السَّمَاءِ ، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا وَضِعَ فِي الْأَرْضِ ، وَإِنْ كَانَ سَيِّئًا وَضِعَ فِي الْأَرْضِ) (٢) . ويؤخذ من ذلك كله [٤٢ ظ] أَنَّ مَحَبَّةَ قُلُوبِ الْعِبَادِ عِلَامَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَنَّ بَغْضَهُمَ عِلَامَةٌ عَلَى بَغْضِهِ .

فصل

اعلم وفقني الله وإيَّاكَ إِنَّ مَنْ تَمَحَّضَتْ فِيهِ مَادَّةُ الْخُبْثِ فَقَدْ طُبِعَ عَلَى الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي لَا مَطْمَعَ فِي تَبْدِيلِهَا ، كَمَا إِنَّ مَنْ تَمَحَّضَتْ فِيهِ مَادَّةُ الطَّيِّبِ ، فَقَدْ طُبِعَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ الْمَحْمُودَةِ الَّتِي لَا مَطْمَعَ فِي تَبْدِيلِهَا . وعن هذا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا حَدَّثْتَ أَنَّ جَبَلًا زَالَ عَنْ مَكَانِهِ فَصَدَّقْ ، وَإِذَا حَدَّثْتَ أَنَّ رَجُلًا زَالَ عَنْ خَلْقِهِ فَلَا تُصَدِّقْ) (٣) ، رواه الإمام أحمد من طريق الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ ، إِلَّا أَنَّ الزُّهْرِيَّ لَمْ يُدْرِكْ أَبَا الدَّرْدَاءِ ، لَكِنْ لَهُ شَوَاهِدٌ تَقْوِيَةٌ .

(١) سورة المنافقون الآية : ٨ .

(٢) ذكره الإمام ابن حنبل مع اختلاف في اللفظ . المسند ٣٤١/٢ .

(٣) مسند الإمام ابن حنبل ٤٤٣/٦ ، ونصه : (إِذَا سَمِعْتُمْ بِجَبَلٍ زَالَ عَنْ مَكَانِهِ فَصَدَّقُوا ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ بِرَجُلٍ تَغَيَّرَ عَنْ خَلْقِهِ فَلَا تُصَدِّقُوا بِهِ ، فَإِنَّهُ يُصِيرُ إِلَى مَا جَبَلَ عَلَيْهِ) .

منها عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : (أن مَغْيِرَ الخَلْقِ كَمَغْيِرِ الخَلْقِ إِنَّكَ لا تستطيع أن تُغَيِّرَ خَلْقَهُ حَتَّى تُغَيِّرَ خَلْقَهُ) (١) ، أخرجه العسكري في الأمثال .

ومنها عن عبد الله بن ربيعة قال : (كُنَّا عِنْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ ، فَذَكَرَ الْقَوْمُ رَجُلًا فَذَكَرُوا مِنْ خَلْقِهِ ، فَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ قَطَعْتُمْ رَأْسَهُ أَكُنْتُمْ مُسْتَطِيعِينَ أَنْ تَعِيدُوهُ ؟ قَالُوا : لا . قَالَ : فَيَدَهُ ؟ قَالُوا : لا . قَالَ : فِرْجَلَهُ ؟ قَالُوا : لا . قَالَ : فَانْكَمُوا لا تستطيعون أنْ تُغَيِّرُوا خَلْقَهُ حَتَّى تُغَيِّرُوا خَلْقَهُ) (٢) ، رواه الطبراني في الكبير ، وقد جَرَّبْتُ مُصَدِّاقَهُ فِي بَعْضِ أَهْلِ الزَّمانِ ، فَكَمْ أَظْهَرَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ التَّوْبَةَ عَنْ أَخْلَاقِهِ الذَّمِيمَةِ بَعْدَ بَذْلِ الْجَهْدِ فِي أَسْبَابِ إِزَالَتِهَا ، ثُمَّ نَقَضَهَا ، وَنَكَصَ عَلَى عَقْبِهِ رَاجِعًا لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مُحَقَّقًا رَفْضَهَا ، لا قِتْضَاءَ خَبْثَتِهِمُ الْمَسْتَحْكَمِ [على] (١) عَظِيمٍ بَغْضِهِمُ لِلْعُلَمَاءِ ، سَيِّئًا مِنْ وَهْبٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ شَرَفِ النَّسَبِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ ، إِذْ هُمْ [٤٣ و] الطَّيِّبُونَ ، وَقَدْ تَقَرَّرَ أَنَّ بَيْنَ الطَّيِّبِ وَالْخَبِيثِ كَمَالُ الْإِلَاقِطَاعِ وَالْبُعْدِ ، وَمَنْعُ الْاجْتِمَاعِ مَعَ شِدَّةِ نَفَرَةِ الْخَبِيثِ مِنَ الْعَالَمِ .

(١) لم أَعثر عليه في جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٩٩/٩ وفيه : (لن تستطيعوا) مكان (لا تستطيعون) .

(٣) (على) : زيادة من (ب) ، وبها يستقيم الكلام .

بطريق الميز بين الطيّب والخبث النّاهي عن
 سلوك طرائق الأخلاق الخبيثة الصّارم لوداد
 أهلها . ألا ترى أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله
 وسلّم كان يدعى بالأمين عند قريش وأهل مكة ؟
 فلمّا أوحى الله تعالى إليه بالدّين الحنيفي المشتمل
 على طريق الميز بين الطيّب والخبث ، وأمّره
 بالتحذير والالذار ، وكان أعظم الخبائث إتخاذ
 آلهة غير الله عزّ وجلّ ، فأخذ صلّى الله عليه وآله
 وسلّم يعيب آلهتهم ويحذّرهم قبيح أفعالهم ،
 ويحثّهم على مكارم الأخلاق ، وينهاهم عن ذميمة ،
 فاشتدّوا عليه وعابوه بما ليس فيه ، حتّى
 أخرجوه من بين أظهرهم ، وكان الخبث إذ ذاك هو
 الغالب ، فلم يزل صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعو
 الى الله حتّى أظهر الله دينه ، وكثر الطيّب
 وأهله ، وضعف جانب الخبيث ، ثم أخبر صلّى الله
 عليه وآله وسلّم بأنّ الدّين بدأ غريباً ، وأنّه
 سيعود كما بدأ . وهذا أوّان العود الذي أخبر به
 صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لغلبة الخبث والخبائث
 في هذا الزّمان ، وضعف النّاصر من أهل الايمان ،
 وغلبة أهل الطّغيان ، وكثرة أهل النّفاق . ألا ترى
 أنّ في يوم أحد إنخزل ابن أبي رأس المنافقين عن
 النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بنحو ثلث
 النّاس ، فظهر نفاقهم وانكشف لأهل الايمان
 حالهم مع وجود النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم
 بين أظهرهم ، وإشراق أنواره عليهم ، ومشاهدة

آياته ومعجزاته وظهورها فيهم ، فما ذلك بزماننا لو
 إنكشف الحال ؟ نسأل الله السلامة والعافية ،
 فَأَقْرَبُ الطَّرْقِ فِي هَذَا الزَّمَانِ الْبُعْدُ [٤٣ ظ]
 وَالتَّجَنُّبُ لِأَكْثَرِ أَهْلِهِ ، وَهَجْرَانِ الْمُتَجَاهِرِينَ
 [منهم] ^(١) بِالْفُجُورِ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَرَمِيهِمْ بِالْبُهْتَانِ
 وَسَلُوكِهِمْ طَرَقَ الطُّغْيَانِ وَسُبُلِ الْعِنَادِ ، وَسَعِيهِمْ فِي
 الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعِبَادِ . وَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى
 جَرَمَ مُتَعَاطِي ذَلِكَ مَعَ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكَيْفَ
 بِخَوَاصِّهِمْ ؟ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى : (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدْ
 احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا) ^(٢) . وَقَالَ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (خِيَارُ عِبَادِ اللَّهِ الَّذِينَ
 إِذَا رَأَوْا ذُكِرَ اللَّهُ ، وَشَرَارُ عِبَادِ اللَّهِ الْمَشَاوُنَ
 بِالنَّمِيمَةِ ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ ، الْبَاغُونَ
 الْبِرَّ الْغُبَّ) ^(٣) ، رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ .

وَعَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (الْهَمَّازُونَ وَاللَّمَّازُونَ
 وَالْمَشَّائُونَ بِالنَّمِيمَةِ ، وَالْبَاغُونَ الْبِرَّ الْغُبَّ
 يَحْشَرُهُمُ اللَّهُ فِي وُجُوهِ الْكِلَابِ) ^(٤) ، رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ

(١) (منهم) : زيادة من (ب) ، (م) .

(٢) سورة الاحزاب الآية : ٥٨ .

(٣) مسند الامام ابن حنبل ٢٢٧/٤ ، ٤٥٩/٦ .

(٤) ذكر الحديث في جامع السعادات ٢٧٥/٢ بحذف : (يحشرهم الله

في وجوه الكلاب) .

ابن حَبَّان في كتاب التَّوْيِج . وفي بعض الأخبار : (إنَّ
 تعالى أَوْحَى إلى موسى عليه السَّلَامُ أنَّ في بلدك
 ساعياً - أي يسعى بالنَّمِيمَةِ - وَلَسْتُ أَمْطُرُكَ ،
 وهو في أرضك . فقال : يَا رَبِّ دَلَّنِي عَلَيْهِ حَتَّى
 أُخْرَجَهُ . فقال : يَا موسى أَكْرَهُ النَّمِيمَةَ وَأَنْمُ) (١) .
 فأعظمُ بخصلةٍ تقضي مَعَ ما ذكر إلى إحتباسِ مطرِ
 السَّمَاءِ عن العباد . وفي حديث ابن مسعود رَضِيَ
 اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ : (عَلَيْكُمْ بِالْصَّدَقِ فَإِنَّ الصَّدَقَ
 يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا
 يَزَالُ الرَّجُلُ يَصَّدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى
 يَكْتَبُ عِنْدَ اللهِ صِدْقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ !
 فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ
 يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ
 وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى [٤٤ و] يَكْتَبَ عِنْدَ
 اللهِ كَذَابًا) (٢) ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود ،
 والترمذي صحَّحه واللفظ له .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ
 اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (آيَةُ الْمُنَافِقِ
 ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ خَلَفَ ، وَإِذَا

(١) جامع السعادات ٢/٢٧٧ .

(٢) الحديث ورد في صحيح مسلم ٨/٢٩ ، مسند ابن حنبل ١/٣٨٤ ،

٣٩٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، سنن أبي داود ٢/٥٩٣ ، صحيح الترمذي

٨/١٤٧ .

عَاهِدَ غَدَرَ (١) ، رواه البخاري ومسلم ، وزاد في رواية له : (وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ) (٢) .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (مَا كَانَ مِنْ خَلْقٍ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ مَا أَطْلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ فَيَخْرُجُ مِنْ قَلْبِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحَدُتْ تَوْبَةً) (٣) ، رواه أحمد والبخاري واللفظ له ، وابن حبان في صحيحه ، ولفظه : (مَا كَانَ خَلْقٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَهُ الْكَذْبَةَ ، فَمَا زَالَ فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحَدُتْ فِيهَا تَوْبَةً) (٤) ، رواه الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، ولفظه : (مَا كَانَ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ ، وَمَا جَرَّبَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحَدٍ وَإِنْ قَلَّ فَيَخْرُجُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ حَتَّى يَحْدُثَ تَوْبَةً) . وقد سبق أن الكذب

(١) الحديث ورد في صحيح البخاري ١٥/١ ، سنن النسائي ١٠٢/٨ ، صحيح مسلم ٥٦/١ .

(٢) صحيح مسلم ٥٦/١ ، وقال عن العلاء بن عبد الرحمن يحدث بهذا الإسناد .

(٣) الحديث ذكره الامام ابن حنبل عن عائشة ١٥٢/٦ .

(٤) الحديث رواه الترمذي في صحيحه بهذا اللفظ عن عائشة ١٤٨/٨ .

من علامات النفاق ، وقد كان إمامنا الشافعي لعلمه
 بالفراسة ، وهي تنشأ عما قد مناه من حكمة
 التناسب يحذر ممن إتصف ببعض الصفات
 الصورية التي تقتضي الفراسة التحذير من
 المتصف بها ، وربما بالغ في الزجر عن ذلك برد
 ما إطلع على أنه يشتري له ممن إتصف بذلك .
 فقد روي البيهقي عنه أشياء من ذلك بأسانيد
 خرجها ، فروي عن الربيع قال : (وجه الشافعي
 [٤٤ ظ] رجلاً ليشتري له طبيباً ، فلما جاءه قال :
 - يعني الشافعي - إشتريته من أشقر كوسج ؟
 فقال : نعم . قال : عدّ فردّه إليه (١) .

وعن الربيع أيضاً قال : (إشتهى الشافعي يوماً
 عنباً أبيض ، فأمرني فاشتريت له منه بدرهم ، فلما
 رآه إستجاده ، فقال لي : يا أبا محمد ، ممن
 إشتريت هذا ؟ فسميت له البائع فنحنى الطبق
 من بين يديه وقال لي : أردده عليه ، واشتر لي من
 غيره . فقلت له : وما شأنه ؟ قال : ألم أنك أن
 تصحب أشقر أزرَق ؟ فأنّه لا ينبج ، فكيف آكل
 من شيء يشتري ممن أنهى عن صُحبته ؟ قال
 الربيع : فرددت العنب على البائع ، واعتذرت إليه
 بكلام حسن ، واشتريت له عنباً من غيره (٢) .

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١٣٣/٢

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ١٣٣/٢

وعن حرملة^(١) قال: (حضرت' الشافعي واشتري^(٢) له' طيب' فأ'تي به ، فوقع فيه كلام' بين يديه ، فقال: ممن اشتريت هذا الطيب وما صفته؟ قال: أشقر' . قال: أردده' ، فما جاءني خير' قط من أشقر)^(٣) .

وعن حرملة أيضاً قال: (سمعت' الشافعي يقول: إحذر الأعور ، والأحول ، والأعرج ، والأحذب ، والأشقر ، والكوسج ، وكل' من به عاهة' في بدنه ، وكل' ناقص الخلق فاحذره' ، فأنه' صاحب' التواء ، ومعاملته' عسرة' . وقال مرة أخرى: فإنهم أصحاب' خبث)^(٤) . ثم ذكر البيهقي: (عن ابن أبي حاتم أن هذا إذا كان ولادهم' بهذه الحالة ، فأما من حدث فيه شيء' من هذه العلل وكان في الأصل صحيح' التركيب فلم تضر' مخالطته')^(٥) .

(١) هو حرملة بن يحيى التجيبي مولاهم المصري ، ولد في مصر سنة (١٦٦هـ) وصحب الشافعي ، فكان حافظاً للحديث ثقة ، توفي في مصر سنة (٢٤٣هـ) .

ترجمته في وفيات الأعيان ١/٢٨٨ ، ميزان الاعتدال ١/٢١٩ ، الاعلام ٢/١٨٥ .

(٢) في (ب): (واشتريت' له' طيباً) ، وهو خطأ لمخالفته لنص البيهقي .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٢ .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٢ .

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٢ .

وقال الحميدي^(١) : (قال الشافعي : خرجنا^(٢) الى اليمن في طلب كتب الفراسة حتى كتبناها وجمعناها ، ثم لما كان أنصرافي مررت في طريقي برجل ، وهو مُحْتَبٌ بفناء داره [٤٥ و] أزرق العينين ناسي الجبهة سناط^(٣) ، فقلت له : هل من منزل ؟ قال : نعم - قال الشافعي : وهذا النعت أخبت ما يكون في الفراسة - فأنزلني فرأيت^(٤) أكرم رجل بعث لي بعشاء وطيب وعلف لدابتي وفرش ولحاف ، قال : فجعلت أتقلب الليل أجمع^(٥) ما أصنع بهذه الكتب ؟ فلمّا أصبحت قلت للغلام : أسرج ، فأسرج فركبت ، ومررت عليه ، وقلت له : إذا قدمت مكة ومررت بندي طوي فسل عن منزل محمد بن إدريس الشافعي . فقال لي الرجل : أمولى لأبيك أنا ؟ فقلت : لا . قال : فهل كانت لك عندي نعمة ؟ قلت : لا . قال : فأين ما تكلفت لك البارحة ؟ قلت : وما هو ؟ قال : إشتريت لك طعاماً بدرهمين ، وأداماً وعطراً بثلاثة دراهم ، وعلفاً لدابتيك بدرهمين ،

(١) هو أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي الاسدي ، أحد الأئمة من أهل مكة المكرمة ، رحل منها مع الامام الشافعي الى مصر ولازمه طيلة حياته في مصر ، وبعد وفاة الشافعي عاد الى مكة وتوفي فيها سنة (٢١٩هـ) . ترجمته في تهذيب التهذيب ٢١٥/٥ ، الاعلام ٢١٩/٤ .

(٢) في مناقب الشافعي : (خرجت) .

(٣) السناط : الشخص الذي ليس له لحية .

(٤) في مناقب الشافعي : (فرأيت) .

(٥) (اجمع) : ساقطة من (م) .

وكراءُ الفراشِ واللِّحافِ درهمين . قال : فقلتُ
يا غلامُ ، إعطه ، فهل بقيَ من شيءٍ ؟ قال : نعم كراءُ
المنزل ، فانِّي وسَّعتُ عليكَ وضيَّقتُ عليَّ نفسي
بتلكَ الكتبِ . فقلتُ له ' بَعْدَ ذلكَ : فهل بقيَ من
شيءٍ ؟ قالَ : إمضِ أخْذاكَ اللهُ ، فما رأيتُ شراً
منكَ) (١) .

قلتُ : لما إقتضتُ حكمةُ التَّناسُبِ نفرةَ
الأشْرارِ من الأخيارِ عبَّرَ هذا الشَّريرُ في مثلِ
الشَّافعي رحمه اللهُ بهذه العبارة . ويشهدُ لما قاله
الشَّافعي ، الحديثُ الذي ذكره الديلمي ولم يُسندهُ
ولدهُ عن ابنِ عمر مرفوعاً : (إِيَّاكَ وَالْأَشْقَرُ وَالْأَزْرَقُ
فَانْتَهَ مِنْ تَحْتَ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ مَكْرٌ وَخَدِيعَةٌ وَغَدْرٌ) .

ومِمَّا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ
مَرْفُوعاً : (إِحْذَرُوا صَفَرَ الْوَجْهِ ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ
يَكُنْ مِنْ عِلَّةٍ أَوْ سَقَمٍ ، فَإِنَّهُ مِنْ غَلٍّ فِي قُلُوبِهِمْ
لِلْمُسْلِمِينَ) (٢) ، أَخْرَجَهُ الدِّيلَمِيُّ [٤٥ ظ] فِي مَسْنَدِهِ ،
وَلَهُ بِلَا سَنَدٍ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً : (إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ
أَصْفَرَ الْوَجْهَ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ وَلَا عِبَادَةٍ فَذَلِكَ مِنْ غَشٍّ
الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِهِ) (٣) .

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ١٣٤/٢ .

(٢) المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص ١١ .

(٣) المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص ١٣ .

وذكر ابن القيم^(١) في الطب النبوي^(٢) بغير إسناد أيضاً ، لكن أسنده أبو نعيم في الطب من حديث حماد بن المبارك عن السندي بن شاهك عن الأوزاعي عن رجل عن أنس رفعه مثله سواء ، فاذا كان هذا التحذير ممن إشتل على شيء مما ذكر من الأوصاف الصورية فقط^(٣) فما ذاك بمن ظهر في أفعاله ما يؤثر من أفعال المنافقين وأخلاقهم ، بالجملة فجماع أخلاق المنافقين والعلامات التي تميز بها أهل النفاق ، وقد إجتمع فيمن رأينا من مبغضي العلماء وأهل البيت النبوي ، فكيف لا يتعين بغضهم وطردهم ورفضهم ؟ إذ من الأعمال التي إجتمع على حسنها الفطر السليمة والشرائع القديمة ، وزكّتها العقول الصالحة وأشار بسلوك طريقها كل ذي نصيحة التواضع وخفض الجناح لأهل الإيمان ، والعزّة والغلظة والتكبر على أهل البغي والطغيان سيما إذا كان الباغي وقحاً لا يتستر^(٤) ، وبجوره وبغيه يجهر ، لا ينفع فيه التلطيف ، ولا الصفو والمسامحة والعطف ، بل يزيده ذلك عناداً وسعيّاً في إطفاء نور العلم وإجهاداً .

(١) هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي
ابن القيم الجوزية ، (ت ٧٥١ هـ) .

(٢) ذكر ابن القيم مجموعة احاديث شريفة في الطب النبوي في كتابه
الطب النبوي ص ٨-٩ .

(٣) (فقط) : ساقطة من (ب) .

(٤) (لا يتستر) : ساقطة من (ب) .

هذا : (والحبُّ في الله ، والبغضُ في الله من
 الايمان) (١) ، وفي الحديث : (لا يجدُ العبدُ صريحَ
 الايمانِ حتَّى يحبَّ اللهَ ويبغضَ اللهَ) (٢) ، رواهُ أحمدُ
 والطَّبْراني . وفي روايته : (أوثقُ عُرَى الايمانِ
 الحبُّ في الله ، والبغضُ في الله) ، وفي رواية : (فاذا
 أحبَّ في الله ، وأبغضَ [٤٦ و] لله فقد إستحقَّ الولايةَ
 لله) (٣) .

وعن أنس مرفوعاً : (الحبُّ في الله فريضةٌ ،
 والبغضُ في الله فريضةٌ) (٤) ، رواهُ أبو عبد الرحمن
 السلمي .

وعن مجاهد قال : قال لي ابن عمر : (أحبَّ في الله
 وأبغضَ في الله ، وعاد في الله فانتك لا تنالُ ولايةَ الله
 إلّا بذلك ولا يجدُ رجُلٌ طعمَ الايمانِ ، وإنْ كثرتْ
 صلّاته وصيامه حتّى يكونَ كذلك) (٥) .

(١) هذا كلام البخاري انظر ٨/١ .

(٢) مسند الامام ابن حنبل ٤٣٠/٣ مع اختلاف في اللفاظ .

(٣) مسند الامام ابن حنبل ٤٣٠/٣ .

(٤) في كشف الغمة للشعراني ٢٢٩/٢ : (افضل الاعمال الحب في الله
 والبغض في الله) .

(٥) لقد أورد القسم الاول من الحديث صاحب كتاب جامع السعادات
 ١٨٣/٣ .

قلتُ : فكيف بمن ضمَّ الى إرتكاب ما يستحقُّ به العداوةَ في الله تعالى بغضه للعلماء ؟ وكيف يُصحبُ مثلُ هذا مع ما جاء في الحديث من قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (المرءُ على دينِ خليله ، فلينظر أحدُكم من يُخالل) (١) ، رواه أبو داود والترمذي ، وحسنه ، والطيالسي ، والبيهقي فذكره في الموضوعات خطأً والله درُّ القائل (٢) :

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَتَسْأَلُ عَنْ قَرِينِهِ
فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ مَقْتَدِي

وهذا يرجع الى شيء مما قرَّناه في الفصل قبله من الحكمة المقتضية للتناسب ، فلذا قال بعضهم : (من سفه الأَحلام مودة اللئام) . وأسند البيهقي عن يونس بن عبد الأعلى قال الشافعي رحمه الله : (عاشروا كرام النَّاسِ تعشوا كريماً ، ولا تعاشر اللئام فتنسبوا الى اللؤم) (٣) ، وقيل مخالطة الأشرار خطرٌ ، ومن صحبتهم فقد بالغ في الغرر ، وإنما مثله كمثل راكب البحر إن سلم بدنه من التلف لم يسلم قلبه من الحذر ، والناس ثلاثة أصناف : صنف

(١) الحديث في صحيح الترمذي ١٢٣/٩ ، وسنن أبي داود ٥٥٩/٢ ، وفيهما : (الرجل على دين خليله ٠٠٠ الخ)

(٢) البيت لعلي بن زيد العبادي ، ذكره صاحب العقد الفريد ٣٣٠/٢ ، وصاحب عيون الاخبار ٧٩/٣ ، وصاحب بهجة المجالس ص ٧٠٣ ، ادب الدنيا والدين ص ٦٣ .

(٣) مذاقب الشافعي ١٩٣/٢ .

كالغذاء لا يُستغنى عنهم ، وصنف " كالدّواءِ يُحتاجُ إليهم في الأحايين ، وصنف " كالداءِ يجبُ الاحتماءُ منهم .

وعن المزني^(١) أنّه قالَ : (سمعتُ الشّافعي [٤٦ ظ] رحمهُ اللهُ يقولُ : من لا يحبُّ العلمَ فلا خيرَ فيه ، فلا يكن بينك وبينه معرفةٌ ولا صداقةٌ) (٢) .

وعن الربيع بن سليمان قالَ : (سمعتُ الشّافعي يقولُ : صحبةٌ من لا يخافُ العارَ عارٌ يومَ القيامةِ) (٣) . قالَ : (وسمعتُه يقولُ : إنّني إذا أبغضتُ الرّجلَ ، أبغضتُ شقي الذي يليه) (٤) .

وعن ابن عفير قالَ : سمعتُ الشافعي يقولُ : (من علامةِ الصديقِ أن يكونَ لصديقٍ صديقهُ صديقاً) (٥) .

(١) هو ابو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل المزني ، ونسبه الى قبيلة مزينة ، ولد في مصر سنة ١٧٥هـ) ودرس فيها ، ولما قدم الشافعي كان من اصحابه ، وقال الشافعي في حقه : المزني ناصر مذهبي ، وقال : لو ناظر الشيطان لغلبه ، توفي في مصر سنة (٢٦٤هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ٧١/١ ، الاعلام ٣٢٧/١ .

(٢) مناقب الشافعي ١٤٤/٢ .

(٣) مناقب الشافعي ١٩٣/٢ .

(٤) مناقب الشافعي ١٩٥/٢ .

(٥) مناقب الشافعي ١٩٦/٢ .

قلت : ' يُوخذُ من طريقِ المفهومِ إنَّ من علامةِ العدوِّ أنَّ يكونَ لصديقِ صديقكَ عدوًّا ، فمن بابِ أوَّلِي إذا كانَ لصديقكَ عدوًّا . ومنه قولُ الامامِ الجليل عبدِ اللهِ (١) بنِ الحسنِ بنِ الحسنِ رضوانُ اللهِ عليهم فيما سيأتي عنه ' أو آخرُ العاشرِ من القسمِ (٢) الثاني : كَفَى بالمبغضِ لنا بغضاً أَنَسِبَهُ إلى من يبغضنا ، وقد قدمناه في أوائلِ الفصلِ الثاني من البابِ الأوَّلِ عندَ ذكرِ التحذيرِ من موالاته مَنْ عادَى العلماءَ ، لأنَّه بذلكَ متعرِّضٌ لموالاته من عادَى اللهُ عزَّ وجلَّ ، ومن كانَ كذلكَ فهو مستحقٌّ لدوامِ الهجرانِ حتَّى تظهرَ توبتهُ وإِنابتهُ .

فصل

فإن قيلَ قد وردَ النَّهْيُ عن هجرانِ المسلمِ ، ففي الصَّحِيحَيْنِ وغيرهما عن أبي أيوبَ رَضِيَ اللهُ عنه ' أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ : (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ) (٣) . قلنا : قد

(١) مرت ترجمته في صفحة ٨٠ من هذا القسم .

(٢) ينظر القسم الثاني ٨٠ و .

(٣) الحديث ورد في موطأ مالك ٩٠٧/٢ ، مسند ابن حنبل ١٧٦/١ ،

١٨٣ ، ١١٠/٣ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، صحيح مسلم ٩/٨ ،

٢٥ ، ٢٦ ، صحيح الترمذي ١٨٠/٨ ، سنن أبي داود ٥٧٦/٢ ،

سنن ابن ماجه ١٨/١ .

قال العلماء : إنَّ هذا في الهجران لغير مصلحة دينية ، فإنَّ كانت مصلحة دينية ، بأنَّ كان المهجور مذموم الحال لفسق ، أو بدعة ، أو نحوهما ، أو كان فيه صلاح لدين الهاجر ، أو المهجور ، أو قصد به زجره عن قبيح [٤٧ و] فعله ، أو إصلاحه لم يحرم . قال النووي في [زيادة] (١) الروضة : هذا في الهجران (٢) لغير عذر شرعي ، فإنَّ كان عذر ككون المهجور : (مذموم الحال ، لبدعة ، أو فسق ونحوهما ، أو كان فيه صلاح لدين الهاجر أو المهجور ، أو يحرم) (٣) . وعلى ذلك يحتمل ما ثبت من هجران النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكعب (٤) بن مالك وصاحبيه ونهي الصحابة عن كلامهم ، وكذا ما جرى من هجران السلف بعضهم بعضاً ، انتهى .

وقال العراقي (٥) في شرح التقريب : هذا التحريم محله في هجران ينشأ عن غضب لأمر جائز لا تعلق له بالدين ، فأما الهجران لمصلحة دينية من

(١) (زيادة) : ساقطة من الاصل ، وهي في (م) ، (ب) .

(٢) في (م) : (الهجر) ، وما أثبتناه أحسن .

(٣) النص من روضة الطالبين للنووي ٦٤/١١ .

(٤) ينظر صحيح البخاري باب ما يجوز من الهجران لمن عصى ٢٦/٨ .

(٥) العراقي هو احمد بن عبدالرحيم ابو زرعة ولي الدين ابن العراقي . مرت ترجمته . (وشرح التقريب) هو (شرح ترتيب المسانيد وتقريب الاسانيد) .

معصية ، أو بدعة ، فلا منع منه ، وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهجران كعب (١) بن مالك ، وهلال (٢) بن أمية ، ومرارة (٣) بن الربيع رضي الله عنهم . قال ابن عبد البر : وفي حديث كعب دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه إذا بدت له منه بدعة ، أو فاحشة حتى أن يكون هجرانه تأديبياً له وزجراً عنها .

وقال أبو العباس (٤) القرطبي : فأما الهجران لأجل المعاصي والبسوع ، فواجب إستصحابه إلى أن يتوب من ذلك ، ولا يخلف في هذا . وقال ابن عبد البر - أيضاً - : أجمع العلماء على أنه لا يجوز لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث إلا أن يخاف من مكالمته وصلته ما يفسد عليه دينه ، أو يولد به على نفسه مضرّة في دينه أو دنياه ، فإن كان كذلك

(١) هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن لقين بن سواد بن غنم بن سلمة من الخزرج . المحبر لمحمد بن حبيب ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبدالمعلم بن كعب بن واقف من الأوس ، المحبر ص ٢٨٤ .

(٣) هو مرارة بن الربيع بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن مالك من الأوس . المحبر ص ٢٨٤ .

(٤) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الانصاري القرطبي ، ولد بقرطبة سنة (٥٧٨هـ) ، هاجر إلى مصر وسكن الاسكندرية ، ودرس الحديث فيها توفي بالاسكندرية سنة (٦٥٦هـ) .

ترجمته في البداية والنهاية ٢١٣/١٣ ، نفح الطيب ٦٤٣/٢ ، الاعلام ١٧٩/١ .

رُخِّصَ لَهُ فِي مَجَانِبَتِهِ ، وَرُبَّ صَرْمٍ حَبْلٍ خَيْرٌ مِنْ
مَخَالِطَةٍ مُؤْذِيَةٍ . إِنْتَهَى .

وقد بَوَّبَ البخاري في صحيحه لما يجوزُ من (١)
الهجرانِ لمن عَصَى ، ثم أوردَ قولَ كعبِ بنِ مالك
الأنصاري في قصة تخلُّفه مع صاحبيه عن غزوة
تبوك : (نهى النَّبِيُّ [٤٧ظ] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ عن كلامنا ، وذكرَ خمسينَ ليلةً) (٢) ، وهو
طرفٌ من حديثه الطويل في هذه القصة ، ولفظه :
(ونهى رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
المسلمينَ عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بينَ من تخلَّفَ
عنه ، قالَ فاجتنبنا النَّاسَ ، أو قالَ : تغيَّروا لنا
حتَّى تنكَّرتْ لي في نفسي الأرضُ ، فما هي بالأرضِ
التي أعرفُ ، فلبثنا على ذلكَ خمسينَ ليلةً) (٣) ،
الحديثُ كما في الصحيحينِ وغيرهما . قالَ المهلبُ :
غرضُ البخاري من هذا البابِ بيانُ الهجرانِ الجائزِ ،
وأنَّه يتنوّعُ بقدرِ الجُرمِ ، فمن كانَ من أهلِ
العصيانِ يستحقُّ الهجرانَ بتركِ المكالمَةِ .

(١) صحيح البخاري باب ما يجوز الهجران لمن عصى ٢٦/٨ .

(٢) صحيح البخاري غزوة تبوك ٢/٦ ، ٣ .

(٣) صحيح البخاري ٦/٦ .

وقال الطَّبْرِي : قِصَّةُ (١) كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَصْلٌ فِي هَجْرَانِ أَهْلِ الْمَعَاصِي ، وَقَدْ اسْتَشْكَلَ كَوْنُ هَجْرٍ الْفَاسِقِ وَالْمُبْدِعِ مَشْرُوعًا ، وَيُشْرَعُ هَجْرَانِ الْكَافِرِ ، وَهُوَ أَشَدُّ جَرَمًا مِنْهُمَا ، لَكُونِهِمَا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي الْجُمْلَةِ .

وَأَجَابَ ابْنُ بَطَالٍ (٢) بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحْكَمًا فِيهَا مَصَالِحٌ لِلْعِبَادِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِشَأْنِهَا ، وَعَلَيْهِمُ التَّسْلِيمُ لِأَمْرِهِ فِيهَا ، فَيَحْتَجُّ إِلَى أَنَّهُ تَعَبُّدٌ لَا يُعْقَلُ مَعْنَاهُ . وَأَجَابَ غَيْرُهُ 'بِأَنَّ الْهَجْرَانَ قَلْبِيٌّ وَلِسَانِي' ، فَهَجْرُ الْكَافِرِ بِالْقَلْبِ ، وَكَذَا بَتَرُكَ التَّوَدُّدِ وَالتَّعَاوُنِ وَالتَّنَاصُرِ ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ جَرِيئًا ، وَإِنَّمَا لَمْ يُشْرَعْ هَجْرَانُهُ بِالْكَلَامِ لِعَدَمِ إِرْتِدَاعِهِ بِهِ عَنْ كُفْرِهِ ، بِخِلَافِ الْعَاصِي الْمُسْلِمِ فَإِنَّهُ يَنْزَجِرُ بِذَلِكَ غَالِبًا . وَفِي الصَّحِيحِ - أَيْضًا - قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (عَلِيٌّ نَذَرَ "أَلَا" أَكَلَّمَ ابْنَ الزَّبِيرِ أَبَدًا) (٣) . قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ (٤) : التَّقْدِيرُ : عَلِيٌّ نَذَرَ "إِنْ كَلَّمْتَهُ" إِنْتَهَى .

(١) ينظر تاريخ الطبري ١٠٣/٣ - ١١١ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال ، من علماء الحديث اندلسي من أهل قرطبة ، له شرح صحيح البخاري ، توفي سنة (٤٤٩هـ) . ترجمته في شذرات الذهب ٢٨٣/٣ ، الاعلام ٩٦/٥ .

(٣) صحيح البخاري ٢٥/٨ ، وفيه : (لله علي نذر "ألا" اكلم ابن الزبير أبداً) .

(٤) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : (ابن التين) ، وهو خطأ .

وهو موافق" للرواية الأخرى : (لله عليّ [٤٨ و]
 نذر" إن كلمته" (١) ، فالنذر معلق على كلامه ، لأنها
 نذرت ترك كلامه ، وجعلت الترك قربةً تلتزم
 بالنذر ، وقصتها في ذلك أنّها رأت أن ابن الزبير
 قد ارتكب أمراً عظيماً ، حيث قال : (أما والله لتنتهين
 عائشة رضي الله عنها عن بيع رباعها أو لأحجرن
 عليها) (٢) . وكانت لا تمسك شيئاً ممّا جاءها من
 رزق الله ، بل تتصدق به ، فرأت أن في قوله ذلك
 جراً عليها وتنقيصاً لقدرها ، بنسبتها إلى ارتكاب
 التبذير الموجب لمنعها من التصرف مع كونها أم
 المؤمنين وخالته أخت أمه ، ولم يكن أحدٌ عندها
 في منزلته ، فرأت أن ذلك منه نوع عقوق ، فجعلت
 مجازاته ترك مكالمته ، كما نهى النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم المسلمين عن كلامهم كعب بن مالك
 وصاحبيه عقوبة لهم على تخلفهم عن غزوة تبوك بغير
 عذر ، ولم يمنع من كلام من تخلف من المنافقين
 مواخظةً للثلاثة ، لعظيم منزلتهم ، وازدراءً بالمنافقين
 لحقارتهم ، وقد صدر من كثير من السلف إختيار
 ترك مكالمته بعضهم بعضاً مع علمهم بالنهي عن المهاجرة

(١) صحيح البخاري ٢٥/٨ .

(٢) صحيح البخاري ٢٥/٨ وفيه : (ان عبدالله بن الزبير قال في بيع
 او عطاء اعطته عائشة : والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها) .

لمصالح وأوها • فقد قال الكمال^(١) الديميري : رأيت بخط ابن الصلاح^(٢) أن سعد بن أبي وقاص هاجر عمار ابن ياسر حتى مات ، وأن عائشة كانت مهاجرة لحفصة رضي الله عنهما ، وعثمان هجر عبد الرحمن ابن عوف الى أن مات رضي الله عنهما ، وطاؤوس^(٣) هاجر وهب بن منبه الى أن ماتا ، وكذلك الحسن وابن سيرين^(٤) ، وهجر سعيد^(٥) بن المسيب أباه فلم

(١) هو ابو البقاء محمد بن موسى بن عيسى بن علي الديميري ، كمال الدين ، اسرته من اهل دميرة في مصر ، ولد في القاهرة سنة (٧٤٢هـ) ، ونشأ يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم ، وكانت له حلة ببالا زهر ، توفي سنة (٨٠٨هـ) • ترجمته في مفتاح السعادة ١/١٨٦ ، كشف الظنون ٦٩٦ ، الاعلام ٣٤٠/٧ •

(٢) هو الامام المحدث الحافظ ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، توفي سنة (٦٤٣هـ) •

(٣) هو ابو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الخولاني بالولاء ، ولد في اليم سنة (٢٣هـ) ، وكان من اكابر التابعين تفقها في الدين ورواية للحديث وتقشفا في العيش ، توفي سنة (١٠٦هـ) في مكة بالمزدلفة • ترجمته في حلية الاولياء ٣/٤ ، تهذيب التهذيب ٨/٥ ، الاعلام ٣٢٢/٣ •

(٤) هو ابو بكر محمد بن سيرين البصري الانصاري بالولاء ، ولد في البصرة سنة (٣٣هـ) ، نشأ بزازا في اذنه صم ، وتفقه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، توفي في البصرة سنة (١١٠هـ) • ترجمته في تهذيب التهذيب ٩/٢١٤ ، حلية الاولياء ٢/٢٦٣ ، تاريخ بغداد ٥/٣٣١ ، الاعلام ٧/٢٥ •

(٥) هو ابو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن ابي وهب المخزومي القرشي : سيد التابعين واحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه والزهر والورع ، وكان كايه يعيش بتجارة الزيت ، ولا يقبل العطاء ، توفي في المدينة سنة (٩٤هـ) • ترجمته في حلية الاولياء ٢/١٦١ ، صفة الصفوة ٢/٤٤ ، الاعلام ٣/١٥٥ •

يُكَلِّمُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَكَانَ أَبُوهُ زَيَّاتًا ، وَكَانَ
الثَّوْرِي يَتَعَلَّمُ مِنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى ، ثُمَّ هَجَرَهُ ، وَمَاتَ
ابْنُ أَبِي لَيْلَى ، وَلَمْ يَشْهَدْ الثَّوْرِي [٤٨ ظ] جَنَازَتَهُ
إِنْتَهَى .

وَلَمَّا امْتَنَعَ اللَّيْثُ ^(١) بَنَ سَعْدَ مِنْ قَبُولِ الْقَضَاءِ
حِينَ وَلَاهُ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورُ ، فَاسْتَشَارَهُ فِي رَجُلٍ
يُؤَلِّيهِ ، فَأَشَارَ بَعْثْمَانَ بْنَ الْحَكَمِ الْجَذَامِي ، فَلَمَّا بَلَغَهُ
ذَلِكَ عَاهَدَ اللَّهُ أَنْ لَا يَكَلِّمَ اللَّيْثَ أَبَدًا ، ذَكَرَهُ
الْبَيْهَقِيُّ .

وَفِي الْفُرُوعِ لِلْعَلَّامَةِ ابْنِ مَفْلَحٍ ^(٢) مِنَ الْحَنَابِلَةِ أَنَّ
الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ هَجَرَ أَوْلَادَهُ ، وَعَمَّهُ ، وَابْنَ
عَمِّهِ لَمَّا أَخَذُوا جَائِزَةَ السُّلْطَانِ ، قَالَ الْقَاضِي : وَهُوَ
يَقْتَضِي جَوَازَ الْهَجْرِ بِأَخْذِ الشَّبْهَةِ ، وَإِنَّمَا أَجَازَهُ ،
لَأَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَجَرُوا بِمَا فِي مَعْنَاهُ ،
كَهَجْرِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ ضَحْكَ فِي جَنَازَةٍ ، وَحَذِيفَةَ بِشَدِّ
الْخِيطِ لِلْخُمِيِّ ، وَعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْرًا بِهَجْرِ

(١) هُوَ أَبُو الْحَارِثِ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْفَهْمِيُّ بِالْوَلَاءِ ،
إِمَامُ أَهْلِ مِصْرَ فِي عَصْرِهِ حَدِيثًا وَفَقْهًا ، وَلَدَ فِي قَلْقَشْنَدَةَ سَنَةَ (٩٤هـ) ،
قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ فِيهِ : اللَّيْثُ أَفْقَهُ مِنْ مَالِكٍ ، تَوَفَّى فِي الْقَاهِرَةِ
سَنَةَ (١٧٥هـ) ، تَرَجَمَتْهُ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ٨/ ٤٥٠ ، النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ
٨٢/٢ ، تَارِيخُ بَغْدَادَ ٣/ ١٣ .

(٢) هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَفْلَحِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَفْرَجٍ ، شَمْسُ الدِّينِ
الْمَقْدِسِيُّ ، أَعْلَمُ أَهْلِ عَصْرِهِ بِمَذْهَبِ ابْنِ حَنْبَلٍ ، وَلَدَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ
سَنَةَ (٧٠٨هـ) ، وَتَوَفَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ (٧٦٣هـ) ، مِنْ تَصَانِيفِهِ كِتَابُ
الْفُرُوعِ فِي الْفَقْهِ ، تَرَجَمَتْهُ فِي الدَّرَرِ الْكَامِنَةِ ٤/ ٢٦١ ، الْإِعْلَامُ ٧/ ٣٢٧ .

ضُبِّيعَ بِسْؤَالِهِ عَنِ الذَّارِيَّاتِ وَالْمُرْسَلَاتِ وَالنَّازِعَاتِ ،
وَقَالَ الْخَلَّالُ : كَانَ أَحْمَدُ يُوسِعُ عَلَى مَنْ أَخَذَ جَائِزَةً
السُّلْطَانِ لِحَاجَتِهِ ، فَلَمَّا أَخَذُوهَا مَعَ الْإِسْتِغْنَاءِ
هَجَرَهُمْ ثُمَّ كَلَّمَهُمْ ، وَهُوَ عِنْدِي عَلَى غَيْرِ قِطْعِ الْمَصَارِمَةِ ،
لَأَنَّهُمْ وَإِنْ اسْتَغْنَوْا فَلَهُمْ حُجَّةٌ قَوِيَّةٌ أَنْتَهَى .

وفى مسند الدارمي عن خراش بن جبير قال :
(رأيتُ في المسجدِ فتىً يحذفُ ، فقالَ لهُ شيخٌ :
لا تحذفُ فإنِّي سمعتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ
وَسَلَّمَ يَنْهَى ^(١) عَنِ الْحَذَفِ ، فغفلَ الفتى وظنَّ أنَّ
الشَّيْخَ لَا يَفْظُنُّ لَهُ ، فحذفَ ، فقالَ ^(٢) الشَّيْخُ :
أُحَدِّثُكَ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ
وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنِ الْحَذَفِ ثُمَّ تَحَذَفُ ، وَاللَّهِ لَا أَشْهَدُ
لَكَ جَنَازَةً وَلَا أَعُودُكَ فِي مَرَضٍ ، وَلَا أَكَلِمَكَ أَبَدًا) ^(٣) .
ثم روى الدارمي أنَّ عبدَ اللهِ بنَ مَغْفَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :
(رأى رجلاً من أصحابه يحذفُ فقالَ : لا تحذفُ فإنَّ
رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْهَى
عَنِ الْحَذَفِ ، وَكَانَ يَكْرَهُهُ ، وَانْتَهَ لَا يُنْكَأُ بِهِ عَدُوٌّ ،
[٤٩ و] وَلَا يُصَادُ بِهِ صَيْدٌ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَفْقَهُ الْعَيْنُ
وَيَكْسِرُ السِّنَّ . ثُمَّ رَأَاهُ ^(٤) بَعْدَ ذَلِكَ يَحذفُ ،
فَقَالَ ^(٥) : أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) كذا في النسخ المخطوطة وفي سنن الدارمي : (نهى) .

(٢) في سنن الدارمي : (قال له الشيخ) .

(٣) سنن الدارمي ٩٦/١ .

(٤) كذا في الأصل ، وفي ب ، م : نرا ، وهو تحريف .

(٥) في سنن الدارمي : (فقال له) .

وآله وسلّم كان ينهى ، ثم أراك تحذف ؟ والله
لا أكلّمك أبداً (١) .

وقد أخرجه الشيخان بنحوه ، وروى الدارمي
أيضاً (أن ابن سيرين حدّث رجلاً بحديث عن رسول
الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقال الرجل : قال
فلان كذا وكذا . فقال ابن سيرين : أهدئك عن
النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وتقول : قال
فلان ، لا أكلّمك أبداً (٢) .

وأخرج البيهقي عن عطا بن يسار : (إن معاوية
بن أبي سفيان باع سقاية من ذهب ، أو ورق بأكثر
من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : سمعت رسول الله
صلّى الله عليه وآله وسلّم نهى عن مثل هذا إلا
مثلاً بمثل . فقال له معاوية : ما أرى بأساً . فقال
أبو الدرداء : من يعذرني من معاوية ، أخبره عن
رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ويخبرني
عن رأيه ، لا أساكنك بأرض أنت بها (٣) . قال
البيهقي : قال الشافعي : فرأى أبو الدرداء الحجة

(١) سنن الدارمي ٩٦/١ - ٩٧ .

(٢) سنن الدارمي ٩٧/١ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ٢٨٠/٥ ، وفيه : (ثم قدم أبو الدرداء على
عمر فذكر له ذلك ، فكتب عمر رضي الله عنه الى معاوية الا يبيع ذلك
الا مثلاً بمثل ووزناً بوزن) ، وهو بكامله في سنن الشافعي ص ٤٣ .

تقوم' بخبره ، ولما لم ير معاوية' ، فارق أبو الدرداء الأرض التي هو بها إعظاماً ، لأنه ترك خبراً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الشافعي : وأخبرنا أن أبا سعيد الخدري لقي رجلاً فأخبره عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فخالفه ، فقال أبو سعيد : والله لا آواني وإياك سقف بيت أبداً . قال الشافعي : فرأي أن أضيف على الخبر أن لا يقبل خبره . قلت : فهذا كله هجران لله ولرسوله ، مع أن الهجران يزول [٤٩ ظ] عند مالك والشافعي والجمهور بمجرد السلام ، كما يشير إليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) (١) . ولذا قال النووي وغيره من العلماء : إن المبدع ومن اقترف ذنباً عظيماً ولم يتب منه ، لا يسلم عليهم (٢) ، ولا يرد عليهم السلام ، وقال في شرح المذهب : (إن في السلام على المبتدع والفاسق المجاهر بفسقه ، ومن ارتكب ذنباً عظيماً ، ولم يتب منه وجهان حكاهما الرافعي أحدهما يستحب ، لأنه مسلم ، وأصحها لا يستحب ، بل يستحب أن لا يسلم عليه ، وهذا مذهب ابن عمران والبخاري صاحب الصحيح ، واحتج البخاري في صحيحه بحديث

(١) الحديث في موطأ مالك ٩٠٧/٢ ، مسند الامام ابن حنبل ١٧٦/١ ،

١٨٣ ، صحيح مسلم ٩/٨ ، ٢٥ ، ٢٦ ، صحيح الترمذي ١٨٠/٨ .

(٢) ينظر شرح المذهب للنووي ٤٦٨/٤ .

كعب بن مالك^(١) ، أي المتقدم في قصة تخلفه ، ثم قال البخاري وقال عبد الله بن عمر : (لَا تُسَلِّمُوا عَلَى شُرْبَةِ الْخَمْرِ)^(٢) ، قال البخاري وغيره : ولا يُرَدُّ السَّلَامُ عَلَى هَؤُلَاءِ ، ودليله حديث كعب فان اضطُرَّ الى السَّلَامِ عَلَى الظَّالِمَةِ ، بأن دخلَ عليهم وخافَ ترتبَ مفسدةٍ في دينٍ ، أو دُنْيَا إن لم يُسَلِّمْ عليهم سَلِّمْ عَلَيْهِمْ . قال ابنُ العربي : (وينوي حينئذ أن السَّلَامَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى ، ومعناه : الله رَقِيبٌ عَلَيْكَ)^(٣) . انتهى كلامُ شرحِ المذهب .

وفي باب تركِ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنْ مُخْتَصَرِ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ لِلْحَافِظِ الْمُنْذَرِيِّ ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ : (قَدِمْتُ عَلَى أَهْلِي وَقَدْ تَشَقَّقَتْ يَدَايَ فَخَلَقُونِي بِزَعْفَرَانٍ ، فَغَدَوْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ ، وَقَالَ : إِذْهَبْ فَاغْسِلْ عَنْكَ هَذَا)^(٤) . وقال المهلب : تركُ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الْمَعَاصِي سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ ، وبه قال كثيرٌ من أهل العلم [٥٠ و] في أهل البدع^(٥) .

(١) صحيح البخاري ٧٠/٨ .

(٢) صحيح البخاري ٧٠/٨ .

(٣) شرح المهذب ٤٦٨/٤ .

(٤) سنن أبي داود ٣٩٨/٢ ، وتكملة الحديث : (فذهبت فغسلته ،

ثم جئت فسلمت عليه فردَّ عليَّ فرحب بي ، وقال : إن الملائكة

لا تحضر جنازة الكافر بخير ، ولا المتضمن بالزعفران ولا الجنب) .

(٥) ينظر شرح المهذب ٤٦٨/٤ .

قلتُ : وهو محمولٌ على المتجاهرِ ببدعته كما قيّد به الفاسق في شرح المذهب كما أوضحناه في كتاب طبّ الكلام بفوائد السّلام ، وألحق بعض الحنفية بذلك من تعاطى حوارم المروّة ، قال بن دقيق^(١) العيد : ويكون ذلك على سبيل التّأديب لهم ، والتبري منهم ، أي لا لقصد مجرّد الايذاء ، ولذا قال العلماء : إنّه يجوزُ أنْ نقولَ للفاسق : أنتَ فاسقٌ ، أو مفسدٌ ، إذا كان يفسدُ بين النّاسِ ، وكذا يقوله لغيره في حضوره ، أو غيبته ، بشرط قصد النصيحة له ولغيره ببيان حاله ، أو قصد الزّجر والرّدع عن صنيعه ، ولا يقصدُ الوقعة والتعبير ، ويشترطُ هذا أيضاً في جميع المواضع التي تباح فيها الغيبة ، بأنْ يتعيّن طريقاً الى الوصول لغرض صحيح شرعيّ على ما بسّط في محله .

وعن معاوية بن حيدة قال : (خطبهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال : حتّى متى ترعون عن ذكر الفاجر ؟ هتكوه حتّى يحذره)

(١) هو ابو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، تقي الدين القشيري المعروف بابن دقيق العيد ، ولد في مصر سنة (٦٢٥هـ) ، اكمل تعليمه في الاسكندرية ودمشق والقاهرة ، واصبح من كبار العلماء ، ولي القضاء في الديار المصرية واستمر الى أن توفي في مصر سنة (٧٠٢هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة ٩١/٤ ، مفتاح السعادة ٢١٩/٢ ، الطالع السعيد ص ٣١٧ ، شذرات الذهب ٥/٦ ، الاعلام ٨٧٣/٧ .

النَّاسُ' (١) ، رواه الطَّبْرَانِي فِي الثَّلَاثَةِ وَإِسْنَادُ
 الْأَوْسَطِ وَالصَّغِيرِ حَسَنٌ رِجَالُهُ مُوْثِقُونَ . وَقَدْ
 قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِي
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فِي قِصَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي الصَّحِيحِ :
 (إِنَّكَ أَمْرٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ) (٢) . وَقَدْ بَوَّبَ الْبُخَارِيُّ
 لِمَا يَجُوزُ مِنْ إغْتِيَابِ أَهْلِ الْفَسَادِ ، وَأُورِدَ فِيهِ حَدِيثُ
 عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : (أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ :
 بَيْئَسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ ، وَبَيْئَسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ . فَلَمَّا
 جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي
 وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ . فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ [٥٠ ظ]
 لَهُ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ
 لَهُ : كَذَا وَكَذَا ، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ
 إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
 يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدُ تَنِييَ فَحَاشَا ؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ
 اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ إِتْقَاءً

(١) المعجم الصغير للطبراني ٢١٥/١ ، وفيه الحديث عن معمر بن بهز
 ابن حكيم عن أبيه عن جده .

(٢) الحديث في صحيح البخاري ١٤/١ ، ولفظه ' عن المعمر بن سويد
 قال : (لقيت أبا ذرٍّ بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة ' ، فسألته
 عن ذلك ، فقال : اني سابيت رجلاً فغيرته بأمه ، فقال لي النبي
 صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذرٍّ غيرته بأمه إِنَّكَ أَمْرٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ) .

شَرُّهُ (١) ، فتبيّن النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوَّلًا أمرَ هذا الرَّجُلِ ، وتعريفَ النَّاسِ بحاله من باب النَّصِيحَةِ ، والشَّفَقَةِ عَلَى الْأُمَةِ ، لئلا يَغْتَرُّوا بِمَا سَيَقَعُ لَهُ مِنَ الْبَشَاشَةِ ، فيحَسُنُونَ قَبِيحَ حاله ، وقد جَبَلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْكُرَمِ وَحَسَنِ الْخَلْقِ يَجِبُهُ بِالْمَكْرُوهِ ، وتَأَلَّفَهُ بِمَا أَبْدَاهُ مِنْ طَلَاقَةِ وَجْهِهِ ، لتقتدي بِهِ الْأُمَةُ فِي إِتْقَانِ شَرٍّ مِنْ هَذَا سَبِيلِهِ ، وفي مَدَارَاتِهِ لِلسَّلَامَةِ مِنْ شَرِّهِ وَغَائِلَتِهِ ، وفي تَأْلِيفِهِ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ مَعَ تَبَيّنِ حاله ، فَكُلُّ مَنْ إِطْلَعَ مِنْ حَالِ شَخْصٍ عَلَى شَيْءٍ ، وَخَشِيَ أَنْ غَيْرَهُ يَغْتَرُّ بِجَمِيلِ ظَاهِرِهِ ، فعليه أَنْ يَطْلُعَ ذَلِكَ الْغَيْرَ عَلَى مَا يُحْذَرُ مِنْ ذَلِكَ قَاصِدًا نَصِيحَتَهُ .

وقال القرطبي (٢) في هذا الحديث : جوازُ غيبةِ المُعْلَنِ بِالْفُسْقِ وَالْفَحْشِ ونحو ذلك مَعَ جَوَازِ مَدَارَاتِهِمْ إِتْقَانًا شَرُّهُمْ مَا لَمْ يُؤَدِّ ذَلِكَ إِلَى الْمَدَاهِنَةِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى ، إنتهى . وقال غيرُهُ : مَا وَقَعَ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَقِّ ذَلِكَ الرَّجُلِ مُخْضُ النَّصِيحَةِ ، لِيَحْذَرَهُ السَّامِعُ ، وَإِنَّمَا لَمْ

(١) الحديث في صحيح البخاري ١٥/٨ ، وفي صحيح الترمذي ١٦٢/٨ ، موطأ مالك ٩٠٣/٢ ، صحيح مسلم ٢١/٨ ، سنن أبي داود ٥٥١/٢ ، مسند ابن حنبل ٣٨/٦ ، ٨٠ ، ١٥٨ ، ١٧٣ . في كتب الحديث جميعها اختلاف في اللفظ ما عدا صحيح البخاري فإنه موافق لرواية المصنف .

(٢) سبقَت ترجمته .

يواجهه' صلى الله عليه وآله وسلم القول فيه بذلك لحسن خلقه ، ولو واجهه' في ذلك كان حسناً ، لكن حصل القصد بدون مواجهة ، والمداراة مندوب" إليها بخلاف المداينة فانها محرمة" ، وليست المداراة مطلوبة في كل مقام ، وكل حال ، بل حيث يكون لجلب نفع [٥١ و] ودفع ضرر ، فربما كان المستعمل لما بطن مداراة في غير موضعها مدهناً حيث لم يظهر منه ما يدل على عدم الرضا بذلك (١) الحال ، ولذا قال ابن بطال (٢) : ظن بعضهم أن المداراة هي المداينة ، فغلط ، لأن المداراة مندوب إليها والمداينة محرمة" ، والفرق إن المداينة من الدهان ، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء : بأنها معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ، والمداراة : هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الأغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو عليه بلطف القول والفعل ، أي : في المحل الصالح له اللطف ، سيما إذا دعت الحاجة إلى تأليفه ، أو كان لا ينجح فيه إلا مثل ذلك ونحوه ، قال ابن بطال : والرجل المذكور في حديث عائشة هو عيينة (٣) بن حصين الغزاري ، وكان يقال له (الأحمق

(١) لو قال (بتلك الحال) لكان اصح لأن الحال مؤنثة .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) هو عيينة بن حصن بن حذيفة الغزاري . ينظر المجبر ص ٢٤٩ ، ٣٨٠ .

المطاع' (١) ، ورجا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 باقباله عليه تَأْلَفَهُ لِيَسْلَمَ قَوْمَهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ
 رُئُوسَهُمْ ، وَكَذَا فَسَّرَهُ ابْنُ عِيَّاضٍ ، ثُمَّ الْقُرْطُبِيُّ
 وَالنَّوَوِيُّ جَازَمِينَ (٢) ، بِذَلِكَ ، وَنَقَلَهُ ابْنُ الْبَيْنِ عَنِ
 الدَّادُودِيِّ إِحْتِمَالًا لَا جَرَمًا .

قالَ الحافظُ ابنُ حجر : وقد أخرجهُ عبدُ الغني (٣) بنُ
 سعيدٍ في المبهماتِ من طريقِ عبدِ الحكمِ عن مالِكٍ أَنَّهُ
 بلغه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ :
 (إِسْتَأْذَنَ عَيْنَةُ بْنُ حَصِينٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : بئسَ ابنُ العشيرة الحديث) ،
 وأخرجهُ ابنُ ' بشكوال (٤) في المبهماتِ من طريقِ
 الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أَنَّ عَيْنَةَ إِسْتَأْذَنَ ،
 فذكرهُ ' مرسلًا ، وأخرج عبدُ الغني أيضًا من طريقِ أبي
 عامر الخزاعي عن أبي يزيد المدني عن عائشة قالت :

(١) المحبر ص ٢٨٠ .

(٢) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٤/١٦ .

(٣) هو ابو محمد عبد الغني بن سعيد الازدي ، شيخ حفاظ الحديث في
 مصر في عصره ، ولد في القاهرة سنة (٣٣٢هـ) ، كان عالما بالانساب ،
 توفي في القاهرة سنة (٤٠٩هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/٣٠٥ ،
 الاعلام ١٥٩/٤ .

(٤) هو ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن شكوال الخزرجي
 الانصاري الاندلسي ، ولد في قرطبة سنة (٤٩٤هـ) درس فيها واصبح
 مؤرخاً وقاضياً حيث ولي القضاء في بعض جهات اشبيلية ، توفي في
 قرطبة سنة (٥٧٨هـ) .
 ترجمته في الديباج المذهب ص ١١٤ ، وفيات الاعيان ١/١٧٢ ،
 الاعلام ٣٥٩/٢ .

« جاءَ مخرمةٌ بن نوفل يستأذنُ ، فلمَّا سمعَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صوتهُ قال : بُئسَ أخو العشيرة الحديث) .

قالَ الحافظُ ابنُ حجر عقبه : فيُحْمَلُ ذلكَ على التعددِ ، وقد حكى المنذري^(١) في مختصره القولين ، فقالَ : هو عيينةٌ وقيلَ مخرمةٌ ، وقالَ عياض^(٢) : (جرياً على كونه عيينةً ، ولم يكن عيينةً واللهُ أعلمُ أسلمَ حينئذٍ ، أو كانَ أسلمَ ولم يكن إسلامه ناصحاً ، وقد كانتُ منه في حياة النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبعدهُ أمورٌ تدلُّ على ضعفِ إيمانه ، فيكونُ هذا الوصفُ منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من علامات النبوة ، وإلانهُ القولِ بعدَ أنْ دخلَ على سبيلِ التآلفِ لَهُ)^(٣) إنتهى .

(١) هو ابو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله المنذري ، عالم بالحديث والعربية ، وكان حافظاً ومؤرخاً ، من كتبه مختصر صحيح مسلم ، ومختصر سنن أبي داود ، توفي في مصر سنة (٦٥٦هـ) .
البداية والنهاية ١٣/٢١٢ ، فوات الوفيات ١/٢٩٦ ، الاعلام ٤/١٥٥ .

(٢) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي ، ولد في سبته سنة (٤٧٦هـ) ، كان محدثاً واماماً وعالمًا بكلام العرب وانسابهم ، ولي القضاء في سبته ثم في غرناطة ، وتوفي في مراكش سنة (٥٤٤هـ) .
ترجمته في وفيات الاعيان ١/٣٩٢ ، مفتاح السعادة ٢/١٩ ، الاعلام ٥/٢٨٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٤٤ .

وقد جاء في رواية عبد الحارث بن اسامة ، فقال
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ مُنَافِقٌ أَدَارِيهِ عَنْ
نِفَاقِهِ ، وَأَخْشَى أَنْ يَفْسِدَ عَلَيَّ غَيْرُهُ . وَقَدْ كَانَ
عُيَيْنَةَ إِرْتَدَّ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ،
وَحَارِبٌ ثُمَّ رَجَعَ وَأَسْلَمَ ^(١) وَحَضَرَ بَعْضُ ^(٢) الْفَتْوحِ فِي
زَمَنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَلَهُ مَعَ عُمَرَ قِصَّةٌ فِيهَا
مَا يَدُلُّ عَلَى جَفَائِهِ ، وَحَدِيثُ (إِنَّهُ أَحْمَقُ مُطَاع) ^(٣)
أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ مُنْقَطِعًا ، وَوَصَلَهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ
حَدِيثِ جَرِيرٍ .

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ - عَقِيبُ قَوْلِهِ - فِيمَا سَبَقَ مَا لَمْ يُوَدَّ
ذَلِكَ إِلَى الْمَدَاهِنَةِ فِي دِينِ اللَّهِ - وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَدَارَةِ
وَالْمَدَاهِنَةِ إِنَّ الْمَدَارَةَ بَذَلُ الدُّنْيَا لِصَلَاحِ الدُّنْيَا
وَالدِّينِ ، أَوْ هُمَا مَعًا ، وَهِيَ مَبَاحَةٌ وَرُبَّمَا اسْتَحَبَّتْ ،
وَالْمَدَاهِنَةُ : تَرْكُ الدِّينِ لِصَلَاحِ الدُّنْيَا ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَذَلَ لَهُ مِنْ دُنْيَاهُ حَسَنَ
عَشْرَتِهِ ^(٤) ، وَالرَّفْقُ فِي مَكَالَتِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ
يَمْدَحْهُ بِقَوْلٍ ، فَلَمْ يَنَاقِضْ قَوْلَهُ فِيهِ فَعَلَهُ ، فَإِنْ
قَوْلُهُ فِيهِ قَوْلٌ حَقٌّ ، وَفَعَلَهُ مَعَهُ حَسَنُ عَشْرَةٍ ،
إِنْتَهَى . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (إِتْقَاءُ
شَرِّهِ) أَيْ قَبِيحِ كَلَامِهِ ، أَوْ فَعَالِهِ ، لِأَنَّهُ [٥٢ و] كَانَ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَ (م) ، وَفِي (ب) : (فَاسْلَم) .

(٢) كَذَا فِي (م) ، (ب) ، وَفِي الْأَصْلِ : (بَعْد) ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ ٣٤٥/٢ ، وَفِيهِ : (هَذَا أَحْمَقُ مُتَّبِعٌ) .

(٤) فِي الْأَصْلِ : (عَشِيرَتُهُ) ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

من جفاة الأعراب الذين ينفع في إلقاء ذلك منهم
 مثل ذلك ، فيؤخذ منه أن من لا تنجع^(١) فيه المداراة
 لا تستعمل معه ، لأنها لا تقى شره ، سيما إذا
 فهم من حاله أنها تزيد إغراء وطمعا كما هو
 مستقر من أحوال بعض ذوي اللؤم ، فما كل جان
 يعذر ولا كل ذنب يغفر ، والله در أبي الطيب^(٢)
 حيث يقول^(٣) :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
 وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلی
 مضر كوضع السيف في موضع الندى

واللائق بالعلماء وغيرهم من أهل البيت الكرام
 في مثل هذا النوع من الناس الأعراض عنهم
 وتجنبهم . قال الله تعالى : (ثم ذرهم في

(١) في (ب) : (تنفع) ، وما أثبتناه أحسن .

(٢) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي
 الكندي الشاعر المشهور ، ولد في الكوفة سنة (٣٠٣هـ) ، وتنقل
 بالبادية لمعرفة اللغة والأدب وسافر إلى الشام وفلسطين ومصر ،
 وقتل في العراق سنة (٤٥٤هـ) . ترجمته في ابن خلكان ١/٣٦ ،
 لسان الميزان ١/١٥٩ ، تاريخ بغداد ٤/١٠٢ .

(٣) البيتان في شرح ديوان المتنبي ص ٥٣٣ .

خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ^(١) ، وقد جرّبتُ هذا النوع من النَّاسِ ، حيثُ لم أحترسْ منهم بكمالِ التَّوقِّي والاجتنابِ تَكَرَّرَ لي الأذى منهم ، وقد قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جَحْرِ مَرَّتَيْنِ)^(٢) ، رواه البخاري ومسلم . قالَ النَّووي في شرحِ مسلم في هذا الحديث : (إِنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ نَالَهُ الضَّرَرُ مِنْ جَهَةٍ أَنْ يَجْتَنِبَهَا لثَلَا يَقَعَ فِيهَا ثَانِيَةً)^(٣) ، انتهى .

وقالَ أبو عبيدة^(٤) : معناه ' لا ينبغي للمؤمن إذا نَكِبَ مِنْ وَجْهَةٍ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ ، وهذا ما فهمه أكثرُ العلماءِ من الحديثِ ، ومنهم الزَّهْرِيُّ ، قِيلَ والمرادُ بالمؤمنِ في هذا الحديثِ : الكاملُ الذي قَدَّ وَقَفَّتْهُ^(٥) معرفته على غوامضِ الأمورِ حتَّى صارَ حازماً يحذرُ ممَّا سيقعُ فلا يُؤْتِي من ناحيةِ الغفلةِ ، وأمَّا المؤمنُ المغفلُ فقد يُلْدَغُ مراراً .

-
- (١) سورة الانعام الآية : ٩١ .
 (٢) الحديث في صحيح مسلم ٢٢٧/٨ ، مسنده ابن خنبل ١١٥/٢ ، سنن أبي داود ٥٦٥/٢ ، سنن ابن ماجه ١٣١٨/٢ .
 (٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٥/١٨ .
 (٤) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالسواء البصري النحوي ، ولد في البصرة سنة (١١٠هـ) ، وتوفي فيها سنة (٢٠٩هـ) .
 ترجمته في تاريخ بغداد ٢٥٢/١٣ ، مفتاح السعادة ٩٣/١ ، الاعلام ١٩١/٨ .
 (٥) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : (أوقفته) .

قال ابن بطّال : فيه أدبٌ شريفٌ أدبٌ به
النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ وَنَبَتَهُمْ
كيف يحذرون [٥٢ ظ] ممّا يخافون سوء عاقبته ،
وفي معناه حديث : (المؤمنُ كيّسٌ حذرٌ) (١) ،
أخرجه صاحبُ مسند الفردوس .

وقوله : (لا يُلْدَغُ المؤمنُ الحديثُ) ممّا لم
يُسَبِّقْ إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وأوّلُ
ما قاله لأبي غرة الجمحي (٢) ، وكان شاعراً (٣) فأسرَّ
ببدر فشكى للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
عائلةً وفقراً ، فمنَّ صلى اللهُ عليه وآله وَسَلَّمَ
وأطلقه بغير فداء ، وأخذَ عليه أن لا يُظامنَ عليه
أحداً ، ولا يهجوهُ ، فلمّا كان عندَ مسيرِ كفّارِ قريشِ
لغزوةٍ أُحْدِ قالَ له صفوان (٤) بنُ أمية : إِنَّكَ إمْرَأٌ
شاعرٌ ، فأعنا بلسانك ولم يزلْ به حتّى خرجَ
مَعَهُمْ ، فلمّا أخذه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
حينَ خرجَ لِحِمْراءِ الأسدِ مرهباً لعدوّهِ مرّجعهُ من
أُحْدِ ، قالَ : يَا رَسُولَ اللهِ أَقْلَنِي ، وذكرَ فقره

(١) المغيرة على الاحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص ٩٨ ، عن أنس .

(٢) في (ب) : (أبي عروة) ، وهو خطأ .

(٣) جمهرة الامثال للعسكري ٣٨٧/٢ ، ذكرت القصة والحديث عن
أبي هريرة ، وذكرها النووي بشكل موجز في شرح صحيح مسلم
١٢٥/٨ .

(٤) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشي المكي ،
كان مع المشركين في غزوة بدر ، واسلم وكان من المؤلفة قلوبهم ،
وشهد اليرموك ، ومات بمكة سنة (٤١هـ) ، ترجمته في المعبر ص ١٤٠ ،
تهذيب التهذيب ٤٢٤/٤ ، الاعلام ٢٩٦/٣ .

وعِيَالَهُ . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمَنُ مِنْ جَحْرِ مَرَّتَيْنِ) اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَضْرِبْ عُنُقَهُ . وَفِي رَوَايَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَمْسَحْ عَارِضِيكَ بِمَكَّةَ تَقُولُ : خَدَعْتَ مُحَمَّدًا مَرَّتَيْنِ) (١) اضْرِبْ عُنُقَهُ يَا زَبِيرُ ، فَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَيُؤْخَذُ مِنْهُ تَقْوِيَةٌ مَا سَبَقَ عَنْ الْأَكْثَرِ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ إِلَّا مَا قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ أَنْ مَعْنَاهُ أَنْ الْمُؤْمِنَ لَا يُعَاقَبُ عَلَى ذَنْبٍ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ يُعَاقَبُ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضًا أَنْ الْغَادِرَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ مَعَهُ الْحِلْمُ ، بَلْ يُنْتَقَمُ مِنْهُ ، فَالْحِلْمُ لَيْسَ مَحْمُودًا مُطْلَقًا ، وَفِيهِ تَحْذِيرٌ مِنَ التَّغْفُلِ ، وَإِشَارَةٌ إِلَى إِسْتِعْمَالِ الْفُطْنَةِ ، وَلِذَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ : (إِحْتَرَسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ) (٢) ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ ، وَأَخْرَجَهُمَا فِي فَوَائِدِهِ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعِيفٌ [٥٣ و] أَيْضًا ، قَدْ صَحَّ مِنْ قَوْلِ مَطْرَفِ التَّابَعِيِّ الْكَبِيرِ . وَلَعَلَّ الْمُرَادَ مِنْهُ أَنْ يُحْتَرَسَ مِنَ النَّاسِ إِحْتِرَاسَ مَنْ أَسَاءَ الظَّنُّ بِهِمْ لَيْسَلِمَ مِنْهُمْ ، وَقَدْ أَخْرَجَ تَمَامُ (٣) فِي فَوَائِدِهِ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا : (مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ بِالنَّاسِ

(١) جمهرة الامثال لأبي هلال العسكري ٣٨٨/٢ .

(٢) المطالب العالِيَة بزوائد المسانيد الثمانية ١/٣ ، وفيه عن مطرف .

(٣) هو أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر البجلي الرازي ، من حفاظ الحديث ، كان محدث دمشق في عصره ، له كتاب الفوائد ، يتكون من ثلاثين جزءاً في الحديث ، توفي سنة (٤١٤هـ) . ترجمته في شذرات الذهب ٣/٢٠٠ ، كشف الظنون ١٢٩٦ .

كَثُرَتْ نَدَامَتُهُ) • ولأبي الشيخ والديلمي عن
عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ قَوْلِهِ : (الْحَزْمُ سُوءُ
الظَّنِّ) (١) • ونظم بعضهم هذا فقال (٢) :

لَا يَكُنْ ظَنُّكَ إِلَّا سَيِّئًا
إِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ أَقْوَى الْفُطَنِ
مَا رَمَى الْأَنْفُسَ فِي مَكْرُوهَةٍ
أَسْفَأَ أَقْوَى مِنَ الظَّنِّ الْحَسَنُ

وكله 'محمول' على ما أشرنا إليه ، مع أن إساءة
الظَّنِّ بأهل الشرِّ والفجور جائزة • فقد قال الكمال
الدميري في شرح المنهاج : الظَّنُّ في الشرِّ ينقسم
إلى : واجب ، ومندوب ، وحرام ، ومباح • فالواجب :
حسنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، والحرام : سوءُ الظَّنِّ
بِهِ سبحانه ، قَالَ تَعَالَى : (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي
ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ) (٣) ، وبكلٍّ من ظاهره
العدالة من المسلمين ، وعلى هذا يُحْمَلُ قَوْلُهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ

(١) الحديث في عقود الجمان في عدم صحبة أبناء الزمان ورقة ٢ ظ •

(٢) البيتان في كتاب الف ليلة وليلة ٣١٣/١ ، عقود الجمان في عدم
صحبة أبناء الزمان ٢ ظ •

(٣) سورة فصلت الآية : ٢٣ •

أَكْذَبُ الْحَدِيثِ (١) ، أي الظَّنَّ بالمسلم من غير سبب ، والمندوب حسنُ الظَّنِّ بِمَنْ ظاهرهُ العدالةُ من المسلمين ، والجائزُ كقولِ الصديقِ لعائشة رضي اللهُ عنهما : إِنَّمَا هُوَ أَخَوَاكَ وَأُخْتَاكَ ، فاستجازَ الظنَّ لما وقعَ في قلبه أنَّ ما في بطنِ (٢) إمرأته أُنْثَى ، ومن هذا القسمِ الظَّنُّ بمنِ اِشْتَهَرَ بينَ النَّاسِ بمخالطةِ الرِّيبِ والمجاهرِ بالخباثتِ ، فلا يُحْرَمُ ظَنُّ السَّوِّءِ (٣) به ، لأنَّه قد دلَّ على نفسه ، فمن سترَ على نفسه لَمْ يُظَنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السَّوِّءِ إِتَّهَمَ ، ومن هتَكَ نفسه [٥٣ ظ] ظَنَّنَا بِهِ السَّوِّءَ . انتهى .

وروى الترمذي بأثرٍ حديث : (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ) فانَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ (٤) . عن سفيان أنَّه قال : (الظَّنُّ ظَنَانٌ : فَظَنُّ إِثْمٌ ، وَظَنُّ لَيْسَ بِإِثْمٍ ، فَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي هُوَ إِثْمٌ ، فَالَّذِي يَظُنُّ ظَنًّا وَيَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي لَيْسَ بِإِثْمٍ ، فَالَّذِي يَظُنُّ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ) (٥) . انتهى .

(١) الحديث ورد في موطأ مالك ٩٠٨/٢ ، صحيح الترمذي ١٥٦/٨ ،

سنن أبي داود ٥٧٧/٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٠/١٦ .

(٢) كذا في (ب) ، وفي الاصل ، (م) : (ان ذا يظن) ، وليس له معنى .

(٣) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : (سوء الظن) .

(٤) صحيح الترمذي ١٥٦/٨ .

صحيح الترمذي ١٥٦/٨ [٥٥]

قُلْتُ : وَلِيُحْمَلَ مَا ذَكَرَهُ فِي الظَّنِّ الْجَائِزِ عَلَى مَا إِذَا تَعَاطَى الْمُظَنُّونَ بِهِ مَا يَقْتَضِي إِسَاءَةَ الظَّنِّ بِهِ . وَلِهَذَا قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ : الظَّنُّ هُنَا هُوَ (١) التُّهْمَةُ ، وَمَحْمَلُ التَّحْذِيرِ وَالنَّهْيِ إِنَّمَا هُوَ تُّهْمَةٌ لَا سَبَبَ لَهَا يَوْجِبُهَا ، كَمَنْ يُتَّهَمُ بِالْفَاحِشَةِ وَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ مَا يَقْتَضِي ذَلِكَ ، إِنْ تَهَيَّأَ . وَصَوَّبَ النَّوَوِيُّ قَوْلَ الْخَطَّابِيِّ (٢) أَنَّ الْمُرَادَ : (وَإِيَّاكُمْ وَسُوءَ الظَّنِّ) ، وَتَحْقِيقُهُ دُونَ مَبَادِيءِ الظَّنِّ الَّتِي لَا تَمْلِكُ ، قَالَ : (فَاَلْمَحْرَمُ مِنَ الظَّنِّ مَا يُصِرُّ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَمِرُّ فِي قَلْبِهِ دُونَ مَا يَعْرِضُ فِي الْقَلْبِ وَلَا يَسْتَقِرُّ) (٣) ، إِنْ تَهَيَّأَ .

وَقَوْلُهُ : (مَا يُصِرُّ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ) (٤) ، يَعْنِي مِنَ الظَّنِّ الَّذِي مَا يَسْتَنْدُ إِلَى مَا يَقْتَضِي جَوَازَهُ ، فَأَمَّا مَنْ ظَهَرَ خَبَثُهُ وَسُوءُ طَوِيلَتِهِ ، فَأَنَّا نَظُنُّ بِهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ ، فَيُحْذَرُ مِنْهُ بِكَمَالِ الْحَذَرِ ، وَبِالْجَمَلَةِ فَهَذَا زَمَانُ الْعِزْلَةِ وَالْبُعْدِ عَنِ النَّاسِ لِفُسَادِ حَالِهِمْ وَعَظِيمِ مَفْسَدَةِ الْخِلَاطَةِ بِهِمْ . وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : (كَانَ

(١) (هُوَ) : سَاقِطَةٌ مِنْ (ب) .

(٢) هُوَ أَبُو سَلِيمَانَ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْخَطَّابِ الْبُسْتِيِّ ،

مِنْ نَسْلِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ ، مُحَدِّثُ أَهْلِ بَسْتٍ وَفَقِيهِمْ ، وَلَدَ سَنَةَ

٣١٩ هـ ، وَتُوفِيَ سَنَةَ (٣٨٨ هـ) . تَرْجَمَتْهُ فِي وَغِيَّاتِ الْأَعْيَانِ ١/١٦٦ ،

أَنْبَاءُ الرِّوَاةِ ١/١٢٥ ، الْأَعْلَامُ ٢/٣٠٤ .

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ بِشَرْحِ النَّوَوِيِّ ١٦/١١٩ .

(٤) أَيُّ قَوْلِ الْخَطَّابِيِّ .

النَّاسُ' ورقاً لا شوكَ فيه ، فصاروا اليومَ شوكاً
لا ورقَ فيه (١) .

قلتُ : فهذا زمانُ أبي ذرٍّ ، فما ذاكَ بزماننا
وبأشراحه ، وقد روى سبط (٢) بن الجوزي في فضلِ
أهلِ البيتِ النبويِّ بسندهِ الى سفيان الثَّوري قالَ :
قلتُ لجعفر [٥٤ هـ] - يعني الصادقَ بن محمد الباقر - :
يا بنَ رسولِ الله ، إعتزلتَ النَّاسَ ؟ فقالَ : (يا
سفيانُ ، فسَدَ الزَّمانُ وتغيَّرَ الإخوانُ ، فرأيتُ
الانفرادَ أسكنَ للفؤادِ ، ثم قالَ :

ذَهَبَ الْوَفَاءُ ذَهَابَ أَمْسِ الذَّاهِبِ
فَالنَّاسُ بَيْنَ مُخَاتِلٍ وَمُوَارِبٍ

يَفْشُونَ بَيْنَهُمُ الْمَوَدَّةَ وَالصَّفَا
وَقُلُوبُهُمْ مَحْشُوءَةٌ بِعِقَارِبِ (٣)

(١) الكلام لأبي الدرداء كما ذكر ذلك الزمخشري في ربيع الابرار ١٨٥/٢ .

(٢) هو سبط شمس الدين ، ابو المظفر يوسف بن قز أو غلو حفيد
عبدالرحمن بن علي الجوزي من جهة أمه ، كان أبوه مملوكاً تركياً
للوزير ابن هبيرة ، ولد في بغداد سنة (٥٨٢هـ) ، وتعلم فيها ،
وأصبح كاتباً ومدرساً درّس في دمشق ، توفي سنة (٦٤٤هـ) ،
انظر دائرة المعارف الاسلامية ١٢٦/١ .

(٣) الكلام والبيتان ذكرهما ابن الجوزي بنفس السند في كتابه تذكرة
خواص الأمة في معرفة الأئمة ص ١٩٥ ، والبيتان منسوبان للامام علي
في ديوانه ص ٩ .

وقال أبو بكر بن المرزيان (١) في كتابة (فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب) : أخبرنا أبو العباس المبرّد (٢) قال : حدّثني بعض مشايخنا قال : كنتُ عند بشر (٣) بن الحارث يوماً ، فرأيتُه مغموماً يتكلّم حتّى غربت الشمس ثم قرع رأسه وقال (٤) :

ذَهَبَ الرَّجَالُ الْمُتَقَدِّ بِفَعَالِهِمْ
وَالْمُنْكَرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرٍ

وَبَقِيَتْ فِي خَلْفِ يَزِينَ بَعْضُهُمْ
بَعْضًا لِيَدْفَعَ مَعُورٌ عَنْ مَعُورٍ

(١) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن المرزبان البغدادي ، كان فقيهاً من جلة علماء الشافعية درّس في بغداد ، وتوفي سنة (٣٦٦هـ) ، ترجمته في تاريخ بغداد ١١/٣٢٥ ، شذرات الذهب ٣/٥٦ ، كشف الظنون ص ١٢٧٩ .

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالكبر الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد ، ولد في البصرة سنة (١٢٠هـ) ، وكان اماماً بالعربية ، وأحد رجال الأدب والأخبار في زمانه ، توفي في بغداد سنة (٢٨٦هـ) . ترجمته في وفيات الأعيان ١/٤٩٥ ، تاريخ بغداد ٣/٣٨٠ ، لسان الميزان ٥/٣٠ .

(٣) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المعروف بالحافي ، مرت ترجمته .

(٤) البيهتان لأبي الاسود الدؤلي في ديوانه ص ٣٨ ، وورد في حلية الاولياء ٨/٣٤٤ ، معجم الادباء ٢/٣٨ ، الكشكول لبهاء الدين العاملي ١/١٩٤ .

قال ابن المرزبان : وأنشدني زيد بن علي (١) :

إحذرْ مُودَّةَ مَآذِقِ
خَلَطَ المَرَارَةَ بِالحَلَاوَةِ

يَحْصِي الذُّنُوبَ عَلَيْكَ
أَيَّامَ الصَّدَاقَةِ لِلْعَدَاوَةِ

قلتُ : وقريبٌ منه قولُ بعضهم في صديقه (٢) :

وَصَاحِبِ خَلَّتْهُ خَلِيلًا
وَمَا جَرَى غَدْرُهُ بِبَالِي

لَمْ يَخْصَ إِلَّا القَبِيحَ مِنِّي
كَأَنَّهُ كَاتِبُ الشُّمَالِ

وهو عكسُ صديقِ محيي الدين بن سراقَة (٣) الذي
يقولُ فيه (٤) :

وَصَاحِبِ كَالزَّلَالِ اقْرَأ
صَفَاوَةَ الشُّكِّ بِالْيَقِينِ

(١) البيتان في عيون الاخبار ١٠٧/٣ ، لم يذكر اسم الشاعر ، وفيه
(مكان) خلط ، (شاب) .

(٢) البيتان لمحمد بن سراقَة الشاطبي . كما ذكر صاحب كتاب نفح
الطيب ٣٥٣/١ .

(٣) هو محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم ابو بكر محيي الدين
الانصاري الشاطبي المعروفة بابن سراقَة ، كان شيخاً لدار الحديث
بالكاملية بالقاهرة ، توفي سنة (٦٦٢هـ) . ترجمته في البداية والنهاية
٢٤٣/١٣ ، النجوم الزاهرة ٢١٦/٧ ، شذرات الذهب ٣١٠/٥ .

(٤) البيتان في نفح الطيب ٣٥٣/١ منسوبان لابن سراقَة نفسه .

[٥٤ظ] لَمْ يَخْصَ إِلَّا الْجَمِيلَ مِنِّي
كَأَنَّهُ كَاتِبُ الْيَمِينِ

قُلْتُ : وأحوالُ أهلِ زماننا أعجبُ مِنِ الأوَّلِ ،
فليتَّهم يقتصرونَ على إحصاءِ ما صدرَ من الإنسانِ ، بل
يخْتَلِقُونَ غيرَ ما كانَ فيهم ، كما قالَ بعضهم ^(١) :

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يَخْشَوهُ وَإِنْ سَمِعُوا
شَرًّا أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

فالمُناسبُ الإِثْقَابُ وجمعُ الخاطرِ عن هؤلاء ،
وتجنبُهم بحسبِ القدرةِ ، ورفعُ الهمةِ عنهم وعن
دُنياهم ليتحرَّزَ من رِقَّتِهِمْ ، فاعزازُ العِلْمِ متعيَّنٌ ،
وإنَّما يعزُّ أهلُهُ إِذَا أعزَّوه . وقد روى ابنُ ماجةَ عن
ابنِ عمرٍ موقوفاً : (لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ
وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلُ
زَمَانِهِمْ) ^(٢) . وروى البيهقيُّ عن ابنِ مسعودٍ : (لَوْ
أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ
سَادُوا بِهِ أَهْلَ أَيْمَانِهِمْ ، أَوْ قَالَ : أَهْلُ زَمَانِهِمْ ، وَلَكِنْ
بَذَلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ ،
فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَا ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ جَعَلَ اللَّهُمَّ

(١) البيتُ ذكر في كتابِ المستطرف ٨٦/١ ، ولم يذكر له قائلٌ .

(٢) ذكر ابنُ ماجةَ الحديثَ عن ابنِ مسعودٍ ، ولفظه : (لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ

صَانُوا الْعِلْمَ ، وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلُ زَمَانِهِمْ) .

سنن ابنِ ماجةَ ٩٥/١ .

واحدًا همَّ آخرته ، كفاه الله عز وجل ما أهَمَّه
 مِنْ أَمْرٍ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ
 مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي آيٍ أَوْدِيَتْهَا
 هَلَكٌ (١) .

ولله درُّ الامام العلامة القاضي أبي الحسن علي بن
 عبدالعزيز الجرجاني حيث يقول فيما أنبأنا به
 الأخوان القاضي (٢) أبو الفضل محمد ، وأمُّ محمد كمالية
 أبناء العلامة نجم الدين محمد بن أبي بكر الأنصاري ،
 وغيرهما عن البرهان بن صديق الدمشقي عن أحمد بن
 أبي طالب الديرمقري عن أبي جعفر بن علي الهمداني
 عن الحافظ أبي طاهر السلفي عن الامام أبي [٥٥ و]
 القاسم محمود الزمخشري ، قال : أنشدنا أحمد بن

(١) الحديث تكملة للحديث السابق ذكره ابن ماجه في سننه ٩٥/١ ،
 وفيه اختلاف في اللفظ عما ذكره المصنف ، مختصر جامع بيان العلم
 وفضله ص ٨٩ .

(٢) في معيد النعم ومبيد النقم ص ٦٩ قال : (أنشدنا الحافظ ابو
 العباس بن المظفر الاشعري بقراءتي عليه ، قال : أنشدنا الحسن بن
 علي أبي بكر محمد بن الخلال بقراءتي عليه ، قال : أنشدنا جعفر
 الهمداني سماعاً ، قال : أنشدنا أبو عبدالله بن عبدالرحمن بن يحيى
 العثماني الديباجي الامام ، قال : كتب الي العلامة أبو القاسم محمود
 ابن عمر بن محمد الزمخشري من مكة ، وأجازني حينئذٍ ، وكتب
 الي أحمد بن علي الحنبلي وزينب بنت الكمال وفاطمة بنت أبي عمر
 عن محمد بن عبدالهادي عن الحافظ أبي طاهر السلفي عن الزمخشري
 قال أنشدنا أحمد بن محمد بن اسحاق الخوارزمي ، قال : أنشدنا
 أبو سعد المحسن بن محمد الجشمي ، قال : أنشد الحاكم أبو الفضل
 إسماعيل بن محمد بن الحسن قال : أنشدنا القاضي ابو الحسن
 علي بن عبدالعزيز الجرجاني لنفسه) :

محمد بن إسحاق الخوارزمي ، قال : أنشدنا أبو سعيد
المحسن بن محمد الجُشمي قال : أنشدنا الحاكم
أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن ، قال : أنشدنا
القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني
لنفسه (١) :

يقولونَ لي : فيكَ انقباضٌ وإنَّمَا
رأوا رجلاً عن مَوْقفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ
وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمَا
وَمَا كُلُّ بَرَقٍ لَاحٍ لِي يَسْتَفْزِنِي
وَلَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا
وإنِّي إِذَا مَا خَانَنِي الْأَمْرُ لَمْ أَبْتَ
أَقْلَبُ كَفِّي ائْرَهُ مُتَنَدِّمًا
وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا
بَدَأْتُ مَعَ "صِيْرَتِهِ" لِي سُلَمًا
إِذَا قِيلَ : هَذَا مِنْهَلٌ قُلْتُ : قَدْ أَرَى
وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

(١) القصيدة ذكرها العلامة السبكي في كتاب معيد النعم ومبيد النقم
ص ٦٩ - ٧٠ .

وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي
لَأَخْدُمَ مَنْ لَاقَيْتُ لَكِنْ لَأُخْدَمَا

أَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً
إِذَا فَاتَّبَاعُ الْجَهْلِ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانِهِمْ
وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النَّفُوسِ لِعَظَّمَا

وَلَكِنْ أَذَلُّوهُ فَهَانَ وَدَنَسُوا
مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا

قال العلامة ابن التقي السبكي عقب إيراد هذه الأبيات في كتابه (مُعِيدُ النِّعَمِ وَمُبِيدُ النِّقَمِ) :
لقد صدقَ هذا القائلُ لو عَظَّمُوا الْعِلْمَ لِعَظَّمَهُمْ ،
قال : وَأَنَا أَقْرَأُ قَوْلَهُ (لِعَظَّمَا) بفتح العين ، فإنَّ
الْعِلْمَ إِذَا عَظِّمَ عَظِّمَ ، وهو في نفسه عَظِيمٌ ، ولهذا
أقولُ : ولكن أَهَانُوهُ فَهَانُوا ، ولكنَّ الرِّوَايَةَ فَهَانَ
وَلِعَظَّمَا بضم العين ، والأحسنُ مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ ،
قال : وقد نحى شيخُ الإسلامِ [٥٥٥ ظ] تقي الدين بن
دقيق العيد نحو هذه الأبيات فقال (١) :

يَقُولُونَ لِي : هَلَا نَهَضْتَ إِلَى الْعُلَا
فَمَا لَذَّ عَيْشُ الصَّابِرِ الْمُتَقَنِّعِ

(١) ينظر كلام السبكي والقصيدة في معيد النعم ومبيد النقم ص ٧٠ .

وَهَلَّا شَدَدْتَ الْعِيسَ حَتَّى تَحْلَهَا
بِمِصْرَ إِلَى ظِلِّ الْجَنَابِ الْمُرْفَعِ
فَفِيهَا مِنْ الْأَعْيَانِ مَنْ فِيضَ كَفِّهِ
إِذَا شَاءَ رَوَّى سَيْلَهُ كُلَّ بَلْقَعِ
وَفِيهَا قُضَاةٌ لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِمْ
تَعِثْنِ كَوْنُ الْعِلْمِ غَيْرَ مُضِيعِ
وَفِيهَا شَيْوخُ الدِّينِ وَالْفُضْلِ وَالْأُولَى
تَشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْعُلَا كُلُّ إِصْبَعِ
وَفِيهَا وَفِيهَا وَالْمُقَامَةُ^(١) ذِلَّةٌ
فَقُمْ وَأَسْعَ وَأَقْصِدْ بَابَ رِزْقِكَ وَقَرَّعِ
فَقُلْتُ : نَعَمْ أَسْعَى إِذَا شِئْتُ أَنْ أُرَى
ذِلَّةً مُهَانًا مُسْتَخِفًّا بِمَوْضِعِ^(٢)
وَأَسْعَى إِذَا مَالَدَ لِي طُولُ مَوْقِفِي
عَلَى بَابِ مَحْجُوبِ اللَّقَاءِ مُنْئَعِ
وَأَسْعَى إِذَا كَانَ النَّفَاقُ طَرِيقَتِي
أَرْوَحُ وَأَغْدُو فِي ثِيَابِ التَّصَنُّعِ

(١) في معيد النعم ومبيد النقم : (والمهنة) مكان (والمقامة) .

(٢) في معيد النعم ومبيد النقم : (بموضعي) مكان (بموضع) .

وَأَسْعَى إِذَا لَمْ تَبْقَ فِي بَقِيَّةٍ
أُرَاعِي بِهَا حَقَّ التَّقَى وَالتَّوَرُّعِ

فَكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ الصُّدُورِ مَجَالِسٍ
تَشَبُّ لَهَا (١) نَارُ الْغَضَى بَيْنَ أَضْلَعِي

وَكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا
إِذَا بَحَثُوا فِي الْمَشْكِلَاتِ بِمَجْمَعِ

مَنَظَرَةٍ تَحْمِي النَّفُوسَ فَتَنْتَهِي
وَقَدْ شَرَعُوا فِيهَا إِلَى شَرٍّ مَشْرَعِ

مِنَ السَّفَةِ الْمُزْرِي بِمَنْصَبِ أَهْلِهِ
أَوِ الصَّمْتِ عَنْ حَقِّ هُنَاكَ مُضِيٍّ

فَإِمَّا تَوْفِّي مَسْلَكَ الدِّينِ وَالتَّقَى
وَإِمَّا تَلْقَى غُصَّةَ الْمُتَجَرِّعِ

قُلْتُ : الْحَزْمُ اجْتِنَابُ مَا يَفْضِي إِلَى كُلِّ مِّنْ
هَذَيْنِ الْمَسْلُكَيْنِ ، وَإِلَّا فَتَجَرُّعُ الْغُصَّةِ أَسْهَلُ
الْمَرَاتِبِ مِنْ تَوْفِي مَسْلَكَ الدِّينِ وَالتَّقَى ، لِأَنَّ مَصِيبَةَ
النَّفْسِ أَسْهَلُ مِنْ مَصِيبَةِ الدِّينِ أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْهُمَا
بِمَنِّهِ ، وَإِنَّمَا أَوْجِبَ هَذَا غَلَبَةُ [٥٦ و] الْجَهْلِ وَالْهَوَى

(١) في معيد النعم ومبيد النقم : (بها) مكان (لها) .

على أهل المناصب ، ومن شعر شيخ الاسلام تقي
الدّين بن دقيق العيد أيضاً (١) :

أَهْلُ الْمَنَاصِبِ فِي الدُّنْيَا وَرَفَعَتِهَا
أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَرْدُودُونَ عِنْدَهُمْ

فَلْيَتَنَّا لَوْ قَدَرْنَا أَنْ نَعْرِفَهُمْ
مَقْدَارَهُمْ عِنْدَنَا أَوْ لَوْ دَرَوْهُ هُمْ !

لَهُمْ مَرِيحَانٌ مِنْ جَهْلٍ وَفَرْطٍ غَنَى
وَعِنْدَنَا الْمُتَعَبَانِ : الْعِلْمُ وَالْعَدَمُ

وناقضه 'الفتح' الثّقفي وأجاد فقال (٢) :

إِنَّ الْمَرَاتِبَ فِي الدُّنْيَا وَرَفَعَتِهَا
عِنْدَ الَّذِي حَازَ عِلْمًا لَيْسَ عِنْدَهُمْ

(١) هذه الأبيات الثلاثة ذكرها السبكي ضمن خمسة أبيات ترك منها
المصنف الثاني والثالث وهما في معيد النعم ومبيد النقم ص ١٥٤ .

قد أنزلونا لأنّا غير جنسهم منازل الوحش في الإهمال عندهم
فما لهم في توخّي ضرنا نظر ولا لهم في ترقّي قدنا هيم

(٢) وهذه الأبيات أيضاً ذكرها السبكي في معيد النعم ص ١٥٥ ضمن
خمس أبيات ترك المصنف منها البيت الثالث والرابع وهما :

هم الوحوش ونحن الانس حكمتنا تودهم حيث ما شئنا وهم نعم
وليس شيء سوى الإهمال يقطعنا عنهم فإنّهم وجدانهم عدم

لَا شَكَّ أَنْ لَنَا قَدَرًا رَأَوْهُ وَمَا
لِقَدَرِهِمْ عِنْدَنَا قَدَرٌ وَلَا لَهُمْ
لَنَا الْمُرِيحَانِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَدَمٍ
وَفِيهِمْ الْمُتَعَبَانِ : الْجَهْلُ وَالْحَشَمُ
وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَكُلُّ ذِي خَطَرٍ فِي النَّاسِ مُحْتَقَرٌ
عِنْدِي إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي عِنْدَهُ خَطَرٌ
وملاكُ هذا الأمرِ علوُ الهمّةِ وعَدَمُ التدنّسِ
بالأطماعِ ، ولزومُ القناعةِ ، فالحرُّ عبدٌ إنْ طمعَ ،
والعبدُ حرٌّ إنْ قنعَ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ (١) :

قَنَعَ النَّفْسَ بِالْقَلِيلِ وَإِلَّا
طَلَبَتْ مِنْكَ فَوْقَ مَا يَكْفِيهَا

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
(فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) (٢) قَالَ : الْقَنَاعَةُ ،
وَعَنْ سَعِيدِ (٣) بَنِ جَبْرِ قَالَ : لَا يَحْجُجُهُ إِلَى أَحَدٍ ، وَقَالَ

(١) البيت الثاني في أربعة أبيات منسوبة للإمام علي ، ولفظه في ديوانه
ص ٧١ :

(٢) سورة النحل الآية : ٩٧ .

(٣) هو أبو عبد الله سعيد بن جبيرة الأسدي بالولاء الكوفي التابعي ، كان
عالمًا وزاهدًا ، قتله الحجاج سنة (٩٥هـ) ، ترجمته في طبقات ابن
سعد ١٧١/٦ ، حلية الأولياء ٢٧٢/٤ ، الاعلام ١٤٥/٣ .

بشر' بن الحارث : لو لم يكن في القنوع إلا التمتع
 بالعز' لكفى صاحبه' ، وكان من دعائه صلى الله
 عليه وآله وسلم : (اللهم قنّعي بما رزقتني
 وبارك لي فيه) • وقال إمامنا الشافعي فيما رواه
 البيهقي : (من غلبت عليه الشهوة ^(١) لحب الدنيا
 لزمته' [٥٦ ظ] العبودية لأهلها ، ومن رضي
 بالقنوع ، زال عنه الخضوع ^(٢) ، وما أحسن
 قوله' ! قدّس الله روحه ^(٣) :

أمت' مطامعي وأرحت' نفسي
 فإنّ النفس ما طمعت تهون'
 وأحييت' القنوع' وكان ميّتا
 ففي إحيائه عريض' مصون'
 إذا طمع' يحل' بقلب عبْد
 علته' مهانة' وعلاه' هوْن'

(١) في مناقب الشافعي : (شدة الشهوة) •

(٢) مناقب الشافعي ١٧٠/٢ •

(٣) الابيات في ديوان الامام الشافعي ص ١٧٤ •

وَمِمَّا يُرَوَّى عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ قَدَسَ اللَّهُ
رُوحَهُ قَالَ (١) :

لَا تَخْضَعَنَّ لِلْمَخْلُوقِ عَلَى طَمَعٍ
فَإِنَّ ذَلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ فِي الدِّينِ
وَاسْتَغْنِ بِاللَّهِ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا
اسْتَغْنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنِ الدِّينِ
وَاسْتَثَرَّ رِزْقَ اللَّهِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ
فَإِنَّ ذَلِكَ بَيْنَ الْكَافِرِ وَالنَّشُونِ

وروي الحافظ أبو بكر الخطيب عن شيخه الامام
أبي الحسن النعماني قال (٢) :

إِذَا أَظْمَأْتِكَ أَكْفُ اللَّئَامِ
كَفَّتْكَ الْقَنَاعَةُ شَبْعًا وَرِيًّا
وَكَنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَا
وَهَامَةً هَمَّتْهُ فِي الثَّرِيَّا

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة الدينوري ١٨٨/٣ ، لم يذكر القائل ،
وفيه : (لا تضرعن) ، مكان (لا تخضض) ، و (رزقاً من خزائنه)
مكان (مما في خزائنه) .

(٢) لم اتمكن من معرفة هذه الابيات في المصادر التي اطلمت عليها .

أَبِيًّا لِنَائِلِ ذِي ثَرْوَةٍ
تَرَاهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَبِيًّا

فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الْحَيَاةِ
دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ الْمَحْيَا

وقال الاستاذ أبو القاسم (١) القشيري رحمه الله
تعالى :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيِيَ حَيَاةً هَنِيئَةً
فَنَقِّ مِنْ الْأَطْمَاعِ ثَوْبَكَ وَاقْنَعْ

وَأِنْ شِئْتَ عَيْشًا لَا يُفَارِقُ ذُلَّةً
فَعَلِّقْ بِمَخْلُوقٍ فُؤَادَكَ وَاطْمَعْ

ولله درُّ القائل (٢) :

أَفَادَتْنِي الْقَنَاعَةُ أَيَّ عِزٍّ
وَلَا عِزٍّ أَعَزُّ مِنْ الْقَنَاعَةِ

[٥٧ و] فَخُذْ مِنْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ
وَصَيِّرْ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَةً

تَحُزُّ حَالِينَ تَغْنَى عَنْ بَخِيلٍ
وَتُظْفِرُ بِالْجُنَانِ بِصَبْرٍ سَاعَةً

(١)

لم اجد هذين البيتين في الرسالة القشيرية ، ولا في غيرها .

(٢)

ذكر الهاشمي البيت الاول من الابيات في كتابه جواهر الادب ولم

ينسبه لقائل معين ٤٨٦/٢ .

في آداب العلماء والمتعلمين منهم والآخذين عنهم

وقد لخصته من كتاب الجامع للخطيب أبي بكر البغدادي ، ومن مقدمة شرح المهدب للامام النووي ، ومن تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لصاحبه العلامة البدر بن جماعة ، ورُبَّما تبعت غالباً الثالث^(١) في ترتيبه وتعبيره ، مع زيادة نفائس ، فضمَّنته سبعة فصول :

الفصل الأول^(٢) في آداب العالم في نفسه .

وفيه إثنا عشر نوعاً :

الأول : أن يقصد العالم بعلمه وجه الله تعالى ، ولا يقصد به توصلاً الى غرض دنيوي ، كتحصيل مال ، أو جاه أو شهرة ، أو سمعة ، أو تمييز على الأقران ، ونحو ذلك ، ولا يشين علمه بشيء من الطَّمَع في رفق^(٣) يحصل له من مشغله عليه .

(١) يبدو أن المصنف في هذا الباب اعتمد فيه على كتاب تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، وأخذ منه أكثر ما في هذا الفصل ، وقد تابعه فيه وذكرت ما أخذه في بداية كل نوع من الأنواع ، أما كتاب الجامع للخطيب البغدادي وشرح المهدب للنووي فكان يعتمد عليهما في مجال الاستشهاد .

(٢) الفصل والعنوان من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٥ .

(٣) كذا في جميع النسخ ، ومن المحتمل أن تكون الكلمة (رزق) .

بمال ، أو خدمة ، أو نحوهما ، وإن قلَّ وإن كان على صورة الهدية التي لولا اشتغاله عليه لما أهداها إليه .

وكان منصور^(١) لا يستعين بأحد يختلف إليه في حاجته^(٢) . وقال سفيان بن عيينة : (كنت قد أوتيت فهم القرآن ، فلمّا قبلت الصّرة من أبي جعفر سلّبت^(٣)) ، نسأل الله المسامحة ، وينبغي له أن يصحح نيّته عند الشروع في كلّ ما يفيد^(٤) .

قال أبو مزاحم الخاقاني : (قيل لأبي الأحوص حدثنا . فقال : ليست لي نيّة . فقالوا له : إنك تؤجّر . فقال :

يمنونني الخير الكثير وليّتي
نجوت كفافاً لا عليّ ولا لي)^(٥)

[٥٧ ظ] وقد قال لي شيخنا شيخ الإسلام الشّرف المناوي تغمده الله برحمته : إنّه كلّما خرج إلى الدّرس ، يقف بدელიزه حتّى تحصل النيّة ثم يحضر ، وقد صحّ عن إمامنا الشّافعي رحمه الله أنّه قال : (وددت أن الخلق تعلّموا هذا العلم على أن لا ينسب إليّ حرف منه)^(٥) . وقال رحمه الله :

(١) هو منصور بن عمار ، وكنيته أبو السّري ، وهو من أهل مرو كان زاهداً عابداً صوفيّاً له كرامات ، ترجمته في تاريخ بغداد ٧١/١٣ ، حلية اولياء ٣٢٥/٦ ، الرسالة القشيرية ص ١٨ .

(٢) الجامع ١٤/٢ .

(٣) الجامع ١٣/٢ .

(٤) الجامع ٢٤٥/١ ، محاضرات ادلاء ٧١٢/٤ .

(٥) شرح المهذب ٤٦/١ ، مناقب الشافعي ١٦٠/٢ .

(ما ناظرتُ أحداً قطُّ على الغلبةِ ، ووددتُ إذا ناظرتُ أحداً أنْ يظهرَ الحقُّ على يديه) (١) . وقالَ : ما كلَّمْتُ أحداً قطُّ إلاَّ وددتُ أنْ يُوفَّقَ ويُسدَّدَ ويُعَانَ ويكونَ عليه رعايةٌ من الله وحفظٌ) (٢) . وعن أبي يوسف رحمه الله قالَ : (يا قومُ أريدُوا بعلمكم اللهَ ، فإنِّي لم أجلسُ مجلساً قطُّ أنوي فيه أنْ أعلوهم إلاَّ لم أقمُ حتَّى أفتضح) (٣) .

الثاني (٤) : دوامُ مراقبةِ الله تعالى في السرِّ والعلانيةِ ، والمحافظةُ على خوفه في جميعِ حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله ، فإنَّه "أمينٌ على ما أُودِعَ من العلومِ ، وما مُنحَ من الحواسِّ والفهومِ" . قالَ تعالى : (لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (٥) . وقالَ تعالى : (بِمَا أَسْتَحْفَظُوكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ) (٦) . وقالَ الشَّافعي : (لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حَفِظَ ، الْعِلْمُ مَا نَفَعَ) (٧) . وعليه بدوَامِ السَّكِينَةِ والوقارِ والخشوعِ والورعِ والتواضعِ والخضوعِ .

-
- | | |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------|
| (١) | شرح التهذيب ٤٦/١ . |
| (٢) | شرح التهذيب ٤٧/١ . |
| (٣) | شرح التهذيب ٤٧/١ . |
| (٤) | النوع الثاني جميعه اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم للبدري بن جماعة ص ١٥ - ١٦ . |
| (٥) | سورة الانفال الآية : ٢٧ . |
| (٦) | سورة المائدة الآية : ٤٤ . |
| (٧) | مناقب الشافعي للبيهقي ١٤٩/٢ . |

وَمِمَّا كُتِبَ مَالِكٌ (١) إِلَى الرَّشِيدِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ : (إِذَا
 عَلِمْتَ عِلْمًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُهُ وَسُكِينَتُهُ وَسَمْتُهُ
 وَوَقَارُهُ وَحِلْمُهُ ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
 « الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ » (٢) . وَقَالَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ : (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، وَتَعَلَّمُوا لَهُ السُّكِينَةَ
 وَالْوَقَارَ) (٣) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا : [٥٨ و] (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ،
 وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السُّكِينَةَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ
 مِنْهُ) (٤) ، رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ . وَعَنْ السَّلَفِ
 رَحِمَهُمُ اللَّهُ : (حَقٌّ عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِلَّهِ فِي
 سِرِّهِ وَعِلَانِيَتِهِ ، وَيَحْتَرِسَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَقِفَ بِمَا
 أَشْكَلَ عَلَيْهِ) (٥) .

الثالث (٦) : أَنْ يَصُونَ الْعِلْمَ كَمَا صَانَهُ عُلَمَاءُ
 السَّلَفِ ، وَيَقُومَ لَهُ بِمَا جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ
 الْعِزَّةِ وَالشَّرَفِ ، فَلَا يَدْنُسُهُ بِالْأَطْمَاعِ ، وَلَا يَذُلُّهُ
 بِذَهَابِهِ وَمَشْيِهِ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ
 ضَرُورَةٍ ، أَوْ حَاجَةٍ أَكِيدَةٍ ، وَلَا إِلَى مَنْ يَتَعَلَّمُهُ مِنْهُ
 مِنْهُمْ وَإِنْ عَظُمَ شَأْنُهُ وَكَبُرَ قَدْرُهُ وَسُلْطَانُهُ .

-
- | | |
|-----|---------------------------------------------------------------------------------------------|
| (١) | تذكرة السامع والمتكلم ص ١٥ . |
| (٢) | شرح المذهب ٣٣/١ ، تذكرة السامع والمتكلم ص ٥ . |
| (٣) | مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٩ ، تذكرة السامع والمتكلم ص ١٦ . |
| (٤) | مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ ، ٦٩ ، زوائد المعجمين ١/١٨ . |
| (٥) | تذكرة السامع والمتكلم ص ١٦ . |
| (٦) | الثالث اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٦-١٨ ، ومن
الجامع للخطيب البغدادي ٢/٨-٩ . |

قال الزُّهري : (هوانٌ بالعلم أنْ يحملهُ العالمُ
إلى بيتِ المتعلِّمِ) (١) . وقال مالكٌ بن أنسٍ للمهدي
وقد استدعاهُ لولديه يسمعهما : (العلمُ أوْلَى أنْ
يُوقَرَ ويؤْتَى) (٢) . وفي روايةٍ : (العلمُ يُزَارُ ولا
يزورُ ، ويؤْتَى ولا يأتي) (٣) .

وفي روايةٍ : (أدركتُ أهلَ العلمِ يُوتونَ ولا
يأتونَ) ، ويروى عنه أيضاً أنه قالَ : دخلتُ على
هارون الرشيد ، فقالَ : يا أبا عبد الله ينبغي أنْ
تختلفَ إلينا حتَّى يسمعَ صبيانُنَا منك الموطأ .
قالَ : فقلتُ أعزَّ اللهُ أميرَ المؤمنينَ : إنَّ هذا العلمَ
منكم خرجَ ، فإنْ أنتم أعززتموه عزَّ ، وإنْ أنتم
أذللتموه ذلَّ ، والعلْمُ يؤْتَى ولا يأتي . فقالَ :
صدقتَ ، أخرجوا إلى المسجد حتَّى تسمعوا معَ
النَّاسِ . ويروى إنَّ الرشيدَ سألهُ : هلْ لك
دارٌ ؟ فقالَ : لا . فأعطاهُ ثلاثةَ (٤) آلاف دينارٍ ، وقالَ :
إشترِ بها داراً . فأخذها ولم يُنفقْها ، فلمَّا أرادَ
الرشيدُ الشَّخصَ إلى العراقِ قالَ لمالكَ : ينبغي لك
أنْ تخرجَ معنا فإنِّي عزمْتُ أنْ أحملَ النَّاسَ على

(١) الجامع للخطيب البغدادي ١٥/٢ ،

(٢) الجامع ١٥/٢ .

(٣) الجامع ١٥/٢ وفيه (يؤتى ولا يأتي) .

(٤) في تذكرة السامع والمتكلم حاشية ص ٢١١ ، وفيه الذي أعطاه
الدنانير هو الخليفة المهدي ، وطلب منه القدوم إلى بغداد ، فذكر
الحديث : (المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون) والمال عندي على حاله .

الموطأ (١) كما حمل عثمان الناس على القرآن . فقال له : أمّا حمل الناس على الموطأ ، فليس إلى [٥٨ ظ] ذلك سبيل ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إفترقوا بعده في الأمصار ، فحدّثوا فعند أهل كل مصر علم ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : [إختلاف أمتي رحمة ، وأمّا الخرج معك فلا سبيل إليه] (٢) . قال صلى الله عليه وآله وسلم : (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) (٣) . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : (المدينة ينفي خبيثها كما ينفي الكير خبث الحديد) (٤) ، وهذه دنائركم كما هي إن شئتم فخذوها ، وإن شئتم فدعوها ، يعني : أنتك إنما حملتني على مفارقة المدينة بما اصطنعت لدي ، فلا أؤثر الدنيا على الأخرى .

وأخرج الخطيب البغدادي في الجامع عن مقاتل بن صالح صاحب الحميدي ، قال : (دخلت على حمّاد (٥))

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٧ ، وفيه نسب هذا الكلام

للمنصور العباسي .

(٢) ما بين المعقوفين : زيادة من (م) ، (ب) ، وهي ساقطة من الاصل

بسبب انتقال النظر .

(٣) موطأ مالك ٢/ ٨٨٨ ، مسند ابن حنبل ٢/ ٣٠٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ ،

٤٠٣ ، ٤٣٩ .

(٤) موطأ مالك ٢/ ٨٨٧ ، مسند الامام ابن حنبل ٢/ ٢٣٧ ، ٢٤٧ ، وفي

سنن النسائي مع اختلاف في الالفاظ ٧/ ١٣٥ .

(٥) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري الربيعي بالولاء ، مفتي البصرة ،

وأحد رجال الحديث فيها ، كان حافظاً ثقة مأموناً ، توفي سنة

(١٦٧هـ) .

ابن سلمة ، فبينما أنا عنده ، إذ دقّ رسول محمد بن سليمان^(١) ، فدخل فسلم ، وناولته كتابه ، فقال : إقرأه ، فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن سليمان الى حمّاد بن سلمة ، أمّا بعد فصبّحك الله بما صبّح به أولياءه وأهل طاعته ، وقعت مسألة فأنّا نسألك عنها ، فقال لي : إقلب الكتاب واكتب أمّا بعد وأنت فصبّحك الله بما صبّح به أولياءه وأهل طاعته ، إنّنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون أحداً ، فإن وقعت مسألة فأتنا فاسألنا عمّا بدا لك ، وإن أتيتني فلا تأتني إلاّ وحدك ، ولا تأتني بخيلك ورجلك ، ولا أنصحك ولا أنصح نفسي والسّلام ، فبينما أنا عنده جالس إذ دقّ داق الباب ، فقال : يا صبيّة أخرجي فانظري من هذا ؟ قالت : هذا محمد بن سليمان ، قال : قولي له : يدخل وحده ، فدخل فسلم وجلس بين يديه ، ثم ابتداءً فقال : ما لي إذا نظرت إليك إمّلات رعباً ؟ فقال حمّاد : سمعت ثابتاً البناني^(٢) يقول : سمعت [٥٩٥] أنس بن مالك

ترجمته في تهذيب التهذيب ١١/٣ ، ميزان الاعتدال ، حلية الاولياء
٢٤٩/٦ .

(١) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي ، أمير البصرة ، وليها في عهد الخليفة العباسي المهدي ، وعزل سنة (١٦٤هـ) ، وارجمه الرشيد سنة (١٧٢هـ) ، وتوفي في البصرة سنة (١٧٣هـ) . ترجمته في تاريخ بغداد ٢٩١/٥ ، المنبر ص ٦١ ، ٣٠٥ .

(٢) هو ثابت بن اسلم البناني كان حافظاً ومحدثاً ثقة كبير القدر توفي سنة (١٢٧هـ) .

ترجمته في تهذيب التهذيب ٢/٢ ، ميزان الاعتدال ٣٦٢/١ .

يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : (إنَّ العالمَ إذا أرادَ بعلمه وجهَ الله تعالى هابه كلُّ شيءٍ ، وإذا أرادَ أنْ يكثرَ به الكنوزُ هابَ من كلِّ شيءٍ) (١) . فقال : ما تقولُ يرحمُكَ اللهُ ، وذكرَ مسألتَهُ وجوابَهَا ، ثم قالَ : وحاجةُ إليك ، قالَ : هاتِ ما لم تكنْ رزِيَّةً في الدينِ ، قالَ : أربعينَ ألفَ درهمٍ ، تأخذُها تستعينُ بها على ما أنتَ عليه ، قالَ : أرددها على من ظلمتهُ بها ، قالَ : والله ما أعطيكَ إلَّا ما ورثتهُ ، قالَ : لا حاجةَ لي فيها أزوها عنِّي زوى اللهُ عنكَ أوزارك ، قالَ : فغيرُ هذا ؟ قالَ : هاتِ ما لم تكنْ رزِيَّةً في دينٍ . قالَ : تأخذُها فتقسمُها . قالَ : فلعلِّي إنْ عدلتُ في قسمتها أنْ يقولَ بعضُ من لم يُرزقْ منها : إنَّه لم يعدلْ في قسمتها فيأثمُ أزوها عنِّي زوى اللهُ عنكَ أوزارك) (٢) .

وسياتي في الفصل الخامس ما اتَّفَقَ لبعض أولاد الخليفة المهدي مع شريك ، وأخبار السلف في هذا الباب كثيرة " شهيرة " ، (فإنْ دعتْ حاجةٌ أو ضرورةٌ إلى شيءٍ من ذلك أو إقتضتهُ مصلحةٌ دينيةٌ راجحةٌ على مفسدةٍ بذله ، وحسنتُ فيه نيَّةٌ صالحةٌ فلا بأسَ به ، وعلى هذا يُحمَلُ ما جاءَ عن بعضِ

(١) نقله البغدادي عن مسند الفردوس للدليمي انظر الحاشية في الجامع ص ٩ .

(٢) النص نقله المصنف من الجامع ٢/٨-٩ .

لَسَلَفٍ مِنَ الْمَشْيِ إِلَى الْمُلُوكِ وَوَلَاةِ الْأَمْرِ ، كَالزُّهْرِيِّ
وَالشَّافِعِيِّ وَغَيْرَهُمَا ، لَا أَنْتَهُمْ قَصَدُوا بِذَلِكَ فَضُولَ
الْأَعْرَاضِ الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَأْتِي إِلَيْهِ
مِنَ الْعِلْمِ وَالزُّهْدِ فِي الْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ وَالْمَحَلِّ الرَّفِيعِ ،
فَلَا بَأْسَ فِي التَّرَدُّدِ إِلَيْهِ ، لِأَفَادَتِهِ ، فَقَدْ كَانَ سَفِيَانُ
الثَّوْرِيِّ يَمْشِي إِلَى إِبْرَاهِيمَ ^(١) بْنِ أَدَهَمَ ، وَيَفِيدُهُ ، وَكَانَ
أَبُو عُبَيْدٍ ^(٢) يَمْشِي إِلَى عَلِيِّ ^(٣) بْنِ الْمَدِينِيِّ يُسْمِعُهُ
غَرِيبَ الْحَدِيثِ ^(٤) .

(١) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ ، مِنْ أَهْلِ بَلْخَ ، وَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ
الْمُلُوكِ وَالْمِيَّاسِيرِ ، خَرَجَ مَتَصِيدًا فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ ، فَتَرَكَ الدُّنْيَا ،
وَرَجَعَ إِلَى طَرِيقَةِ الزُّهْدِ ، وَصَحِبَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيَّ ، وَدَخَلَ الشَّامَ ،
وَأَخَذَ يَعْمَلُ وَيَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٦١هـ) فِي الشَّامِ .
تُرْجِمَتُهُ فِي حُلِيِّ الْأَوَّلِيَا ٣٦٧/٧ ، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٢٥٥/١ ، الرِّسَالَةُ
الْقَشِيرِيَّةُ ص ٨ .

(٢) هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامِ الْهَرَوِيِّ الْأَزْدِيُّ الْخَزَاعِيُّ بِالْوَلَاءِ ، أَصْلُهُ مِنْ
هَرَاةٍ وَلَدَ فِيهَا سَنَةَ (١٥٧هـ) وَتَعَلَّمَ فِيهَا وَرَحَلَ إِلَى بَغْدَادَ فَكَانَ مِنْ
كِبَارِ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَالْأَدَبِ وَالْفَقْهِ ، وَلِيَ الْقَضَاءَ بِطَرطُوسَ ، وَذَهَبَ
إِلَى الْحَجِّ وَتَوَفَّى فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ سَنَةَ (٢٢٤هـ) .
تُرْجِمَتُهُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ٤٠٣/١٢ ، تَهْذِيبُ التَهْذِيبِ ٣١٥/٧ ،
الْأَعْلَامُ ١٠/٦ .

(٣) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ السَّعْدِيِّ بِالْوَلَاءِ ، الْمَدِينِيُّ
الْبَصْرِيُّ وَلَدَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ (١٦١هـ) وَتَعَلَّمَ فِيهَا ، وَأَصْبَحَ مُحَدِّثًا
وَمُؤَرِّخًا وَحَافِظًا ، تَوَفَّى فِي سَامَرَاءَ سَنَةَ (٢٣٤هـ) .
تُرْجِمَتُهُ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٢٢٧/١٠ ، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ٣٤٢/١ ،
النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ١٤٧/٢ ، الْأَعْلَامُ ١١٨/٥ .

(٤) النَّصُّ الَّذِي بَيْنَ الْقَوْسَيْنِ أَخَذَهُ الْمُصَنِّفُ مِنْ تَذَكُّرَةِ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ
ص ١٧ - ٨ .

الرابع^(١) : أن يتخقق بما حثَّ الشَّرْعُ عليه من الزُّهْدِ في الدُّنْيَا والتَّقلُّدِ منها بقدرِ الإمكان ، فإنَّ ما [٥٩ ظ] يحتاجُ إليه منها على الوجه المعتدل من القناعة لا يُعدُّ من الدُّنْيَا ، وأقلُّ درجاتِ العالمِ أن يستقْدِرَ التعلُّقَ بالدُّنْيَا ولا يبالي بفواتِها ، لأنَّه أعلمُ النَّاسِ بخسَّتِها وفتنتِها وسرعةِ زوالِها ، وكثرةِ عنائِها ، وقلةِ غنائِها .

وعن الشَّافعي رحمه الله : (لو أوصي لأعقلِ النَّاسِ صُرفَ إلى الزُّهَادِ)^(٢) . فمن أحقُّ من العلماءِ بزيادةِ العقلِ وكماله ؟ وقال يحيى^(٣) بن معاذ : لو كانتِ الدُّنْيَا تَبْرًا يَفْنَى ، والآخرةُ خَرْفًا يَبْقَى ، لكانَ ينبغي للعاقلِ إِيثارَ الخَرْفِ الباقي على التبرِ الفاني ، فكيفَ والدُّنْيَا خَرْفٌ " فانِ والآخرةُ تَبْرٌ " باقٍ ، وعليه بالسَّخاءِ والجودِ على حسبِ الموجودِ .

الخامس^(٤) : أن يتنزَّهَ عن دُني المَكاسِبِ ورذيلِها طبعاً ، وعن مكروهِها عادةً وشرعاً ، كالحِجامةِ ، والدِّبَاغَةِ ، والصَّرفِ ، والصَّيَانَةِ ، ويتجنَّبَ مواضعَ

(١) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والتكلم ص ١٨ .

(٢) مناقب الشافعي ١٨٣/٢ .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، من الزهاد المشهورين

في وقته ، أصله من أهل الري ، وأقام ببلخ ، ومات في نيسابور سنة

(٢٥٨هـ) ، ترجمته في صفة الصفوة ٧١/٤ ، الرسالة القشيرية ص ١٦ .

(٤) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والتكلم ص ١٩-٢٠ .

التهم ، وإنْ بَعُدَتْ ، ولا يفعلُ شيئاً يتضمنُ نقصَ مروءةٍ ، أوْ ما يُسَنَكِرُ ظاهراً ، وإنْ كانَ جائزاً باطناً ، فإنَّه يُعرضُ نفسَه للتهمة ، وعرضه للوقعة ، ويوقعُ النَّاسَ في الظنون المَكروهة وإثمُ (١) الوقعة ، فإنْ اتَّفَقَ وقوعُ شيءٍ من ذلكَ منه حاجةٌ أو نحوها أخبرَ من شاهدهُ بحكمه وبعذره ، ومقصوده كيلاً يَأْثُمَ من رآه بسببه ، أوْ ينفِرَ عنه فلا ينتفعُ بعلمه ، وليستفيدَ ذلكَ الجَاهِلُ به ، ولذلك قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلرَّجُلَيْنِ لَمَّا رَأياهُ يَتَحَدَّثُ مَعَ صَفِيَّةَ (٢) : (فوليَا علي رسلكما أنَّها صَفِيَّةُ) (٣) ، ثم قالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ ، فَخَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شيئاً ، وفي روايةٍ فَتَهْلِكَا .

السَّادِسُ (٤) : أَنْ يَحَافِظَ عَلَى الْقِيَامِ بِشَعَائِرِ الْإِسْلَامِ ، وَظَوَاهِرِ الْأَحْكَامِ ، كاقامة الصَّلَاةِ فِي مَسَاجِدِ الْجَمَاعَاتِ ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ لِلْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِ ، [٦٠ و] ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ،

- (١) في تذكرة السامع والمتكلم : (تأنيب) مكان (واثم) .
(٢) هي ام المؤمنين صفية بنت حيي بن اخطب من الخزرج ، كانت في الجاهلية من ذوات الشرف ، وبعد غزوة خيبر قُتل زوجها كنانة ابن الربيع النضري ، اسلمت فتزوجها صلى الله عليه وسلم ، وتوفيت في المدينة سنة (٥٠٠هـ) .
ينظر حلية الاولياء ٥٤/٢ ، صفة الصفوة ٢٧/٢ ، طبقات ابن سعد ٨٥/٨ .
(٣) شرح المذهب ٤٨/١ .
(٤) النوع السادس اخذ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٠-٢١ .

والصَّبْرَ عَلَى الْأَذَى بِسَبَبِ ذَلِكَ ، صَادِعًا بِالْحَقِّ
عِنْدَ السَّلَاطِينِ ، بِأَذَلِّ نَفْسِهِ لِلَّهِ لَا يَخَافُ فِيهِ لَوْمَةً
لَائِمَةً ، ذَاكِرًا قَوْلَهُ تَعَالَى : (وَأَصْبِرْ عَلَى مَا
أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (١) . وَمَا
كَانَ سَيِّدُنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
وغيره من الأنبياء عليه من الصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى ، وَمَا
كَانُوا يَتَحَمَّلُونَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى كَانَتْ لَهُمُ الْعُقْبَى ،
وَكَذَلِكَ الْقِيَامُ بِإِظْهَارِ السُّنَنِ ، وَإِخْمَالِ الْبَدْعِ ،
وَالْقِيَامُ لِلَّهِ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَمَا فِيهِ مَصَالِحُ الْمُسْلِمِينَ
عَلَى الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعِ وَالْمَسْلُوكِ الْمَطْبُوعِ ، وَلَا يَرْضَى
مِنْ أَعْمَالِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ بِالْجَائِزِ مِنْهَا ، بَلْ يَأْخُذُ
نَفْسَهُ بِأَحْسَنِهَا وَأَكْمَلِهَا ، فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمُ الْقُدُوةُ ،
وَالِيَهُمُ الْمَرْجِعُ فِي الْأَحْكَامِ ، وَهُمْ حِجَّةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
الْعَوَامِ ، وَقَدْ رَاقِبَهُمْ (٢) لِلْأَخْذِ عَنْهُمْ مَنْ لَا يَنْظُرُونَ ،
وَيَقْتَدِي بِهَدْيِهِمْ مَنْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَإِذَا لَمْ يَنْتَفِعِ الْعَالِمُ
بِعِلْمِهِ فَغَيْرُهُ أَبْعَدُ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ ، كَمَا سَبَقَ مِنْ
قَوْلِ الشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حُفِظَ ،
الْعِلْمُ مَا نَفَع) (٣) . وَلِهَذَا عَظُمَتْ زَلَةُ الْعَالِمِ لَمَّا يَتَرْتَبُ
عَلَيْهَا مِنَ الْمَفَاسِدِ ، لِاقْتِدَاءِ النَّاسِ بِهِ .

السَّابِعُ (٤) : أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْمُنْدُوبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ

- (١) سورة لقمان الآية : ١٧ .
- (٢) فِي تَذَكُّرَةِ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ : (يَرَاقِبُهُمْ) ، وَالصَّحِيحُ مَا ذَكَرَهُ
السَّهْوِيُّ .
- (٣) مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ ١٤٩/٢ .
- (٤) النَّوْعُ السَّابِعُ أَخَذَهُ الْمُصَنِّفُ جَمِيعَهُ مِنْ تَذَكُّرَةِ السَّامِعِ وَالْمُتَكَلِّمِ
ص ٢١ - ٢٢ .

القولية والفعليّة ، ويبالغ فيما يتضمّن 'إجلال' صاحب الشريعة النبوية ، وتعظيمه ، وأتباعه 'صلى الله عليه وآله وسلم' ، فيلازم 'تلاوة القرآن' وذكر الله تعالى بالقلب واللسان ، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار في أثناء الليل وأطراف النهار ، ومن نوافل العبادات من الصلّاة والصيام وحج البيت الحرام ، والصلّاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن محبّته وإجلاله وتعظيمه واجب ، والأدب عند [٦٠ ظ] سماع اسمه ، وذكر سنته مطلوب "وسنة" .

كان مالك [بن أنس] ^(١) رحمه الله ، إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتغيّر لونه وينحني ، وكان جعفر الصادق بن محمد الباقر [رحمه الله تعالى] ^(٢) إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنده 'إصفر' لونه ، وكان ابن القاسم ^(٣) إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجفّ لسانه في فيه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وينبغي له إذا تلا القرآن أن يتفكّر

(١) ما بين المعقوفين زيادة من : (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من : (ب) .

(٣) هو ابو عبدالله عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصري ، ويعرف بابن القاسم ، تفقه على مذهب الامام مالك ، وقد جمع بين الزهد والعلم ، توفي سنة (١٩١هـ) في مصر .
ترجمته في وفيات الاعيان ٢٧٦/١ ، تهذيب التهذيب ٢٥٣/٦ ، حسن المحاضرة ١٢١/١ ، الاعلام ٩٧/٤ .

في معانيه وأوامره ونواهيه ووعدَه ووَعِيدَه ،
والوقوفُ عندَ حدوده ، وليحذر من نسيانه بعدَ
حفظه ، فقد وردَ في الأخبارِ النبويَّةِ ما يزجرُ عن
ذلكَ .

والأوَّلَى أنْ يكونَ لهُ منهُ في كلِّ يومٍ وردٌ راتبٌ
لا يخلُ بهُ ، فإنْ غلبَ عليهُ فيومٌ ويومٌ ، فإنْ
عجزَ ففيَ ليلتيَ الثلاثاءِ والجمعةِ لاعتِيادِ بطالةِ
الاشتغالِ فيهما ، وقراءةِ القرآنِ في كلِّ سبعةِ أيَّامٍ
وردٌ حسنٌ . وردٌ في الحديثِ ، وعملٌ بهُ أحمدُ بنُ
حنبلٍ ، ويُقالُ من قرأَ القرآنَ في سبعةِ أيَّامٍ لم
ينسَهْ قطُّ (١) . وينبغي أنْ يستعملَ الرخصَ في
مواضعها عندَ الحاجةِ إليها ، ووجودِ سببها ليقتديَ
بهُ فيها : (فإنَّ اللهَ تعالى يُحبُّ أنْ تُؤتَى رخصهُ
كما يُحبُّ أنْ تُؤتَى عزائمهُ) (٢) .

الثامنُ (٣) : معاملةُ النَّاسِ بمكارمِ الأخلاقِ ، من
طلاقةِ الوجهِ وإفشاءِ السَّلامِ ، وإطعامِ الطَّعامِ ،
وكظمِ الغيظِ ، وكفِّ الأذى عن النَّاسِ ، واحتمالهِ
منهم ، والإيثارِ ، وتركِ الاستئثارِ ، والانصافِ ،
وتركِ الاستنصافِ ، وشكرِ التَّفضلِ ، والسعيِ في
قضاءِ الحاجاتِ ، وبذلِ الجَّاهِ في الشِّفاعاتِ ،

(١) الى هنا انتهى الذي أخذه المصنف في النوع السابع من تذكرة
السامع والمتكلم .

(٢) الحديث في مسند الامام ابن حنبل ١٠٨/٢ .

(٣) النوع الثامن اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٣ .

والتلطّف بالفقراء ، والتّحبّ إلى الجيران والأقرباء ،
والرفق بالطلبة وإعانتهم ، وبرّهم كما سيأتي إن شاء
الله [٦١ و] تعالى ، وإذا رأى من لا يُقيم صلاته ،
أو طهارته ، أو أشياء من الواجبات عليه إرشاده
بتلطّف ورفق ، كما فعل صلى الله عليه وآله
وسلّم مع الأعرابي الذي بال في المسجد ^(١) ، ومع
معاوية بن الحكم لما تكلم في الصّلاة ^(٢) .

التاسع ^(٣) : أن يطهّر باطنه وظاهره من
الأخلاق الرديئة ، ويعمره بالأخلاق المرضية ، فمن
الأخلاق الرديئة : الغل ، والحسد ، والبغي ،
والغضب لغير الله تعالى ، والغش ، والكبر ،
والرياء ، والعجب ، والسمعة ، والبخل ، والخبث ،
والبطر ، والطّمع ، والفخر ، والخيلاء ، والتنافس

(١) جاء في صحيح البخاري ٦٥/١ عن أنس بن مالك : (أن النبي صلى
الله عليه وسلم رأى أعرابياً يبول في المسجد فقال : دعوه حتى إذا
فرغ دعا بماء فصبه عليه) .

(٢) جاء في صحيح مسلم بشرح النووي ٢٠/٥ عن عطاء عن معاوية بن
الحكم السلمي قال : (بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله فرماني القوم
بأبصارهم ، فقلت : وانكأ أمّياه ما شأنكم تنظرون إليّ ، فجعلوا
يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتوني لكنني سكّنت ،
فلما صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي هو وامي ،
ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني
ولا ضربني ولا شتمني ، قال : إن هذه الصلاة لا يصلح منها شيء
من كلام الناس ، إنما هو تسبيح وتكبير وقرآنة قرآن) .

(٣) النوع التاسع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ، مع
إضافات قليلة أضافها إليه ، ص ٢٣ - ٢٦ .

في الدنيا ، والمباهاة بها ، والمداهنة ، والتزين للناس ، وحب المدح بما لم يفعل ، والعمى عن عيوب النفس ، والاشتغال عنها بعيوب الخلق ، والحمية ، والعصبية لغير الله ، والرغبة والرغبة لغير الله ، والغيبة ، والنميمة ، والبهتان ، والكذب ، والفحش في القول ، واحتقار الناس ولو كانوا دونه .

فالحذر الحذر من هذه الصفات الخبيثة ، والأخلاق الرذيلة ، فانها باب كل شر ، بل هي الشر كله ، وقد بلي بعض أصحاب النفوس الخبيثة من فقهاء الزمان بكثير من هذه الصفات ، إلا من عصم الله تعالى ولا سيما الحسد ، والعجب ، والرياء ، واحتقار الناس ، وأدوية هذه البلية [مستوفى ^(١)] في كتب الرقائق ، ومن أنفعها الرعاية ^(٢) للمحاسبين ^(٣) - ومن أخصرها منهاج العابدين ^(٤)

(١) مستوفى : زيادة من تذكرة السامع والمتكلم ، وبها يستقيم سياق الكلام .

(٢) ينظر كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل للحارث المحاسبى ص ٩٦ - ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٧٥ ، ٢٢٠ ، ٢٦٢ .

(٣) هو ابو عبدالله الحارث بن اسد المحاسبى ، توفي في بغداد سنة (٢٤٣هـ) ترجمته في حلية الاولياء ٧٣/١٠ .

(٤) ينظر منهاج العابدين للغزالي ص ٢٨ - ٣٢ .

للغزالي^(١) ، فمن أراد تطهير نفسه منها فعليه بذلك - ومن أدوية الحسد الفكر في أنه [لا]^(٢) إعتراض على الله في حكمته المقتضية تخصيص المحسود بالنعمة مع أنه محض ضرر على الحاسد يجلب له الغم وتعب القلب وتعذيبه بما لا [٦١ ظ] ضرر به على المحسود . ومن أدوية العجب تذكر أن علمه وفهمه وجوده ذهنه ، وفصاحته وغير ذلك من النعم فضل من الله عليه وأمانته عنده ليرعاها حق رعايتها ، وأن العجب بها كفران لنعمتها فيعرضها للزوال ، لأن معطيه إياها قادر على سلبها منه في طرفة عين كما سلب بلعام^(٣) ما علمه في طرفة عين ، وما ذلك على الله بعزيز ، (أفآمنوا مكر الله)^(٤) .

ومن أدوية الرياء الفكر في أن الخلق كلهم لا يقدرُونَ على نفعه بما لم يقضه الله له ، ولا على ضرره بما لم يقدره الله تعالى عليه ، فلم يحبط

(١) هو ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من اعلام الفلسفة والفقه ، ولد في خراسان سنة (٤٥٠هـ) ، وتوفي سنة (٥٠٥هـ) بخراسان .

ترجمته في وفيات الاعيان ٤٦٣/١ ، شذرات الذهب ١٠/٤ ، الوافي بالوفيات ٢٧٧/١ ، الاعلام ٢٤٧/٧ .

(٢) (لا) من (ب) ، وبها يستقيم السياق .

(٣) هو بلعام بن باعورا من انبياء بني اسرائيل ، فلما دعا على النبي موسى عليه السلام سلبه الله النبوة والعلم ، فقال : قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة . ينظر تفسير القرطبي ٣١٩/٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨م .

(٤) سورة الاعراف الآية : ٩٩ .

عمله' ويضره دينه' ويشغل نفسه' بمراعاة من لا يملك له' في الحقيقة نفعاً ولا ضرراً ، مع أن الله يطلعهم على نيته وقبح سريره كما صح في الحديث : (مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ ، وَمَنْ رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ) (١) .

ومن أدوية إحتقار الناس قوله تعالى : (لا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ الْآيَةُ) (٢) . (إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ إِنَّكُمْ أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ) (٣) . فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى) (٤) . وَرُبَّمَا كَانَ الْمُحْتَقَرُ أَطْهَرَ عِنْدَ اللَّهِ قَلْبًا ، وَأَزْكَىٰ عَمَلًا ، وَأَخْلَصَ نِيَّةً ، كَمَا قِيلَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَخْفَىٰ ثَلَاثَةً فِي ثَلَاثَةٍ : وَلِيَّهِ فِي عِبَادِهِ ، وَرِضَاهُ فِي طَاعَتِهِ ، وَغَضَبُهُ فِي مُعَاصِيهِ ، مَعَ [أَنْ] (٥) إحتقار عباد الله مجرد خسران يورث الذل لفاعله . وفي خبر للحارث بن معاوية أنه

(١) الحديث ذكره الامام ابن حنبل ٤٥/٥ .

(٢) الحجرات الآية : ١١ .

(٣) في وسط الآية قبل (انْ اكرمكم) : (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) . وقد نقل المصنف الآية كما ذكرها من تذكرة السامع والمتكلم .

(٤) سور الحجرات الآية : ١٣ .

(٥) سورة النجم الآية : ٣٢ .

(٦) (أن) : زيادة من (م) ، (ب) .

سَأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْقِصَصِ وَأَنَّ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ : (أَخْشَى عَلَيْكَ أَنْ تَقْصُ
فَتَرْتَفِعَ فِي نَفْسِكَ ، ثُمَّ تَقْصُ فَيُتْرَفَعُ فِي نَفْسِكَ
حَتَّى يُخَيَّلَ إِلَيْكَ فَوْقَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الثَّرِيَّا فَيَضَعُكَ اللَّهُ
[٦٢ و] تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ ذَلِكَ) (١) ،
رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ، وَالْحَارِثُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَثَّقَهُ بَن
حِبَّانَ وَبَقِيَّةَ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

وَمِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ دَوَامُ التَّوْبَةِ ، وَالْإِخْلَاصُ ،
وَالْيَقِينُ ، وَالتَّقْوَى ، وَالصَّبْرُ ، وَالرِّضَا ، وَالْقَنَاعَةُ ،
وَالزَّهْدُ ، وَالتَّوَكُّلُ ، وَالتَّفْوِيضُ ، وَسَلَامَةُ الْبَاطِنِ ،
وَحُسْنُ الظَّنِّ ، وَالتَّجَاوُزُ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ،
وَرُؤْيَا (٢) الْإِحْسَانِ ، وَشُكْرُ النِّعْمَةِ ، وَالشَّفَقَةُ عَلَى
خَلْقِ اللَّهِ ، وَالْحَيَاءُ مِنْ اللَّهِ وَمِنَ النَّاسِ .

وَمُحِبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْخَصْلَةُ الْجَامِعَةُ لِمُحَاسِنِ
الْصِّفَاتِ كُلِّهَا وَإِنَّمَا تَتَحَقَّقُ مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ صَلَّى
وَاللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ
اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ) (٣) .

(١) مسند الإمام ابن حنبل ١٨/١ ، مع اختلاف في اللفاظ .

(٢) كذا في الأصل ، (م) وتذكرة السامع والمتكلم ، وفي (ب) : (لزوم) .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٣١ .

العاشر^(١) : دوامُ الحرصِ على الازديادِ بملازمةِ
الجدِّ والاجتهادِ والمواظبةِ على وظائفِ الأورادِ
والاشتغالِ ، والأشغالِ قراءةً وإقراءً ومطالعةً وفكراً
وتعليقاً وحفظاً وتصنيفاً وبحثاً .

ولا يضيعُ شيئاً من أوقاتِ عمره في غيرِ ما هو
بصدده من العلمِ والعملِ إلاَّ بقدرِ الضرورةِ من
أكلٍ ، أو شربٍ ، أو نومٍ ، أو إستراحةٍ للمللِ ، أو إذا
حقَّ زوجةٌ ، أو زائرٌ ، أو تحصيلِ قوتٍ وغيره مما
يحتاجُ إليه ، أو لألمٍ ، أو غيره مما يتعذرُ معه
الاشتغالُ ، فإنَّ بقيَّةَ عمرِ المؤمنِ لا قيمةَ له ، ومن
استوى يوماهُ فهو مغبونٌ .

وقالَ المزنِي : سَمِعْتُ الشَّافِعِي يَقُولُ : سُئِلَ
بعضُ السَّلَفِ ما بلغَ من إشتغالِك بالعلمِ ؟ قالَ :
(هو سلوتي إذا اهتممتُ ، ولذَّتْني إذا سلوتُ)^(٢) ،
قالَ : وأنشدني الشَّافِعِي لنفسه^(٣) :

[٦٢ ظ] وَمَا أَنَا بِالْغِيَرَانِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ
إِذَا أَنَا لَمْ أَضْحَى غِيوراً عَلَى عِلْمِي
طَبِيبُ فَوَادِي مُنْذُ ثَلَاثِينَ حَجَّةً
وَصَيِّقِلُ ذَهْنِي وَالْمُفَرَّجُ عَنْ هَمِّي

(٢) النوع العاشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٦-٢٨ .

(٢) مناقب الشافعي ١٠١/٢ .

(٣) مناقب الشافعي ١٠١/٢ .

وكان بعضهم لا يترك الاشتغال لعروض مرض خفيف ، أو ألم لطيف ، بل كان يتشغى بالعلم ، ويشغل بقدر الامكان ، كما قيل (١) :

إِذَا مَرَضْنَا تَدَاوَيْنَا بِدِكْرِكُمْ
وَنَتَرَكُ الذِّكْرَ إِخْلَالًا فَنَتَكَسَّرُ

وذلك لأن درجة العلم درجة وراثية الأنبياء ، ولا تنال المعالي إلا بشق الأنفس . وفي صحيح مسلم عن يحيى بن أبي كثير قال : (لا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجَسْمِ) (٢) . وفي الحديث : (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ) (٣) ، وكما قيل (٤) :

وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ

وكما قيل (٥) :

لَا تَحْسَبُ الْمَجْدَ تَمَرًا أَنْتَ آكَلُهُ
لَا تَبْلُغُ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ

(١) البيت ذكره ابن جماعة ولم ينسبه تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٧ .

(٢) الحديث في صحيح مسلم ٤٢٨/١ ، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٤٥ ، شرح المذهب للنووي ٦٣/١ ، والفقيه والمتفقه ١٠٣/٢ .

(٣) الحديث ذكره الامام ابن حنبل في المسند ٣٨٠/٢ .

(٤) البيت للمتنبى ذكره الجرجاني في الوساطة بين المتنبى وخصومة ص ٢٢٤ ، وصدده : (ترديدن إدراك المعالي رخيصة) .

(٥) البيت ذكره ابن جماعة ولم ينسبه تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٧ .

وقال الشَّافعي رحمه الله : (حَقُّ عَلَى طَلِبَةِ الْعِلْمِ بُلُوغُ غَايَةِ جَهْدِهِمْ فِي الْاِسْتِكْثَارِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَالصَّبْرِ عَلَى كُلِّ مَعَارِضٍ دُونَ طَلْبِهِ ، وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ لِلَّهِ فِي إِدْرَاكِ عِلْمِهِ نَصًّا وَاسْتِنْبَاطًا ، وَالرَّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْعَوْنِ عَلَيْهِ) (١) . وقال الربيع : (لَمْ أَرَ الشَّافِعِيَّ آكِلًا بَنَهَارًا ، وَلَا نَائِمًا بَلِيلًا ، لَاشْتِغَالَهُ بِالتَّصْنِيفِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا يُحْمَلُ نَفْسُهُ مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ طَاقَتِهَا ، كَيْلَا تَسْأَمَ وَتَمَلَّ ، فَرُبَّمَا نَفَرَتْ نَفْرَةً لَا يُمْكِنُهُ تَدَارِكُهَا ، بَلْ يَكُونُ أَمْرُهُ فِي ذَلِكَ قَصْدًا ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَبْصَرَ بِنَفْسِهِ) (٢) .

الحادي عشر (٣) : أَنْ لَا يَسْتَنَكِفَ أَنْ يَسْتَفِيدَ مَا لَا يَعْلَمُهُ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ مِنْصَبًا ، أَوْ نَسَبًا ، أَوْ سِنًا ، بَلْ يَكُونُ [٦٣ و] حَرِيصًا عَلَى الْفَائِدَةِ حَيْثُ كَانَتْ : (وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ يَلْتَقِطُهَا حَيْثُ وَجَدَهَا) (٤) .

قال سعيد بن جبير : (لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا تَعَلَّمَ ، فَاذَا تَرَكَ الْعِلْمَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ اسْتَغْنَى وَاکْتَفَى بِمَا عِنْدَهُ ، فَهُوَ أَجْهَلُ مَا يَكُونُ) (٥) .

(١) شرح المذهب ٦٣/١ .

(٢) شرح المذهب ٦٣/١ .

(٣) النوع الحادي عشر اخذ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم
ص ٢٨ - ٢٩ .

(٤) في سنن ابن ماجه ١٣٩٥/٢ لفظ الحديث هو : (الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ ، حَيْثَمَا وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا) .

(٥) شرح المذهب ٤٩/١ .

وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْعَرَبِ (١) :

وَلَيْسَ الْعَمَى طُولَ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا

تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السَّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ

وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ طَلِبَتِهِمْ مَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ ، قَالَ الْحُمَيْدِيُّ وَهُوَ تَلْمِيزُ الشَّافِعِيِّ : (صَحِبْتُ الشَّافِعِيَّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى مِصْرَ فَكُنْتُ أَسْتَفِيدُ مِنْهُ الْمَسَائِلَ ، وَكَانَ يَسْتَفِيدُ مِنِّي الْحَدِيثَ) (٢) . وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : (قَالَ لَنَا الشَّافِعِيُّ : أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالْحَدِيثِ مِنِّي ، فَإِذَا صَحَّ عِنْدَكُمْ الْحَدِيثُ فَقُولُوا لَنَا حَتَّى آخُذَ بِهِ) (٣) . وَصَحَّ (٤) رَوَايَةُ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ التَّابِعِينَ ، وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قِرَاءَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي بِيٍّ ، وَقَالَ : (أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ « لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ») (٥) (٦) . وَقَالُوا : مِنْ فَوَائِدِهِ أَنْ لَا يَمْتَنِعَ الْفَاضِلُ مِنَ الْآخِذِ عَنِ الْمَفْضُولِ .

(١) فِي مَخْتَصَرِ جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلُهُ ص ٤٤ ، قَالَ أَبُو عَمْرٍ : كَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَنْشُدُ وَذَكَرَ الْبَيْتَ ، وَفِيهِ : (شَفَاءُ الْعَمَى) مَكَانٌ (وَلَيْسَ الْعَمَى) .

(٢) مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ ١٥٣/٢ .

(٣) مَنَاقِبُ الشَّافِعِيِّ ١٥٤/٢ ، وَفِيهِ : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : قَالَ لَنَا الشَّافِعِيُّ ٠٠٠ النَّحْ) .

(٤) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ وَالتَّذَكُّرَةِ ، وَلَعَلَّهُ (وَصَحَّحَ) .

(٥) سُورَةُ الْبَيِّنَةِ الْآيَةُ : ١ .

(٦) شَرْحُ الْمَهْذَبِ ٤٩/١ .

الثاني عشر^(١) : الاشتغال ' بالتصنيف والجمع والتأليف لكن مع تمام الفضيلة ، وكمال الأهلية ، فانّه ' يطّلع ' على حقائق الفنون ودقائق العلوم ، للاحتياج الى كثرة التفتيش والمطالعة والتعقيب والمراجعة ، وهو كما قال الخطيب^(٢) البغدادي : (يثبت الحفظ ، ويذكر القلب ، ويشحذ الطبع ، ويجيد البيان ، ويكسب حميد الذكر وجزيل الأجر ، ويخلده الى آخر الدهر ، كما قال الشاعر :

[٦٣ ظ] يموت قوم فيحيي العلم ذكرهم
والجهل يلحق أمواتاً بأموات^(٣)

وقال عبد الله بن المعتز^(٤) : (علم الانسان ولدّه ' المخلد)^(٥) . قال الخطيب : وأنشدني عبد الغفار بن عبد الواحد الأرموي لأبي الفتح علي بن محمد البستي^(٦) :

(١) النوع الثاني عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٩ - ٣٠ ، مع اضافة .

(٢) هو الحافظ المؤرخ أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب ، ولد سنة (٣٩٢هـ) ، وتوفي سنة (٤٦٣هـ) .

(٣) البيت والنص ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ، ولم ينسب البيت . ٣٣٧/٢ .

(٤) هو الخليفة عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ، ولي الخلافة يوم وليلة ، كان شاعراً مبدعاً وأديباً مشهوراً ، ومصنفاً ، ولد سنة (٢٤٧هـ) في بغداد ، وقتل سنة (٢٩٦هـ) ، ترجمته في تاريخ بغداد ١٠/٩٥ ، مفتاح السعادة ١/١٩٩ ، الاعلام ٢٦١/٤ .

(٥) القول ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ٢/٣٣٧ .

(٦) ديوان أبي الفتح البستي ص ٦٥ ، الجامع للخطيب البغدادي ٢/٣٣٨ .

يَقُولُونَ : ذَكَرُ الْمَرْءِ يَبْقَى بِنَسْلِهِ
وَلَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ نَسْلٌ

فَقُلْتُ لَهُمْ : نَسْلِي بِدَائِعِ حِكْمَتِي
فَمَنْ سَرَّهُ نَسْلٌ فَإِنَّا بِيَدَا نَسْلٍ

وَالْأَوَّلَى أَنْ يَعْنِي بِمَا يَعْمُ نَفْعُهُ ، وَتَكَثَّرَ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، وَلِيَكُنْ إِعْتِنَاؤُهُ بِمَا لَمْ يُسَبِّقْ إِلَى
تَصْنِيفِهِ ، بَأَنَّ لَا يَكُونُ ثُمَّ مَا يُغْنِي عَنْ تَصْنِيفِهِ فِي
جَمِيعِ أَسَالِيْبِهِ ، وَلِيَتَحَرَّ (١) إِيضَاحُ الْعِبَارَةِ فِي تَأْلِيفِهِ ،
مَعْرُضًا عَنْ التَّطْوِيلِ الْمَمْلُ وَالْإِيْجَازِ الْمَخْلُ مَعَ إِعْطَاءِ
كُلِّ مُصَنِّفٍ مَا يَلِيْقُ بِهِ ، وَلَا يَخْرُجُ (٢) تَصْنِيفُهُ مِنْ
يَدِهِ قَبْلَ تَهْذِيبِهِ ، وَتَكَرُّرِ النَّظَرِ فِيهِ وَتَرْتِيبِهِ ، وَمِنْ
النَّاسِ مَنْ يَنْكُرُ التَّصْنِيفَ وَالتَّأْلِيفَ فِي هَذَا الزَّمَانِ
عَلَى مَنْ ظَهَرَتْ أَهْلِيَّتُهُ ، وَعُرِفَتْ مَعْرِفَتُهُ ، وَلَا وَجْهَ
لِهَذَا الْإِنْكَارِ إِلَّا التَّنَافُسَ بَيْنَ أَهْلِ الْأَعْصَارِ ، وَلِلَّهِ
دَرْ الْقَائِلِ (٣) :

قُلْ لِمَنْ لَا يَرَى الْمُعَاصِرَ شَيْئًا
وَيَرَى لِلْأَوَائِلِ التَّقْدِيمَا

إِنَّ ذَاكَ الْقَدِيمَ كَانَ جَدِيدًا
وَسَيَبْقَى هَذَا الْجَدِيدُ قَدِيمًا

(١) فِي (ب) : (لِيَجْزِي) .

(٢) فِي النُّسْخَةِ الْمَخْطُوطَةِ : (يَخْرُجُ) ، وَقَدْ قَوْمَنَاهُ مِنْ تَذَكُّرَةِ السَّامِعِ
وَالْمُتَكَلِّمِ .

(٣) لَمْ أَعْثُرْ عَلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي الْمَصَادِرِ الَّتِي اطَّلَعْتُ عَلَيْهَا .

والمُتَصَرِّفُ في مداده ، وورقه بكتابة ما شاء
من أشعار وحكايات مباحة ، أو غير ذلك لا يُنكَرُ
عليه ، فلمَ إذا تَصَرَّفَ فِيهِ بتسويد ما ينفع به
من علوم الشريعة يُنكَرُ وَيُسْتَهْجَنُ ؟ أمّا من لم
يتأهل لذلك ، فالإنكار [٦٤ و] عليه متجه لما
تضمنه من الجهل ، وتغريب من يقف على ذلك
التصنيف به ، ولكونه يضيّع زمانه فيما لم
يتقنه ، ويدع الاتقان الذي هو أحرى به .

الفصل (١) الثاني في آداب العالم في درسه

وفيه إثنا عشر نوعاً :

الأوّل : إذا عزم على مجلس التدريس تطهّر من الحدث والخبث ، وتنظّف ، وتطيّب ، ولبس من أحسن ثيابه اللاتّقة به بين أهل زمانه ، قاصداً بذلك تعظيم العلم ، وتبجيل الشريعة .

كان مالك رحمه الله إذا جاءه الناس لطلب الحديث ، اغتسل وتطيّب ولبس ثياباً جُدداً ، ووضع رداءه على رأسه ، ثم يجلس على منصّته ، ولا يزال يتبخّر بالورد حتى يفرغ ، وقال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم (٢) .

وروى الخطيب في الجامع من شعر علي رضي الله عنه (٣) :

أجد الثياب إذا اكتسيت فانّها
زين الرجال بها تعز وتكرم

ودع التواضع في الثياب تحوّباً
فأله يعلم ما تجن وتكتم

(١) الفصل الثاني والعنوان والانواع أخذها المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٣٠ .

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص ٣١ .

(٣) الأبيات غير موجودة في الديوان المنسوب للإمام علي ، وقد ذكرها الخطيب الغدادي في الجامع ٢٨/٢ .

فَرِثَاتُ ثَوْبِكَ لَا يَزِيدُكَ زُلْفَةً
عِنْدَ الْإِلَهِ وَأَنْتَ عَبْدٌ مُجْرِمٌ

وَبِهَاءُ ثَوْبِكَ لَا يَضُرُّكَ بَعْدَ أَنْ
تَخْشَى الْإِلَهَ وَتَتَّقِي مَا يَحْرَمُ

ثم يصلي ركعتي الاستخارة إن لم يكن وقت كراهة ، ففي مسند أحمد من رواية سعد بن أبي وقاص مرفوعاً : (من سعادة ابن آدم في استخارة الحق والرضا بقضائه ، وشقاوة ابن آدم في ترك الاستخارة ، وعدم الرضا بقضاء الحق) (١) .

قلت : وينبغي أن يعبر في استخارته بما يعم حركاته وما ينطق به من وقته ذلك إلى مثله . فقد نقل المجدد اللغوي (٢) عن بعض المحققين من المشايخ [٦٤ ظ] الكبار أنه قال : يُسْتَحَبُّ لِلشَّخْصِ أَنْ يجعل في كل يوم وقتاً معيناً يصلي فيه صلاة الاستخارة ، ويقول : (اللهم أني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تعلم ولا أعلم ، وتقدر ولا أقدر ، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فيه وأنطق به في حقِّي وفي حقِّ غيري ، جميع ما يتحرك فيه غيري وينطق

(١) الحديث ذكره الامام ابن حنبل في المسند ١/١٦٨ ، وذكره الخطيب

البغدادي في الجامع ٢/٢٩٣ .

(٢) (اللغوي) ساقطة من (م) .

بِهِ فِي حَقِّي وَحَقِّ أَهْلِي وَوَلَدِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْغَدِ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، فَأَقْدَرُهُ لِي وَيَسِّرُهُ لِي وَبَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنْ جَمِيعَ مَا أَتَحَرَّكَ فِيهِ وَأَنْطِقُ بِهِ فِي حَقِّي ، وَفِي حَقِّ غَيْرِي ، وَجَمِيعَ مَا يَتَحَرَّكَ فِيهِ غَيْرِي فِي حَقِّي ، وَفِي حَقِّ أَهْلِي وَوَلَدِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي مِنْ سَاعَتِي هَذِهِ إِلَى مِثْلِهَا مِنَ الْغَدِ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ ، وَقَدِّرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ (١) .

هَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي الْأَحَادِيثِ ، لَكِنَّهَا مُوَافِقَةٌ لِإِطْلَاقِ مَا جَاءَ فِي الْحَثِّ عَلَى الْإِسْتِخَارَةِ ، كَحَدِيثِ (إِذَا أَهَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَمْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ الْحَدِيثِ) (٢) .

وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَسْتَعْمِلُونَ فِي أُمُورِهِمُ الْإِسْتِقْسَامَ بِالْإِزْلَامِ وَزَجَرَ الطَّيْرِ ، وَالْعِيَافَةَ ، وَالْقَالَ ، وَالتَّطْيِيرَ ، وَنَحْوَهُ ، مِمَّا هُوَ شِعَارُ الشِّرْكِ ، فَعَوَّضَ صَاحِبُ الشَّرْعِ صَلَّى [٦٥ و] اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ مَا يَتَضَمَّنُ التَّوْحِيدَ ، وَالْإِفْتِقَارَ ،

(١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ص ٢٥٧ ، وقد سقطت بعض الفقرات من النص المذكور .

(٢) الحديث ذكره الامام احمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري ٣/ ٣٤٤ ، رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين ص ٢٥٧ ، الجامع ٢/ ٢٩٣ .

والعبودية ، والتوكلَ وسألَ الرُّشدَ والفلاحَ ورَدَّ
 الأمرَ الى مَنْ بيده أزمّةُ الخيراتِ وإنجاحُ الطلباتِ ،
 ثم (ينوي نشرَ العلمِ وتعليمه ، وبثَ الفوائدِ
 الشرعية ، وتبليغَ أحكامِ الله تعالى التي أوتِمنَ
 عليها ، وأمرَ ببيانها ، والأزديادَ من العلمِ ، وإظهارِ
 الصّوابِ ، والرجوعِ الى الحقِّ ، والاجماعِ على ذكرِ
 الله تعالى ، والسّلامِ على إخوانه من المسلمين ،
 والدعاءِ للسّلفِ الصالحينَ) (١) .

وقد تقدمتْ عن شيخي شيخِ الاسلامِ فقيهِ العصرِ
 الشّرفِ المناوي أنّه كانَ إذا خرجَ الى الدّرسِ يقفُ
 بدھليزِ بيته حتّى يحصلَ النيّةُ ثم يخرجُ ، وكانَ
 كثيراً ما ينشدُ هذا البيتَ :

لئنْ كانَ هذا الدمعُ يَجْري صَبَابَةً
 عَلَى غَيْرِ لَيْلَى فَهُوَ دَمْعٌ مُضَيِّعٌ

ثم يبكي بكاءً كثيراً .

ويُحكى عن الامامِ محيي الدّين النّوّوي أنّه كانَ
 يكتبُ حتّى تكلَّ يدهُ ويعجزَ فيضعَ القلمَ ثم ينشدُ
 هذا البيتَ ، وهذا من بابِ قوله سبحانه وتعالى :
 (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ
 أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي

(١) ما بين القوسين أخذه المصنف من تذكرة السامع والتكلم ص ٢١ .

الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (١) . قَالَ الْحَسَنُ :
كَانُوا يَعْمَلُونَ أَعْمَالَ الْبِرِّ وَيَخْشَوْنَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ
مِنْهُمْ (٢) .

الثاني (٣) : إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ دَعَا بِالدُّعَاءِ الصَّحِيحِ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ :
(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضِلَّ ، أَوْ
أَزِلَّ ، أَوْ أَزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ [٦٥ ظ] ،
أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ ، عَزَّ جَارُكَ ، وَجَلَّ
ثَنَاؤُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ) (٤) . ثُمَّ يَقُولُ : بِسْمِ اللَّهِ
وَبِاللَّهِ حَسْبِيَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْ جَنَانِي وَأَدْرِ
الْحَقَّ عَلَى لِسَانِي . وَيُديمُ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى أَنْ
يَصِلَ إِلَى مَجْلِسِ التَّدْرِيسِ ، فَإِذَا وَصَلَ إِلَيْهِ سَلَّمَ
عَلَى مَنْ حَضَرَ ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ وَقْتُ
كَرَاهَةٍ ، فَإِنْ كَانَ مَسْجِدًا تَأَكَّدَتْ مُطْلَقًا ، ثُمَّ يَدْعُو
اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّوْفِيقِ وَالْإِعَانَةِ وَالْعُصْمَةِ (٥) .

-
- (١) سورة المؤمنون الآية : ٦٠ ، ٦١ .
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي ١١٠/٧ .
(٣) أخذ المصنف جزءاً من هذا النوع من تذكرة السامع والمتكلم
ص ٣١ - ٣٢ .
(٤) ذكر أبو داود جزءاً في هذا الحديث في سننه ٣٥٤/١ ، وهو بكماله
في شرح المذهب للنووي ص ٥٦ .
(٥) انتهى النوع الذي أخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم
ص ٣٢ .

قال بعضهم : ويجلس 'مَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةِ' كما
 في شرح المذهب^(١) ، أي إنْ أَمَكَنَ ، لحديث : (أَكْرَمُ
 الْمَجَالِسِ مَا اسْتَقْبَلَ بِهِ الْقِبْلَةَ)^(٢) ، رواه أبو يعلى
 والطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ ابْنِ عَمْرِو مَرْفُوعًا ، وَلِلطَّبْرَانِيِّ
 فِي الْكَبِيرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَنَحْوِهِ مَرْفُوعًا ، وَفِي إِسْنَادِ
 كُلِّ مِنْهُمَا مَتْرُوكٌ .

وَلِلطَّبْرَانِيِّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ
 رَفَعَهُ : (إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ سَيِّدًا ، وَإِنَّ سَيِّدَ الْمَجَالِسِ
 قِبَالَةُ الْقِبْلَةِ)^(٣) ، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ ، لَكِنْ قَالَ ابْنُ
 حِبَّانٍ فِي وَصْفِ الْإِتْبَاعِ وَبَيَانِ الْإِبْتِدَاعِ : إِنَّهُ خَيْرُ
 مَوْضُوعٍ تَفَرَّدَ بِهِ أَبُو الْمَقْدَامِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ عَنْ ابْنِ
 عَبَّاسٍ ، وَهُوَ إِسْنَادُ الْكَبِيرِ لِلطَّبْرَانِيِّ ، وَقَدْ كَانَتْ
 أَحْوَالُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَوَاقِفِ
 النَّاسِ أَنْ يَخْطُبَ لَهَا وَهُوَ مُسْتَدْبِرُ الْقِبْلَةِ ، إِنْتَهَى .

قُلْتُ : وَفِيهِ نَظَرٌ ، لِأَنَّ إِسْنَادَ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ
 حَسَنٌ ، وَمَعَ أَنَّ الْحَاكِمَ رَوَاهُ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ ،
 وَصَحَّحَهُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْمَقْدَامِ^(٤) ،
 إِلَّا أَنَّ فِيهِ رَاوٍ وَاهٍ ، وَأَمَّا إِسْتِدْبَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) ينظر شرح المذهب ٥٦/١ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣٨٩/١٠ ، وفيه : (أشرف المجالس ٠٠ الخ) ،
 الجامع ١١٩/٢ .

(٣) المستدرك للحاكم ٢٧٠/٤ ، وفيه (شرفاً) مكان (سيداً) .

(٤) المستدرك للحاكم ٢٧٠/٤ ، وانظر الحاشية ، قال العبسي : حدثنا

أبو المقدم هشام بن زياد .

وآله وسلّم في خطبه ، فقد وجّهه 'الأصحاب' بأنّ السّنة [٦٦و] كون 'المنبر' في صدر المسجد ، فلو استقبل القبلة مع ذلك ، لكان خارجاً عن مقاصد الخطاب ، لأنّه 'يخاطب' حينئذٍ من يكون خلف ظهره ، ولو جعل المنبر في آخر المسجد واستقبل القبلة ، فإنّ استبدّره 'القوم' واستقبلوا القبلة أيضاً ، كان خارجاً عن مقاصد الخطاب كما سبق ، استقبلوه واستدبروها لزم ترك الاستقبال لخلق كثير ، وتركه لواحد أسهل ، إنتهى .

فلا يصلح ذلك مستنداً لابن حبان ، نعم كان شيخنا شيخ الاسلام الشّرف المناوي يجلس 'للقاء الدّرس' مستدبراً القبلة ، والقوم أمامه 'قياساً على الخطبة' ، ويعلله بما سبق من أنّ ترك الاستقبال لواحد ، يعني نفسه أسهل من تركه لخلق كثير ، يعني من يجلس أمامه من القوم .

قلت : وقد يستأنس له بما أخرجه الخطيب في الجامع عن ابن جابر قال : (أقبل مغيث بن سمي الى مكحول ، فأوسع له الى جنبه فأتى وجلس مقابل القبلة ، وقال : هذا أشرف المجالس) (١) . فالظاهر أنّ جلوس مكحول غير مستقبل كان لما سبق ، ويكون جلوسه (٢) بوقار وسكينة وتواضع وخشوع

(١) الجامع ١١٩/٢ .

(٢) من هنا الى نهاية النوع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٣٢ - ٣٣ .

متربعاً ، أو غير ذلك مما لا يكره من الجلسات ، ولا يجلس مقعياً ، ولا مستوفزاً^(١) ، ولا رافعاً إحدى رجليه على الأخرى ، ولا مادّاً رجليه ، أو إحداهما من غير عذر ، ولا متكئاً على يده إلى جنبه ، أو وراء ظهره ، وليصنّ بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه ، ويديه عن العبث والتشبيك بهما ، وعينه عن تفريق النظر من غير حاجة ، ويتقي المزاح وكثرة الضحك ، فانّه يقلل الهيبة ويسقط الحشمة ، كما قيل من مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ولا يدرس في وقت جوعه ، [٦٦ ظ] أو عطشه ، أو همّه ، أو غضبه ، أو نعاسه ، أو قلقه ، ولا في حال برده المؤلم وحرّه المزعج ، فربما أجاب وأفتى بغير الصواب ، ولأنّه لا يمكن مع ذلك من إستيفاء النظر .

الثالث^(٢) : أن يجلس بارزاً لجميع^(٣) الحاضرين ، موقراً فاضلهم بالعلم والسّن والصلاح والشرف ، ويرفعهم على حسب تقدّمهم في الإمامة ، ويتلطّف بالباقيين ويكرّمهم بحسن السّلام ، وطلاقة الوجه ، ومزيد الاحترام ، ولا يكره القيام لأكابر أهل

(١) يقال استوفز في قعدته : أي انتصب فيها من غير اطمئنان .

(٢) النوع الثالث أخذه المصنف من تذكرة السامع واتكلم ص ٣٣-٣٤ .

(٣) وهي الطريقة المتبعة في الجامعات في الشرق والغرب ، حيث يجلس الاستاذ على منصة مشرفة على جميع الطلاب المتواجدين في قاعة الدرس .

الأسلام على سبيل الأكرام ، وقد ورد إكرام العلماء ، وإكرام طلبة العلم في نصوص كثيرة ، ويلتفت إلى الحاضرين التفاتاً قصداً بحسب الحاجة ، ويخص من يكلمه أو يسأله أو يبحث معه على الوجه عند ذلك بمزيد التفات إليه وإقبال عليه ، وإن كان صغيراً أو ضعيفاً^(١) ، فإن ترك ذلك من أفعال المتجبرين والمتكبرين .

الرابع^(٢) أن يقدم على الشروع في البحث والتدريس قراءة شيء من كتاب الله تعالى تبرُّكاً وتيمناً ، وكما هو العادة فإن كان في مدرسة شرط فيها ذلك اتبع الشرط ، ويدعو عقب القراءة لنفسه وللحاضرين وسائر المسلمين ، ثم يستعين بالله من الشيطان الرجيم ، ويسمي الله تعالى ويحمده ، ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أصحابه ، ويتروى على أئمة المسلمين ومشايخه ، ويدعو لنفسه وللحاضرين ووالديهم أجمعين ، وعن واقف مكانه ، إن كان في مدرسة ، أو نحوها جزاءً لحسن فعله وتحصيلاً لقصده ، وكان بعضهم يؤخر ذكر نفسه في الدعاء عن الحاضرين تأدباً وتواضعاً ، لكن الدعاء لنفسه قربة وبه إليه حاجة ، والأثير بالقرب ، وبما يحتاج إليه شرعاً خلاف المشروع ، ويؤيده [٦٧ و] قوله تعالى : (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

(١) في تذكرة السامع والمتكلم : (وضيعاً) .

(٢) النوع الرابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٣٤-٣٥ .

نَاراً) (١) . وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
(ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) (٢) ، وهذا الحديث وإن
وردَ في الأنفاقِ فالمحققون يستعملونه في أمورِ الآخرة ،
وبالجملة فالكل (٣) حسن ، وقد عمل بالأوّل وبالثاني
آخرون .

الخامس (٤) : إذا تعددت الدروس قدم
الأشرف فالأشرف ، والأهم فالأهم ، فيقدم تفسير
القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ، ثم المذهب ، ثم
الخلاف ، أو النحو أو الجدل .

قلت (٥) : وهذا حيث اتخذ القاري ، أو لم يعول
على السابق على ما سيأتي .

وكان بعض العلماء الزهاد يختم الدروس
بدرس رقائقي يفيد به الحاضرين تطهير الباطن ،
ونحو ذلك من عظة ورقّة وزهد وصبر ، فإن
كان في مدرسة ، ولو افقها في الدروس شرط أتبعه ،
ولا يخل بما هو أهم ما بُنيت له تلك البنية
ووقفت لاجله .

(١) سورة التحريم الآية : ٦ .

(٢) الحديث أورده البخاري في صحيحه ٩٢/١ .

(٣) لو قال : (وكل ذلك حسن) أصح ، لأن (كل) لا تعرف بالالف
واللام ، بل تكون ملازمة للإضافة .

(٤) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٣٥-٣٩ .

(٥) هذا السطر من المصنف .

ويصل في درسه ما ينبغي وصله ، ويقف في مواضع الوقف ، ومنقطع الكلام ، ولا يذكر شبهة في الدين في درس ، ويؤخر الجواب عنها إلى درس آخر ، بل يذكرهما جميعاً ، أو يدهما جميعاً ، وينبغي ألا يطيل الدرس تطويلاً يمل ، ولا يقصره تقصيراً يخل ، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين ، ولا يبحث في مقام ، أو يتكلم في فائدة إلا في موضع ذلك ، فلا يقدمه عليه ولا يؤخره عنه إلا لمصلحة تقتضي ذلك ، ويرجّحه .

السادس (١) ألا يرفع صوته زائداً على قدر الحاجة ، ولا يخفضه خفضاً لا يحصل معه كمال الفائدة ، روى الخطيب في الجامع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن الله يحب الصوت الخفيض ، ويبغض الصوت الرفيع) (٢) ، وقال أبو عثمان بن امامنا الشافعي : (ما سمعت أبي يناظر [٦٧ ظ] فرفع صوته) (٣) ، قال البيهقي : (أراد - والله أعلم - فوق عادته) (٤) ، الأولي أن لا يجاوز صوته مجلسه ، ولا يقصر عن سماع الحاضرين ، فإن حضر فيهم ثقل السمع ، فلا بأس بعلو صوته بقدر ما يسمعه ، فقد روي في فضيلة ذلك حديث :

(١) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٣٩ .

(٢) كتاب الجامع للخطيب البغدادي ٥٨/٢ .

(٣) مناقب الشافعي ٢١٦/١ .

(٤) مناقب الشافعي ٢١٧/١ .

(ولا يسرد' الكلامَ سرّداً بل يرتله' ويرتبه' ويتمهل' فيه ليفكّر' فيه هو وسامعه')^(١) ، وقد روي أنّ كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان فصلاً يفهمه من سمعه ، وأنّه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ليفهم عنه ، وإذا فرغ من مسألة أو فصل سكت قليلاً حتّى يتكلم من في نفسه كلاماً عليه ، لأنّا سنذكر إن شاء الله أنّّه لا يقطع على العالم كلامه ، فاذا لم يسكت هذه السكّة ربّما فاتت الفائدة .

السابع أنّ يصون مجلسه عن اللّغط ، فإنّ الغلط تحت اللّغط ، وعن رفع الأصوات واختلاف جهات البحث . قال الربيع : (كان الشّافعي إذا ناظره انسان في مسألة فغدا الى غيرها ، يقول : نفرغ من هذه المسألة ثم نصير الى ما تريد)^(٢) ، ويلتطف في دفع ذلك في مبادئه قبل انتشاره وثوران النفوس ، ويذكر الحاضرين بما جاء في كراهة المماراة ، لاسيما بعد ظهور الحق ، وإنّ مقصود الاجتماع ظهور الحق وصفاء القلوب وطلب الفائدة ، وإنّه لا يليق بأهل العلم تعاظم المنافسة والشحناء ،

(١) الحديث عن عائشة ام المؤمنين كما ذكر ابو داود وهو : (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث مثل سرّكم) سنن أبي داود ٢/٢٨٨ ، الفقيه والمتفقه ٢/١٢٣ .

(٢) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٠ .

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٠ .

لَا نَتَّهَى سَبَبُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
الاجْتِمَاعُ وَمَقْصُودُهُ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى لِتُثْمَرَ الْفَائِدَةُ
فِي الدُّنْيَا وَالسَّعَادَةُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيَتَذَكَّرُ قَوْلُهُ
تَعَالَى : (لِيُحَقِّقَ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) (١) [٦٨] ، فَاتَّهَ يُفْهَمُ أَنَّ إِرَادَةَ
إِبْطَالِ الْحَقِّ وَتَحْقِيقِ الْبَاطِلِ صِفَةُ إِجْرَامٍ ، فَلْيَحْذَرِ
مِنْهُ .

الثَّامِنُ (٢) أَنْ يَزْجَرَ مَنْ تَعَدَّى فِي بَحْثِهِ ، أَوْ ظَهَرَ
مِنْهُ لَدَدٌ فِي بَحْثِهِ ، أَوْ سُوءُ أَدَبٍ ، أَوْ تَرَكَ
الْأَنْصَافَ بَعْدَ ظُهُورِ الْحَقِّ ، أَوْ أَكْثَرَ الصِّيَاحِ بِغَيْرِ
فَائِدَةٍ ، أَوْ أَسَاءَ أَدَبَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْحَاضِرِينَ أَوْ
الْغَائِبِينَ ، أَوْ تَرَفَّعَ فِي الْمَجْلِسِ عَلَى مَنْ هُوَ أَوْ لَى
مِنْهُ ، أَوْ نَامَ ، أَوْ تَحَدَّثَ مَعَ غَيْرِهِ ، أَوْ ضَحِكَ ، أَوْ
اسْتَهْزَأَ بِأَحَدٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ ، أَوْ فَعَلَ مَا يَخِلُّ بِأَدَبِ
الطَّلَبِ (٣) فِي الْحَلْقَةِ ، وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى ، هَذَا كُلُّهُ بِشَرَطِ أَنْ لَا يَتَرْتَبَ عَلَى ذَلِكَ
مَفْسَدَةٌ تَرُبُّو عَلَيْهِ .

(١) سورة الانفال الآية : ٨ .

(٢) النوع الثامن أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٤١ .

(٣) وهذا ما يسمَّى بحفظ نظام القاعة في الوقت الحاضر لتعم الفائدة
لجميع الطلبة .

وينبغي أَنْ يكونَ له 'نقيب' (١) فطن 'كيس' ذرب
يرتّب الحاضرين ، ومن يدخلُ عليهم على قدر
منازلهم ، ويوقطُ النَّائم ، ويشيرُ إلى مَنْ ترك
ما ينبغي فعله ، أو فعلَ ما ينبغي تركه ، ويأمرُ
بسماعِ الدَّرُوسِ والأنصتِ لها .

التاسع' (٢) أَنْ يلزمَ الأَنصافَ في بحثه وخطابه ،
ويسمعَ السُّؤالَ من موردهِ على وجهه ، وإنْ كَانَ
صغيراً ، ولا يترفعَ عن سماعه ، فيحرمُ الفائدة ، وإذا
عجزَ عن تقريرِ ما أوردَه ، أو تحريرِ العبارةِ فيه
لحياءٍ ، أو قصورٍ ووقعَ على المعنى ، عبّرَ عن مراده ،
وبيّنَ وجهَ إيرادِه ، وردَّ على مَنْ ردَّ عليه ، ثمَّ
يُجيبُ بما عندهُ ، أو يطلبُ ذلكَ من غيره ، (ويقصدُ
بذلكَ النصحَ والارشادَ وطلبَ النَّجاةِ ، وما يعودُ
نفعه على الكلِّ) (٣) ، ويكلّمُ كلَّ واحدٍ على قدرِ
عقله وفهمه ، فيجيبُ بما يحتملهُ حالُ السَّائلِ (٤) ،
ويتروِّى فيما يجيبُ به ، وإذا سئلَ عمّا لم يعلمه
قالَ : لا أعلمُ أو لا أتحقّقه ، أو لا أدري ، فمن العلمِ
أَنْ يقولَ فيما لا يعلمُ لا أعلمُ أو الله أعلمُ ، فقد قالَ
[٦٨ ظ] ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عنه ، يا أَيُّهَا النَّاسُ

(١) وهذا ما يعرف بمراقب الصف أو القاعة في الوقت الحاضر .

(٢) النوع التاسع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٢-٤٣ .

(٣) هذا وهم من المصنف ، لأن كلمة (كل) لا تعرف بالالف واللام ،
لأنها تكون ملازمة للاضافة .

(٤) العبارة التي بين القوسين من المصنف .

(من علم شيئاً فليقل به ، ومن لم يعلم فليقل :
الله أعلم ، فإن من العلم أن يقول لما لم يعلم : الله
أعلم)^(١) ، وعن بعضهم^(٢) (لا أدري نصف
العلم)^(٣) ، وعن ابن عباس : (إذا أخطأ العالم لا أدري
أصيب مقتله)^(٤) ، وقيل ينبغي للعالم أن يورث
أصحابه لا أدري لكثرة ما يقولها .

قال محمد^(٥) بن الحكم : سألت الشافعي عن
المتعة ، أكان فيها طلاق ، أو ميراث ، أو نفقة تجب ،
أو شهادة ؟ فقال : والله ما أدري^(٦) .

واعلم أن قول المسؤول : لا أدري لا يضع من
قدره كما يظنه بعض الجهلة ، لأن المتمكن لا يضره
عدم معرفة بعض المسائل ، بل يرفعه قوله
لا أدري ، لأنه دليل على عظم محله ، وقوة دينه ،
وتقوى ربه ، وطهارة قلبه ، وكمال معرفته ، وحسن
تثبته ، وقد روينا معنى ذلك عن جماعة من السلف ،

(١) سنن الدارمي ٥٦/١ .

(٢) هو الشعبي كما ذكر الدارمي في سننه ٥٧/١ .

(٣) سنن الدارمي ٥٧/١ .

(٤) مناقب الشافعي ١٥١/٢ ، وفيه عن مالك بن انس قال : سمعت
محمد بن العجلان يقول ، وذكر الكلام .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن الحكم ، فقيه شافعي انتهت اليه رئاسة
العلم في مصر ، توفي سنة (٢٦٨هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان
٥٧٨/١ .

(٦) مناقب الشافعي ١٥٢/٢ .

وإنَّما يَأْنِفُ من قول لا أَدرِي مَنْ ضَعُفَتْ دِيانَتُهُ ،
 وَقَلَّتْ معرفته ، لَأَنَّهُ يَخَافُ من سَقوطِهِ من أَعْيُنِ
 الحَاضِرِينَ ، ولا يَخَافُ من سَقوطِهِ من نَظَرِ رَبِّ
 العَالَمِينَ ، وهذه جِهالَةٌ ورَقَّةٌ دِينٍ ، وَرَبَّما يَشْتَهَرُ
 خَطَأُهُ بَيْنَ النَّاسِ ، فيَقَعُ فيما فَرَّ مِنْهُ ، وَيَتَّصِفُ
 عِندَهُمْ بما احْتَرَزَ عَنْهُ ، وقد أَدَبَ اللَّهُ تَعَالَى العُلَمَاءَ
 بِقِصَّةِ مُوسَى مع الخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حينَ لَمْ
 يَرُدَّ مُوسَى العِلْمَ إلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا سُئِلَ هَلْ فِي
 الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنْكَ (١) ؟ .

العاشِرُ (٢) أَنَّهُ يَتَوَدَّدُ لِغَرِيبٍ حَضَرَ عِنْدَهُ
 وَيَنْبَسِطَ لَهُ ، لِيَنْشَرْحَ صَدْرَهُ ، فَإِنَّ لِلْقَادِمِ دَهْشَةً ،
 وَلَا يَكْثُرُ الْإِلْتِفَاتُ وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ اسْتِغْرَابًا لَهُ ، فَإِنَّ
 ذَلِكَ يَخْجَلُهُ . وَإِذَا أَقْبَلَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ ، وَقَدْ شَرَعَ
 فِي مَسْأَلَةٍ أَمْسَكَ عَنْهَا حَتَّى يَجْلِسَ ، وَإِنْ جَاءَ وَهُوَ
 يَبْحَثُ [٦٩ و] فِي مَسْأَلَةٍ أَعَادَهَا لَهُ ، أَوْ مَقْصُودَهَا .
 وَإِذَا أَقْبَلَ فَفِيهِ " وَقَدْ بَقِيَ لِفَرَاغِهِ وَقِيَامُ الْجَمَاعَةِ
 بِقَدْرِ مَا يَصِلُ الْفَقِيهُ إِلَى الْمَجْلِسِ فليؤَخِّرْ تِلْكَ الْبَقِيَّةَ ،
 وَيَشْتَغِلْ عَنْهَا بِبَحْثٍ أَوْ غَيْرِهِ إِلَى أَنْ يَجْلِسَ الْفَقِيهُ ،

(١) عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال : (ان موسى عليه السلام قام خطيباً في بني اسرائيل ، فسئل
 أي الناس اعلم ؟ قال : أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه ، فأوحى
 الله اليه ان لي عبداً يجمع البحرين هو اعلم منك . . . الخ) تفسير
 القرآن العظيم لابن كثير ٩٢/٣ .

(٢) النوع العاشر اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم
 ص ٤٣ - ٤٤ .

ثم يعيدُها ، أوْ يُتمَّ تلكَ البقيَّةَ ، كيلا يخلُجَ المقبلُ بقيامهم عندَ جلوسه . وينبغي مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقتِ الحضورِ وتأخيرهِ إذ لم يكنْ عليه فيه ضرورةٌ ولا مزيدَ كلفةٍ ، وأفتى بعضُ أكابرِ العلماءِ أَنَّ المدرِّسَ إذا ذكرَ الدَّرْسَ في مدرسته قبلَ طلوعِ الشَّمْسِ ، أوْ آخَرَهُ إلى بعدِ الظهرِ ، لم يستحقْ معلومَ التدريسِ إلاَّ أنْ يقتضيه شرطُ الواقِفِ ، لمخالفتهِ العرفَ المعتادَ في ذلكَ .

الحادي (١) عشرَ جرتِ العادةُ أَنَّ يقولَ المدرِّسُ عندَ ختمِ كلِّ درسٍ واللَّهُ أَعلمُ ، وكذلكَ يكتبُ المفتي بعدَ كتابةِ الجَوَابِ ، لكنَّ الأولَى أنْ يُقالَ قبلَ ذلكَ كلامٌ يُشعرُ بختمِ الدَّرْسِ ، كقوله : وهذا آخِرُهُ ، أوْ ما بعدهُ يأتِي إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى ، ونحو ذلكَ ، ليكونَ واللَّهُ أعلمُ خالصاً لذكرِ اللَّهِ تعالى ، ولقصدِ معناه ، ولهذا ينبغي أنْ يستفتحَ كلَّ درسٍ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أوِ الحمدُ لِلَّهِ ، كما يفتحُ جوابَ الفتيا بذلكَ ، ليكونَ ذاكرًا لِلَّهِ تعالى في بدايته وخاتمته .

والأولى للمدرِّسِ أنْ يمكثَ قليلاً بعدَ قيام الجماعةِ ، فإنَّ فيه فوائدَ وآداباً لَهُ وَلَهُمْ ، منها عدمُ مزاحمتهم ، ومنها إنْ كانَ في نفسِ أَحَدٍ بقايا

(١) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٤ - ٤٥ .

سؤال سألته ، ومنها عدم ركوبه بينهم إن كان يركب
وغير ذلك .

ويستحب إذا قام أن يدعو بما ورد به
الحديث : (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ [٦٩ ظ] إِلَيْكَ) (١) .

الثاني (٢) عشر أن لا ينتصب للتدريس إذا لم
يكن أهلاً له ، ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه
سواء شرطه الواقف أو لم يشرطه ، فإن ذلك
لعب في الدين وإضرار بين الناس .

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
(المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبين
زور) (٣) ، وعن الشبلي (٤) : (من تصدّر قبل أوانه ،
فقد تصدّى لهوانه) (٥) . وعن أبي حنيفة : (من طلب

(١) الدعاء للدكتور محمد السيد طنطاوي ص ١٩٥ ، وفيه عن أبي هريرة .

(٢) النوع الثاني عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم
ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) شرح المذهب ٥٨/١ ، جمهرة الامثال لابي هلال العسكري ٢٦٩/١ .

(٤) هو ابو بكر الشبلي دلف بن جحدر ، او جعفر ، اصله من
خراسان ، وولد في بغداد ، كان عالماً وفقهياً من فقهاء المالكية ، توفي
سنة (٣٣٤هـ) .

ترجمته في حلية الاولياء ٣٦٦/١٠ ، صفة الصفوة ٣٥٨/٢ ، شذرات
الذهب ٣٣٨/٢ .

(٥) تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٥ .

الرئاسة في غير حينه لم يزل في ذلٍّ ما بقي (١) ،
واللبيب من صان نفسه عن تعرضها لما يعد فيه ناقصاً أو بتعاطيه ظالماً أو باصراره فاسقاً ،
فإنه متى لم يكن أهلاً لما شرطه الواقف في وقفه ،
أو لما يقتضيه عرف مثله ، كان باصراره على تناول ما لا يستحقه فاسقاً ، فإن كان الواقف شرط في الوقف أن يكون المدرّس عامياً ، أو جاهلاً لم يصح شرطه ، وإن شرط جعل ناقص مخصوص مدرّساً ، سقط اسم الفسق وخطر الأثم ، ويبقى النقص به والاستهزاء به لحاله ، ولا يرضى ذلك لنفسه أريب ، ولا يتعاطاه مع الغنى عنه لبيب ، ولا يظهر من واقف شرط ذلك قصد الانتفاع ، ولا يؤول أمر وقفه إلا إلى ضياع ، وأقل مفسد ذلك أن الحاضرين يفقدون الأنصاف لعدم من يرجعون إليه عند الاختلاف ، لأن رب الصدر لا يعرف المصيب فينصره ، أو المخطيء فيزجره .

وقيل لأبي حنيفة رحمه الله في المسجد حلقة ينظرون في الفقه ، فقال : (أَلَهُمْ رَأْسٌ ؟) قالوا : لا ، قال : لا يفقه هؤلاء أبداً (٢) ، ول بعضهم في تدريس من لا يصلح :

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٥ .

(٢) الفقيه والمتفقه ٨٣/٢ ، وفيه أخبرني بعض الكوفيين : (قيل لأبي حنيفة ... الخ) .

تصدّر^(١) للدّرسِ كلُّ مهوّسٍ
جهُولٍ ليُسمّى بالفقيهِ المدرّسِ

[٧٠ و] فحق لأهل العلم أن يتمثلوا
ببيتٍ قديمٍ شاع في كلِّ مجلسٍ

لقد هزلت حتّى بدا من هزاليها
كلاها وحتّى سامها كلُّ مغليسٍ

(١) هذه الابيات لم يذكرها أحد إلا بدرالدين بن جماعة في كتابه تذكرة
السامع والمتكلم ص ٤٦ .

الفصل (١) الثالث

في آداب العالم مع طلبته مطلقاً وفي حلقته

وهو أربعة عشر نوعاً :

الأول ' أَنْ يَقْصِدَ بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى ، ونشر العلم ، وإحياء الشرع ، وظهور الحق ، وخمُولَ الباطل ، ودوام خير الأُمة بكثرة علمائها ، وإغتنام ثوابهم ، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه علمه من بعدهم ، وبركة دعائهم له ، وترحمهم عليه ، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعداؤه في حملة مبلغه وحي الله وأحكامه ، فَإِنَّ تعليمه العلم من أهم أمور الدين وأعلى درجات المؤمنين . على ما سبق إيضاحه أولاً ، ونعوذ بالله من قواطعه ومكدراته وموجبات حرمانه وفواته .

الثاني (٢) ' أَنْ لَا يَمْتَنِعَ من تعليم الطالب ، لعدم خلوص نيته ، قال في شرح المهدب : (قالوا : وينبغي أَنْ لَا يَمْتَنَعَ من تعليم أحدٍ لكونه غير صحيح النية ، فإنه يُرْجَى له 'حسن' النية ، وربما عسر في كثير من المبتدئين بالاشتغال تصحيح النية ، لضعف نفوسهم ، وقلة انسيهم بموجبات تصحيح

(١) الفصل والنوع آخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم

ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢) هذا السطر من تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٧ .

النِّيَّة ، والامتناع من تعليمهم يؤدي الى تفويت كثير من العلم مع أَنَّهُ يُرْجَى بركة العلم تصحيحها إذا أَنَسَ بِالْعِلْمِ ، وقد قالوا : (طلبنا العلم لغير الله فأبَى أَنْ يَكُونَ إِلَّا لِلَّهِ) (١) ، معناه ' صارت عاقبته ' أَنْ صَارَ لِلَّهِ (٢) إنتهى .

وينبغي للشيخ أَنْ يَحْرُضَ (٣) المبتديء على حسن النِّيَّة بتدريج ، ويعلمه بعد أَنَسَ [٧٠ظ] به أَنَّهُ بركة حسن النِّيَّة ينال الرتبة العلية من العلم والعمل ، وفيض اللطائف وأنواع الحكم ، وتنوير القلب ، وانسراح الصدر ، وتوفيق العزم ، واصابة الحق وحسن الحال ، والتسديد في المقال ، وعلو الدرجات .

الثالث (٤) أَنَّ يَرْغَبَهُ في العلم وطلبه في كثير الأوقات بذكر ما أَعَدَّ اللَّهُ تعالى للعلماء من منال الكرامات ، وَأَنْتَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَعَلَى مُنَابِرٍ مِنْ نَوْرِ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشَّهَدَاءُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مما ورد في فضل العلم والعلماء ، من الآيات والأخبار والآثار والأشعار ، ويرغبه (٥) مع ذلك بتدريج ما يعين

(١) الحديث في سنن الدارمي ٨٥/١ .

(٢) النص من شرح المذهب ص ٥٠ - ٥١ .

(٣) تكملة النوع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٨ .

(٤) النوع الثالث اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٨-٤٩ .

(٥) فلاستاذ الناجح في درسه في الوقت الحاضر ، هو الذي يجعل طلبته

يقبلون على العلم برغبة ، لأن الرغبة هي التي تجعل الطالب مجداً

مجتهداً مبتكراً ، يفيد الأمة والوطن .

عَلَى تَحْصِيلِهِ مِنَ الْاِقْتِصَارِ عَلَى الْمَيْسُورِ وَقَدْرِ
الْكَفَايَةِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَالْقَنَاعَةِ بِذَلِكَ عَنْ شُغْلِ الْقَلْبِ
بِالتَّعَلُّقِ بِهَا وَغِلْبَةِ الْفِكْرِ وَتَفْرِيقِ الْهَمِّ بِسَبَبِهَا ،
فَإِنَّ انْصِرَافَ الْقَلْبِ عَنْ تَعَلُّقِ الْأَطْمَاعِ بِالدُّنْيَا
وَالْأَكْثَارِ مِنْهَا ، وَالتَّاسُّفِ عَلَى فَائِثَتِهَا أَجْمَعَ لِقَلْبِهِ ،
وَأَرْوَحُ لَسِرِّهِ ، وَأَشْرَفُ لِنَفْسِهِ ، وَأَعْلَى لِمَكَانَتِهِ ،
وَأَقْلُ لِحَسَنَاتِهِ ، وَأَجْدَرُ بِحِفْظِ الْعِلْمِ وَازْدِيَادِهِ ،
وَلِذَلِكَ قَلٌّ مَنْ نَالَ مِنَ الْعِلْمِ نَصِيبًا وَافِرًا إِلَّا مَنْ كَانَ
فِي مَبَادِيءِ تَحْصِيلِهِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقَنَاعَةِ
وَالْاعْرَاضِ عَنْ طَلَبِ الدُّنْيَا وَعَرْضِهَا الْفَانِي ، وَسَيَّاتِي
فِي هَذَا النُّوعِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا فِي آدَبِ الْمُتَعَلِّمِ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى .

الرَّابِعُ (١) أَنْ يُحِبَّ لِطَالِبِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ،
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : (وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ) (٢) .
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : (أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيَّ جَلِيسِي الَّذِي
يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَيَّ ، لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ لَا يَقَعَ
الذُّبَابُ عَلَيْهِ لَفَعَلْتُ ، وَفِي رِوَايَةٍ أَنْ الذُّبَابَ لَيَقَعَ
عَلَيْهِ فَيُؤْذِنِي) (٣) . وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَنِيَ بِمُصَالِحِ الطَّالِبِ
وَيُعَامِلُهُ بِمَا يُعَامِلُ بِهِ أَعْزَّ أَوْلَادِهِ مِنَ الْحَنُو وَالشَّفِيقَةِ
[٧١ و] عَلَيْهِ ، وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِ ، وَالصَّبْرَ عَلَى جَفَاءِ (٤)

(١) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٤٩-٥٠ .

(٢) يقصد الحديث الشريف : (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ

مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ) شرح المذهب ١/٥١ .

(٣) كلام ابن عباس في الفقيه والمتفقه ١١٢/٢ ، شرح المذهب ١/٥١ .

(٤) في ب (خطأ) وهو تحريف .

رُبَّمَا وَقَعَ مِنْهُ ، وَنَقَصَ لَا يَكَادُ يَخْلُو الْإِنْسَانُ عَنْهُ ،
 وَسُوءُ آدَبٍ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، وَيَبْسُطُ عِذْرَهُ
 بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ ، وَيُوقِفُهُ مَعَ ذَلِكَ عَلَى مَا صَدَرَ
 مِنْهُ بِنَصَحٍ وَتَلَطُّفٍ ، لَا بِتَعْنِيفٍ وَتَعَسُّفٍ قَاصِدًا
 بِذَلِكَ حَسَنَ تَرْبِيَّتِهِ وَتَحْسِينَ خُلُقِهِ وَإِصْلَاحِ
 شَأْنِهِ ، فَإِنْ عُرِفَ ذَلِكَ لَذِكَائِهِ بِالْإِشَارَةِ ، فَلَا حَاجَةَ
 إِلَى تَصْرِيحِ الْعِبَارَةِ ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ ذَلِكَ إِلَّا بِصَرِيحِهَا
 أَتَى بِهِ ، وَرَاعَى التَّدْرِيجَ فِي التَّلَطُّفِ ، وَيُؤَدِّبُهُ
 بِالْآدَابِ السَّنِيَّةِ ، وَيَحْرِضُهُ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ ،
 وَيُوصِيهِ بِالْأُمُورِ الْعَرَفِيَّةِ الْمُوَافِقَةِ لِلْأَوْضَاعِ الشَّرْعِيَّةِ .

الخامس^(١) أَنْ يَسْمَحَ لَهُ بِسَهُولَةِ الْإِلْقَاءِ فِي
 تَعْلِيمِهِ ، وَحَسَنِ التَّلَطُّفِ فِي تَفْهِيمِهِ ، لِأَسِيْمَا إِذَا كَانَ
 أَهْلًا لِذَلِكَ لِحَسَنِ آدَبِهِ وَجُودَةِ طَلَبِهِ ، وَيَحْرِضُهُ
 عَلَى ضَبْطِ الْفَوَائِدِ وَحِفْظِ النَّوَادِرِ الْفَرَائِدِ ، وَلَا
 يَدْخُرُ عَنْهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ ، وَمَا يَسْأَلُهُ عَنْهُ ، وَهُوَ
 أَهْلٌ لَهُ ، لِأَنَّ ذَلِكَ رُبَّمَا يُوَحِّشُ الصَّدَرَ وَيَنْفِرُ
 الْقَلْبَ ، وَيُورِثُ الْوَحْشَةَ .

وَكذلك لَا يُلْقِي إِلَيْهِ مَا لَمْ يَتَأَهَّلْ لَهُ ، لِأَنَّ ذَلِكَ
 يَبْدُدُ ذَهَنَهُ ، وَيَفْرِقُ فَهْمَهُ^(٢) ، فَإِنْ سَأَلَهُ الطَّالِبُ
 شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يُجِبْهُ ، وَيَعْرِضُهُ أَنْ ذَلِكَ يَضُرُّهُ
 وَلَا يَنْفَعُهُ ، وَأَنْ مَنَعَهُ إِيَّاهُ شَفَقَةً عَلَيْهِ ، وَلُطْفًا

(١) النوع الخامس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٥١-٥٢ .
 (٢) في (ب) : (هـ) وهو تحريف .

به لا بخلاً عليه ، ثم يرغبه عند ذلك في الاجتهاد والتحصيل ، ليتأهل لذلك وغيره . وقد روي في تفسير الرباني أنه الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره .

السادس^(١) أن يحرص على تعليمه وتفهمه ببذل جهده وتقريب المعنى له من غير اكثار لا يحتمله ذهنه ، أو بسط لا يضبطه حفظه ، ويوضح لمتوقف الذهن العبارة [٧١ ظ] ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره . ويبدأ بتصوير^(٢) المسائل وتوضيحها بالأمثلة وذكر الدلائل ، ويقتصر على تصوير المسألة وتمثيلها لمن لم يتأهل لفهم مأخذها ودليلها ، ويذكر الأدلة والمأخذ لمحتملها ، ويبين له معاني أسرار حكمها وعلاها ، وما يتعلق بتلك المسألة من فرع وأصل ، ومن وهم فيها في حكم ، أو تخريج ، أو نقل عبارة حسنة الأداء بعيدة عن تنصيص أحد من العلماء ، ويقصد ببيان ذلك الوهم طريق النصيحة ، وتعريف النقول الصحيحة ، ويذكر ما يشابه تلك المسألة ، ويناسبها ، ويفارقها ، ويقاربها ، ويبين مأخذ الحكمين والفرق بين المسألتين . ولا يمتنع من

(١) النوع السادس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٢-٥٣ .

(٢) التصوير والتوضيح : أي استعمال وسائل بيانية تقرب معنى المسائل الى الطلاب بحيث يتمكنون من فهم المسألة ، واكثر ما تستعمل هذه الوسائل مع الطلاب الذين تقل معرفتهم للمسائل الصعبة ، وقد تستعمل هذه الوسائل بكثرة مع الطلاب المبتدئين في الدراسة ، حيث يستعمل لهم المعلم وسائل الايضاح لتقريب الدرس الى اذهانهم .

ذكر لفظة يَسْتَحْي من ذكرها عادةً إذا احتيجَ إليها ، ولم يتمَّ التَّوضيحُ إلاَّ بذكرها ، فإنَّ كانت الكنايةُ تقيدهُ معناها وتحصِّلُ مقتضاها تحصيلًا بيِّنًا ، لم يصرِّحْ بذكرها بل يكتفي بالكناية عنها ، وكذلك إذا كان في المجلس من لا يليقُ ذكرها بحضوره ، لحيائه أو لجفائه يكتفى عن تلك اللَّفظة ، ولهذه المعاني واختلاف الحال ورودٌ في حديث النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التصريحُ تارةً ، والكنايةُ أخرى .

السابع (١) إذا فرغَ الشيخُ من شرحِ درسٍ فلا بأسَ بطرحِ مسائلٍ تتعلَّقُ به على الطَّلَبَةِ يمتحنُ بها فهمهم وضبطهم لما شرحَ لهم ، فمنَّ ظهرَ استحكامُ فهمه له بتكرارِ الأصابة في جوابه شكره ، ومن لم يفهمه تَلَطَّفَ في أعادته له ، والمعنى بطرحِ المسائلِ أنَّ الطالبَ ربما استَحْيَا من قوله : لم أفهم ، إمَّا لرفعِ كلفةِ الأعادة على (٢) الشيخ ، أو لضيقِ الوقت ، أو حياءً من الحاضرين ، أو كيلاً [٧٢ و] تتأخَّرَ قراءتهم بسببه .

لذلك قيلَ لا ينبغي للشيخ أن يقولَ للطالب : هل فهمت ؟ إلاَّ إذا آمنَ من قوله : نعم قبل أن يفهم ، فإنَّ لم يأمنَ من كذبه لحياءٍ أو غيره ، فلا يسأله عن فهمه ، لأنَّه رُبَّمَا وقعَ في الكذبِ بقوله : نعم لما

(١) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٣-٥٤ .

(٢) كذا في ب ، وتذكرة السامع والمتكلم ، وفي الاصل ، (م) (عن) وهو تحريف .

قلناه' من الأسباب ، بل يطرح' عليه مسائل (١) كما ذكرناه' ، فان' سأله' الشيخ' عن فهمه فقال : نعم ، فلا يطرح' عليه المسائل بعد ذلك إلا أن يستدعي الطالب ذلك لأحتمال خجله بظهور خلاف ما أجاب به .

وينبغي للشيخ أن يأمر الطلبة بالمرافقة في الدرس كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، وباعادة الشرح بعد فراغه فيما بينهم ليثبت في أذهانهم ويترسخ في أفهامهم ، ولأته يحثهم على استعمال الفكر ، ومواخذة النفس بطلب التحقيق .

الثامن (٢) أن يطالب الطلبة في بعض الأوقات باعادة المحفوظات ، ويمتنح ضبطهم لما قدم لهم من القواعد المهمة ، والمسائل الغريبة ، ويختبرهم بمسائل تنبني على أصل قدره ودليل ذكره .

فمن رآه مصيباً في الجواب ولم يخف عليه شدة الأعجاب شكره' وأثنى عليه بين أصحابه ، ليعثه وإيائهم على الاجتهاد في طلب الازدياد ، ومن رآه (٣)

(١) وهو ما يعرف في الوقت الحاضر بالمناقشة ، التي يسمح بها الاستاذ بعد القاء المحاضرة ، كي يتعرف بها على قابليات الطلاب العلمية .

(٢) النوع الثامن أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٤-٥٥ .

(٣) اي يستعمل طريقة المناقشة العلمية ، وذلك بالثناء على المصيب اورشاد المخطيء الى الصواب .

مُقَصِّرًا وَلَمْ يَخَفْ نَفُورَهُ 'عَنَّفَهُ' عَلَى قُصُورِهِ ،
وَحَرَّضَهُ 'عَلَى' عُلُوِّ الْهَمَةِ ، وَنِيلَ الْمُنْزِلَةَ فِي طَلَبِ
الْعِلْمِ ، لِأَسِيْمَا إِنْ كَانَ مَمَّنْ يَزِيدُهُ 'التَّعْنِيفُ' نَشَاطًا ،
وَالشُّكْرُ 'إِنْبِسَاطًا' ، وَيُعِيدُهُ مَا يَقْتَضِي الْحَالُ 'إِعَادَتَهُ'
لِيَفْهَمَهُ 'الطَّالِبُ' فَهْمًا رَاسخًا •

التاسع^(١) إذا سلكَ الطَّالِبُ 'في' التَّحْصِيلِ فَوْقَ
مَا تَقْتَضِيهِ حَالُهُ ، أَوْ تَحْمَلُهُ طَاقَتُهُ ، وَخَافَ الشَّيْخُ
ضَجْرَهُ 'أَوْصَاهُ' بِالرَّفْقِ بِنَفْسِهِ ، وَذَكَرَهُ بِقَوْلِ
النَّبِيِّ [٧٢ظ] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنْ الْمُنْبِتُ
لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى) (٢) ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا
يَحْمَلُهُ عَلَى الْإِنَائَةِ وَالِاِقْتِصَادِ فِي الْاجْتِهَادِ ، وَكَذَلِكَ
إِذَا ظَهَرَ لَهُ 'مِنْهُ' نَوْعٌ 'سَئَامَةٌ' ، أَوْ ضَجْرٌ ، أَوْ مَبَادِي
ذَلِكَ ، أَمْرُهُ 'بِالرَّاحَةِ' وَتَخْفِيفِ الْإِشْتَغَالِ ، وَلَا يُشِيرُ
عَلَى الطَّالِبِ بِتَعَلُّمِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ فَهْمُهُ ، أَوْ سُنَّتُهُ ،
وَلَا بِكُتَابِ يَقْصُرُ ذَهْنُهُ 'عَنْ' فَهْمِهِ ، فَإِنْ اسْتَشَارَ
الشَّيْخَ مَنْ لَا يَعْرِفُ حَالَهُ 'فِي' الْفَهْمِ وَالْحِفْظِ ، فِي
قِرَاءَةِ فَنٍّ ، أَوْ كُتَابٍ ، لَمْ يُشِرْ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ حَتَّى
يُجْرِبَ ذَهْنَهُ ، وَيَعْلَمَ حَالَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَحْتَمِلِ الْحَالُ
التَّأْخِيرَ ، أَشَارَ عَلَيْهِ بِكُتَابٍ سَهْلٍ مِنَ الْفَنِ الْمَطْلُوبِ ،
فَإِنْ رَأَى ذَهْنَهُ قَابِلًا وَفَهْمَهُ جَيِّدًا ، نَقَلَهُ إِلَى كُتَابٍ

(١) النوع التاسع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٥-٥٧.

(٢) الحديث ذكره البيهقي في سننه الكبرى ١٨/٣ عن جابر بن عبد الله
الانصاري : (ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى
نفسك عبادة الله ، فان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) •

يليقُ بذهنه ، وإلاَّ تركه ' وذلك ، لأنَّ نقلَ الطالبِ
إلى ما يدلُّ نقلَه ' إليه ' على جودةِ ذهنه ' يزيدُ انبساطه ،
وإلى ما يدلُّ على قصوره ' يقلُّ نشاطه ' .

ولا يمكنُ الطالبَ من الاشتغال في فنَّينِ أوْ
أكثر إذا لم يضبطهُما ، بل يقدِّمُ الأهمَّ فالأهمَّ كما
سنذكرُ إن شاء الله تعالى ، وإذا علِمَ أوْ غلبَ على
ظنه أنَّه لا يفلحُ في فنٍّ ، أشارَ إليه بتركه ،
والأنتقالِ إلى غيرِ مما يُرجى فيه فلاحه .

العاشر^(١) أنَّ يذكرَ للطلبة قواعدَ^(٢) الفنِّ التي
لا تنخرمُ ، إمَّا مطلقاً كتقديمِ المباشرةِ على السببِ في
الضَّمانِ ، أوْ غالباً كاليمينِ على المدَّعى عليه إذا لم
تكنْ بيَّنةً إلاَّ في القسامةِ والمسائلِ المستثناةِ من
القواعدِ كقوله : العملُ بالجديدِ من كلِّ قولينِ قديمٍ
وجديدٍ إلاَّ في أربعِ عشرةَ مسألةً ، ويذكرُها ، وكلُّ
يمينٍ على نفْيِ فعلٍ الغيرِ ، فهي على نفْيِ العلمِ إلاَّ مَنْ
ادَّعى عليه أنَّ عبدهُ جنَّى فيحلفُ على البتِّ على
الأصحِّ ، وكلُّ عبادةٍ يخرجُ منها بفعلٍ منافيها ومبطلها
إلاَّ الحجَّ والعمرةَ ، وكلُّ وضوءٍ يجبُ فيه الترتيبُ
إلاَّ وضوءاً [٧٣و] تخلَّلهُ غسلُ الجنابةِ وأشباه ذلك .

(١) النوع العاشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٧-٥٩ .

(٢) القواعد التي تسمى بالبديهيات التي يحتاجها الباحث في بحثه ،
ويستشهد بها في كلامه .

ويبيِّنُ 'مأخذَ ذلكَ كُلِّه' ، وكذلكَ كلَّ أصلٍ وما
بُنيَ عليه من كلِّ فنٍّ يحتاجُ إليه من علمي التفسيرِ
والحديثِ ، وأَبوابِ أصولِ الدِّينِ والفقه والنحوِ
والصرفِ واللغة ، ونحو ذلكَ إمَّا بقراءةِ كتابٍ في
الفنِّ أو بتدرِّجٍ على الطَّولِ .

وهذا كُلُّه 'إذا كانَ الشيخُ عارفاً بتلكَ الفنونِ ،
وإلاَّ فلا يتعرَّضُ لها ، بل يقتصرُ على ما يتقنه منها ،
ومن ذلكَ نَوادرُ ما يقعُ من المسائلِ الغريبةِ ،
والفتاوي العجيبةِ ، والمعاني البليغةِ ، ونوادرِ الفروقِ
والمعاياةِ .

ومن ذلكَ ما لا يسعُ الفاضلُ جهلهُ 'كأسماءِ
المشهورينَ من الصحابةِ والتابعينَ ومن بعدهم من
أئمةِ المسلمينَ ، وكبارِ الزُّهادِ والصالحينَ ، كالخلفاءِ
الأربعةِ ، وبقيةِ العشرةِ ، والنُّقباءِ الاثني عشرَ ،
والبدرينَ ، والمكيينَ ، والعبادلةِ ، والفقهاءِ السبعةِ ،
والأئمةِ الأربعةِ ، فيضبطُ أسماءَهم وكناهمَ ،
وأعمارَهم ووفياتَهم ، وما يُستفادُ من محاسنِ
آدابِهم ، ونوادرِ أحوالِهم .

فيحصلُ له 'معَ الطولِ فوائدُ كثيرةُ النفعِ
غزيرةُ الجميعِ . واليحذرُ كلَّ الحذرِ من منافسةِ
بعضهم لكثرةِ تحصيله ، أو زيادةِ فضائله ، لأنَّ
ثوابَ فضائلهم عائدٌ إليه ، وحسنُ تربيتهم محسوبٌ
عليه ، وله من جهتهم في الدُّنيا الدعاءُ والثناءُ والذِّكرُ
الجميلُ ، وفي الآخرةِ الثوابُ الجزيلُ .

الحادي (١) عشر أَنْ لَا يُظْهَرَ لِلطَّلِبَةِ تَفْضِيلُ
بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ عِنْدَهُ فِي مَوَدَّةٍ ، أَوْ اعْتِنَاءٍ مَعَ
تَسَاوِيهِمْ فِي الصِّفَاتِ مِنْ سِنٍّ ، أَوْ فَضِيلَةٍ ، أَوْ
تَحْصِيلٍ ، أَوْ دِيَانَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ رُبَّمَا يُوحِشُ الصَّدْرَ
وَيَنْفِرُ الْقَلْبَ ، فَإِنَّ كَانَ بَعْضُهُمْ [٧٣ ظ] أَكْثَرَ
تَحْصِيلاً وَأَشَدَّ اجْتِهَاداً وَأَحْسَنَ أَدَباً ، فَأُظْهَرَ إِكْرَامُهُ
وَتَفْضِيلُهُ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ زِيَادَةَ إِكْرَامِهِ لَتلكِ الْأَسْبَابِ ،
فَلَا بَأْسَ ، وَبذلكِ يَنْشُطُ وَيَبْعَثُ عَلَى الْإِتِّصَافِ
بَتلكِ الصِّفَاتِ .

وكذلك لَا يَقْدُمُ أَحَدًا فِي نُوبَةٍ غَيْرِهِ ، أَوْ يُؤْخِرُهُ
عَنْ نُوبَتِهِ إِلَّا إِذَا رَأَى فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةً تَزِيدُ عَلَى
مَصْلَحَةِ مِرَاعَاةِ النُّوبَةِ ، فَإِنْ سَمَحَ بَعْضُهُمْ لغيرِهِ
فِي نُوبَتِهِ فَلَا بَأْسَ ، كَمَا سَيَأْتِي مَفْصَلاً إِنَّ شَاءَ اللَّهُ
تَعَالَى . وَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَدَّدَ لِحَاضِرِهِمْ ، وَيَذَكَرَ غَائِبَهُمْ
بِخَيْرٍ ، وَحَسَنِ ثَنَاءٍ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْلَمَ أَسْمَاءَهُمْ
وَأَنْسَابَهُمْ وَمَوَاطِنَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ ، وَيُكْثِرَ الدُّعَاءَ لَهُمْ .

الثاني (٢) عشر أَنْ يَرِاقِبَ أَحْوَالَ الطَّلِبَةِ فِي آدَابِهِمْ
وَهَدْيِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ (٣) بَاطِناً وَظَاهِراً ، فَمَنْ صَدَرَ مِنْهُ
ذَلِكَ مَا لَا يَلِيقُ مِنْ ارْتِكَابِ مُحَرَّمَ ، أَوْ مَكْرُوهٍ ، أَوْ

(١) النوع الحادي عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم
ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) النوع الثاني عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم
ص ٦٠ - ٦١ .

(٣) وهذا ما يسمَّى فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ بِالْإِرْشَادِ حَيْثُ يُمْسِكُ الْإِسْتِاذُ
سَجَلًا بِأَسْمَاءِ عِدَدٍ مِنَ الطَّلِبَةِ يَطْلُعُ فِيهِ عَلَى مَشَاكِلِهِمْ ، وَيُشَارِكُهُمْ
فِي حُلِّهَا ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الطَّرِيقِ الْأَمْثَلِ .

ما يؤدي إلى فساد حال ، أو ترك اشتغال ، أو إساءة أدب في حق الشيخ ، أو غيره ، أو كثرة كلامه بغير توجيه ولا فائدة ، أو حرص على كثرة الكلام ، أو معاشرة من لا تليق معاشرته ، أو غير ذلك مما سيأتي ذكره في أدب المتعلم ، عرض الشيخ بالنهي عن ذلك بحضور من صدر منه من غير معرض به ولا معين له ، فإن لم ينته نهاه عن ذلك سرّاً ، ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها ، فإن لم ينته نهاه عن ذلك جهراً ، ويغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال ، لينزجر هو وغيره ، ويتأدب كل سامع ، فإن لم ينته فلا بأس حينئذ بطرده والأعراض عنه إلى أن يرجع ، وكذلك يتعاهد ما يعامل به بعضهم بعضاً من إفشاء السلام وحسن التخاطب [٧٤و] في الكلام ، والتحابب والتعاون على البر والتقوى ، وعلى ما هم بصدده .

الثالث (١) عشر أن يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم ومساعدتهم بما يتيسر عليه من جاه أو مال عند قدرته على ذلك ، وسلامة دينه وعدم ضرره ، فإن الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن ستر على معسر يستر الله عليه حسابه يوم القيامة ، ولا سيما إذا كان ذلك إعانة على طلب

(١) النوع الثالث عشر اخذ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم

العلم ، وإذا غابَ بعضُ الطَّلَبَةِ أو ملازمي الحلقة زائداً عن العادة سألَ عنه ، فإنَّ لم يُخبرَ عنه بشيءٍ أَرْسلَ إليه أو قصدَ منزله بنفسه ، وهو أَفضلُ . فإنَّ كَانَ مريضاً عادَهُ ، وإنَّ كَانَ في غمٍ خَفَضَ (١) عليه ، أو في أمرٍ يَحْتَاجُ إليه فيه أَعَانَهُ ، وإنَّ كَانَ مسافراً تَفَقَّدَ أَهْلَهُ وَمَن يَتَعَلَّقُ بِهِ ، وسألَ عنهم وتعرَّضَ لِحَوَائِجِهِمْ ، ووصلَهُمْ بما أَمَكَ ، وإنَّ لم يَكُنْ في شيءٍ من ذلك تودَّدَ إليه ودعاه .

واعلم أنَّ الطالبَ الصالحَ أَعُودُ على العالمِ بخيرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ من أَعَزِّ النَّاسِ عليه وأقربِ أَهْلِهِ إليه ، ولذلك كَانَ عِلْمَاءُ السَّلَفِ النَّاصِحُونَ لِلَّهِ وَدِينِهِ يَلْقَوْنَ شِبْكَ الاجْتِهَادِ لَصِيْدِ طَالِبٍ يُنْتَفِعُ بِهِ فِي حَيَاتِهِمْ وَمِن بَعْدِهِمْ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْعَالَمِ ، إِلَّا طَالِبٌ وَاحِدٌ يُنْتَفِعُ النَّاسُ بِعِلْمِهِ وَعَمَلِهِ وَهُدْيِهِ وإرشاده لكفاهُ ذلكَ الطالبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّهُ لَا يَتَّصِلُ شَيْءٌ مِنْ عِلْمِهِ إِلَى أَحَدٍ فَيَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ الْأَجْرِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ [٧٤ ظ] صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ الْحَدِيثُ) (٢) ، وَقَدْ أَسْلَفْنَا الْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ ، وَمَا ذَكَرَهُ الْبَدْرُ بْنُ جَمَاعَةَ مِنْ إِجْتِمَاعِ الثَّلَاثِ فِي تَعْلِيمِ الْمُعَلِّمِ (٣) .

(١) لَعَلَّهُ خَفَّفَ عَلَيْهِ .

(٢) الْحَدِيثُ فِي سَمَنِ الدَّارِمِيِّ ١١٤/١ .

(٣) حَنَفِ الْمَصْنُفِ فِي آخِرِ النَّوعِ اثْنِي عَشَرَ سَطْرًا . يَنْظُرُ تَذَكُّرَةُ السَّمَاعِ ص ٦٣ - ٦٤ .

الرابع (١) عشر أَنَّ يتواضع مع الطالب وكلّ مسترشدٍ إذا قامَ بما يجبُ عليه من حقوقِ الله وحقوقه ، ويخفّضَ له جناحه ويُلدِّنَ له جانبَه ، قالَ اللهُ تعالى لنبيّه صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم : (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) (٢) ، وصحَّ عنه صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ : أَنَّ تَوَاضَعُوا ، وما تواضعَ أحدٌ لله إلاَّ رفعَهُ اللهُ) (٣) ، وهذا في التواضع لمطلقِ النَّاسِ فكيفَ لمن له حقُّ الصَّحبة وحرمةُ التَّردّدِ وصدقُ التَّوَدّدِ وشرفُ الطَّلَبِ ، وهم كآولاده ؟ وفي الحديث : (لِيَنُوءَا لِمَن تَعَلَّمُونَ وَلِمَن تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ) (٤) . وعن الفضيل (٥) : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَالِمَ الْمُتَوَاضِعَ ، وَيَبْغِضُ الْجَبَّارَ ، وَمَن تَوَاضَعَ لِلَّهِ وَرَتَّهُ الْحِكْمَةَ) (٦) .

(١) النوع الرابع عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع ص ٦٤ - ٦٦ ، مع اضافة منه .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢١٥ .

(٣) الحديث ذكره مالك في الموطأ ٢/١٠٠٠ ، والترمذي في صحيحه ١٨٤/٧ ، وابن حنبل في مسنده ٨٦/٢ ، وابو داود في سننه ١٣٩٩/٢ ، مع اختلاف في الفاظ الحديث في هذه المصادر .

(٤) الفقيه والمتفقه ٢/١١٣ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٥٤ ، شرح المذهب ١/٥٢ .

(٥) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن بشر ، خراساني من ناحية مرو ، مات سنة (٢٨٧هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٨٠/٨٤ ، الرسالة القشيرية ص ٩ .

(٦) الفقيه والمتفقه ٢/١١٣ ، شرح المذهب ١/٥٢ .

وينبغي أَنْ يَخاطَبَ كلاًّ منهم لا سيما الفاضل (١)
 المتميزُ بكنيته ، ونحوها من أَحَبَّ الأسماء إليه ، وما
 فيه تعظيمٌ له وَتَوْقِيرٌ ، وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :
 (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَكْنِي
 أَصْحَابَهُ إِكْرَاماً لَهُمْ) (٢) . وكذلك ينبغي أَنْ
 يَتَرَحَّبَ (٣) بِالطَّلَبَةِ إِذَا لَقِيَهُمْ ، وعند إقبالهم عليه ،
 وَيُكْرِمُهُمْ إِذَا جَلَسُوا إِلَيْهِ ، وَيُؤْنِسُهُمْ بِسْؤَالِهِ عَنْ
 أَحْوَالِهِمْ وَأَحْوَالِ مَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ ، بعد ردِّ سلامِهِمْ ،
 ويعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البشر وحسن
 المودة وإعلام المحبة ، ويزيدُ في ذلك مَنْ يُرْجَى
 فلاحه ويظهر صلاحه ، وبالجملة فهم وصيةُ
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيما رواه
 أَبُو سَعِيدٍ [٧٥ و] الخدري عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ ، وَإِنَّ رِجَالاً
 يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ فِي
 الدِّينِ ، فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً) (٤) .

(١) في ب : (الفاضل منهم) .

(٢) الفقيه والمتفقه ١١٩/٢ .

(٣) كذا في الاصل ، م ، وتذكرة السامع والمتكلم ، وفي (ب) : (يرحب) ،
 وهو نفس المعنى .

(٤) الحديث في صحيح الترمذي ١١٩/١٠ ، سنن ابن ماجه ٩٢/١ ،
 شرح المذهب ٤٦/١ .

وكان^(١) البويطي يُدني القراءَ ويقرُّ بهم إذا طلبوا العلمَ ، ويعرِّفهم فضلَ الشافعي وفضلَ كنيته ، ويقولُ : كانَ الشافعي يأمرُ بذلكَ ، ويقولُ : إصبرَ للغرباءِ ولغيرهم من التلاميذ^(٢) ، وقيلَ كانَ أبو حنيفةَ أكرمَ^(٣) النَّاسِ مُجَالَسَةً وَأَشَدَّهُمْ إِكْرَامًا لأصحابه . (ويخصُّ بمزيدِ الإكرامِ وصرفِ العنايةِ في التَّعليمِ من ظهرتْ أهليتهُ من ذوي البيوتاتِ ، وقد أخرجَ الخطيبُ عن محمد بن عبد الوهَّاب السُّكري قالَ : (كانَ سفيانُ إذا رأى هؤلاءِ النَّبَطَ يكتبونَ الحديثَ تغيَّرَ وجههُ ويشتدُّ عليه ، قالَ : فقلتُ له : يا أبا عبد الله نراك إذا رأيتَ هؤلاءِ يكتبونَ العلمَ يشتدُّ عليكَ ، قالَ : فيقولُ : كانَ العلمُ في العربِ وسادةَ النَّاسِ ، فاذا خرجَ من هؤلاءِ وصارَ في هؤلاءِ يعني النَّبَطَ والسفلةَ غيَّرُوا الدِّينَ)^(٤) . وأخرجَ - أيضاً - عن سفيان بن حسين

(١) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى القرشي البويطي ، نسبة الى بويط من أعمال الصعيد ، من اصحاب الامام الشافعي الاجلاء ، قام مقامه في الدرس ، توفي في بغداد سنة (٢٣١هـ) ترجمته في تاريخ بغداد ٢٩٩/١٤ ، مفتاح السعادة ١٦٨/٢ ، الاعلام ٣٣٨/٩ .

(٢) مناقب الشافعي ١٤٧/٢ .

(٣) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : التلامذة .

(٤) ينظر وفيات الاعيان ترجمة النعمان بن ثابت ٤٠٨/٥ ، طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٦٨م .

(٤) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٨٣ ، الجامع للخطيب ١٤٠/١ نفس النص .

قالَ : قَدَمَ عَلَى الْأَعْمَشِ بَعْضُ السَّوَادِ فَاجْتَمَعُوا
 إِلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَحْدُثَهُمْ ، فَقِيلَ لَهُ ' يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ، لَوْ
 حَدَّثْتَهُمْ ، فَقَالَ : (مَنْ يعلِّقُ الدَّرَّ عَلَى الْخَنَازِيرِ) (١) .
 قلتُ : (وفيه إشارةٌ إلى أَنَّ الْحِكْمَةَ لَا تَوْضَعُ فِي
 غَيْرِ أَهْلِهَا) (٢) .

-
- (١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٥٦ ، وفيه : (ومن قول النبي
 صلى الله عليه وسلم مرفوعاً : واضع العلم في غير اهله كمقلد الخنازير
 اللؤلؤ والذهب) .
 (٢) ما بين القوسين من المصنف ، لم يذكر في تذكرة السامع والمتكلم .

الفصل (١) الرابع

في آداب المتعلم في نفسه

وهو عشرة أنواع :

الأوّل : أَن يَطَهِّرَ قَلْبَهُ مِنْ كُلِّ غَشٍّ وَدَنَسٍ وَغُلٍّ وَحَسَدٍ وَسُوءٍ عَقِيدَةٍ وَخُلُقٍ ، لِيَصْلَحَ بِذَلِكَ لِقَبُولِ الْعِلْمِ وَحِفْظَهُ وَالْإِطْلَاعَ عَلَى دَقَائِقِ مَعَانِيهِ وَحَقَائِقِ غَوَامِضِهِ ، فَإِنَّ الْعِلْمَ - كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ - صَلَاةُ السِّرِّ وَعِبَادَةُ الْقَلْبِ [٧٥ ظ] وَقُرْبَةُ الْبَاطِنِ ، وَكَمَا لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ عِبَادَةُ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ إِلَّا بِطَهَارَةِ الظَّاهِرِ مِنَ الْحَدَثِ وَالْخَبَثِ ، فَكَذَلِكَ لَا يَصِحُّ الْعِلْمُ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الْقَلْبِ إِلَّا بِطَهَارَتِهِ عَنْ خَبَثِ الصِّفَاتِ ، وَحَدَثِ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ وَرَدِيئَتِهَا . وَقَالُوا : يُطَيَّبُ الْقَلْبُ لِلْعِلْمِ كَمَا تُطَيَّبُ الْأَرْضُ لِلزَّرْعِ ، فَإِذَا طَيَّبَ الْعِلْمُ ظَهَرَتْ بَرَكَتُهُ كَمَا يَنْمُو زَرْعُ الْأَرْضِ وَيَزْكُو إِذَا طَيَّبَتْ ، وَفِي الْحَدِيثِ : (إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) (٢) ، وَقَالَ سَهْلٌ :

(١) الفصل والعنوان والأنواع ابتداء من النوع الأول اخذها المصنف

من تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٧ .

(٢) الحديث ورد في مسند ابن حنبل ٢٧٠/٤ ، ٢٧٤ وفي سنن ابن ماجه

عن الشعبي ١٣١٩/٢ .

حرام" على قلبٍ أَن يدخله' النور' وفيه شيءٌ مما يكره' (١) الله عز وجل .

الثاني (٢) : حسن' النية' في طلب العلم بأن يقصد به وجه الله عز وجل والعمل به ، واحياء الشريعة ، وتنوير قلبه ، وتحلية باطنه ، والقرب من الله تعالى يوم القيامة ، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله .

قال سفيان الثوري [رحمه الله تعالى] (٣) : ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نيّتي ، ولا يقصد به الأغراض الدنيويّة من تحصيل الرئاسة ، والجاه ، والمال ، ومباهاة الأقران ، وتعظيم الناس له ، وتصديره في المجالس ونحو ذلك ، فيستبدل الأدنى بالذي هو خير ، مع أنّ هذه النيّات لا توصله إلى ما لم يقدره الله له من ذلك ، بل يكون سبباً لحرمان قصده ، وقد سبق قول أبي يوسف : (أريدوا بعلمكم الله تعالى ، فأنّي لم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلاّ لم أقم قط حتّى إفتضح) (٤) ، والعلم عبادة من العبادات ، وقربة من القربات ، فإن خلصت فيه النية لله قبل وزكا وتمّت بركته ، وإن قصد به غير وجه الله حبط (٥) وضاع ، وخسرت صفقته ،

(١) كذا في الاصل و (م) ، وفي (ب) : (يكرهه) .

(٢) النوع الثاني اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٦٨-٧٠ .

(٣) ما بين المعقوفين : زيادة من (ب) .

(٤) شرح المهذب ٤٧/١ .

(٥) في (ب) : (سقط) ، وهو تحريف .

وربّما كان ذلك سبباً في فوات تلك [٧٦و] المقاصد ،
فلا ينالها ، فيخيب 'قصدَه' ويضيع 'سعيه' .

الثالث^(١) : أَنَّ يبادرَ شبابه' ، وأوقاتَ عمره
فيصرفها إلى التَّحصيلِ ، ولا يغترُّ بخدعِ التَّسْويفِ
والتَّأْمِيلِ ، فإنَّ كلَّ ساعةٍ تمضي من عمره لا بدلَ لها
ولا عوضَ عنها ، ويقطعَ ما قد رَ على قطعه من العلائقِ
الشاغلة ، والعوائقِ المانعة عن تمامِ الطلبِ وبذلِ
الاجتهادِ وقوةِ الجدِّ في التحصيلِ ، فإنَّها قواطعُ
الطَّريقِ ، ولذلك استحبَّ السلفُ التَّغرُّبَ عن
الأهلِ ، والبعدَ عن الوطنِ قليلاً للشواغلِ ، لأنَّ
الفكرةَ إذا توزَّعتْ قصُرتْ عن دركِ الحقائقِ ،
و (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قُلُوبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) ^(٢) ،
ولذلك يُقالُ 'العلمُ لا يُعطيكَ بعضَه' حتَّى تعطيَه
كلَّكَ .

ونقلَ الخطيبُ البغدادي في الجامعِ عن بعضهم
قال : (لا ينالُ هذا العلمُ إلَّا من عطلَّ دكانَه' ، وخرَّبَ
بستانَه' ، وهجرَ أخوانَه' ، وماتَ أقربَ أهله فلم
يشهدْ جنازَتَه') ^(٣) . وهذا كلُّه وإنْ كانتْ فيه

(١) النوع الثالث أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٠-٧١ .

(٢) سورة الاحزاب الآية : ٤ .

(٣) الجامع للخطيب البغدادي ٢/ ٢٣٥ .

مبالغة" ، فالمقصود به انه لا بد فيه من جمع القلب وإجتماع الفكر . وقيل أمر بعض المشايخ طالباً له - بنحو ما رواه الخطيب - فكان آخر ما أمره به أن قال : اصبغ ثوبك (١) كيلا يشغلك فكر غسلة . وعن الشافعي أنه قال : (لو كلفت بصلة ما حفظت مسألة) (٢) .

الرابع (٣) : أن يقنع من القوت بما تيسر ، وإن كان يسيراً ، ومن اللباس بما يستر مثله وإن كان خلقاً ، فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم ، ويجمع شمل القلب عن متفرقات الآمال فتتفجر فيه ينابيع الحكم . قال الشافعي رحمه الله : (لا يطلب أحد هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة [٧٦ ظ] العلماء أفلح) (٤) . وقال : لا يدرك العلم إلا بالصبر على الدل ، وقال : (لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس ، قيل ولا الغني المكفي ، قال : ولا الغني) (٥) . قال مالك : (لا يبلغ أحد من هذا العلم ما يريد حتى يضر به الفقر ، ويؤثره على كل شيء) (٦) . وقال أبو حنيفة

(١) كان لون ثياب شعبة بن الحجاج بن الورد كلون التراب ، كما جاء في تذكرة الحفاظ ١٨٢/١ .

(٢) الكلام في تذكرة السامع والمتكلم ص ٧١ .

(٣) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٧١-٧٢ .

(٤) شرح المذهب ٥٩/١ .

(٥) مناقب الشافعي ١٤١/٢ ، شرح المذهب ٥٩/١ ، الجامع للخطيب

٣٩/١ .

(٦) الفقيه والمتفقه ٩٤/٢ ، شرح المذهب ٥٩/١ .

رحمه الله : (يُسْتَعَانُ عَلَى الْفَقْهِ بِجَمْعِ الْهَمِّ ، وَيُسْتَعَانُ عَلَى حَذْفِ الْعَلَائِقِ بِأَخْذِ الْيَسِيرِ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَلَا (١) يَزِدُ) (٢) . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْأَجْرِيُّ : (مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ بِالْفَاقَةِ وَرِثِ الْفَهْمِ) (٣) . فَهَذِهِ أَقْوَالُ هَذِهِ الْأُئِمَّةِ الَّذِينَ لَهُمْ فِيهِ الْقَدْحُ الْمُعْلَى غَيْرُ مَدَافِعٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَحْوَالُهُمْ رَحِمَهُمُ اللَّهُ ، وَمِنْ أَثَرِ طَلَبِ الْعِلْمِ عَلَى الْأَحْتِرَافِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْوِضُهُ وَيَأْتِيهِ بِالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .

فَعَنْ زِيَادِ بْنِ الْحَارِثِ الصُّدَّائِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ تَكْفَّلَ اللَّهُ بِرِزْقِهِ) (٤) ، أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي الْجَامِعِ ، فَهَذَا تَكْفَّلَ خَاصٌّ بِمَعْنَى مَا سَبَقَ ، قَالَ الْخَطِيبُ : (وَيُسْتَحَبُّ لِلطَّالِبِ عَزْبًا مَا أَمْكَنَهُ لئَلَّا يَقْطَعَهُ الْإِشْتَغَالُ بِحَقُوقِ الزَّوْجَةِ وَطَلَبِ الْمَعِيشَةِ عَنْ إِكْمَالِ الطَّلَبِ) (٥) . وَقَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ : (مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ ، فَإِنْ وَلِدَ لَهُ فَقَدْ كُسِرَ بِهِ) (٦) ، وَقَالَ لِرَجُلٍ (تَزَوَّجْتَ ؟) قَالَ : لَا . قَالَ : مَا تَدْرِي مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْعَافِيَةِ) (٧) .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَهُوَ الصَّحِيحُ ، وَفِي (م) : (وَلَا يَرُدُّ) وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَفِي (ب) : (وَلَا يَرُدُّهُ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) شَرْحُ الْمَهْذَبِ ٥٩/١ .

(٣) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ ٥٩/١ .

(٤) الْجَامِعُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ ٣٨/١ .

(٥) الْجَامِعُ ٣٧/١ ، شَرْحُ الْمَهْذَبِ ٥٩/١ .

(٦) الْجَامِعُ ٣٧/١ ، شَرْحُ الْمَهْذَبِ ٥٩/١ .

(٧) الْجَامِعُ ٣٧/١ ، شَرْحُ الْمَهْذَبِ ٥٩/١ .

وبالجملة فترك' التزويج لغير المحتاج إليه ، أو غير القادر عليه أولى ، بل هو مستحب' الترك حينئذٍ على المذهب ، لآسيما للطالب الذي رأس' ماله جمع' خاطر وإجمام' القلب وإستعمال' الفكر .

الخامس' (١) أَنْ يَقْسَمَ أَوْقَاتَ لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ، وَيَغْتَنِمَ مَا بَقِيَ مِنْ عَمَرِهِ ، فَإِنَّ بَقِيَّةَ الْعَمْرِ لَا قِيَمَةَ لَهُ . وَأَجُودُ الْأَوْقَاتِ لِلْحِفْظِ الْأَسْحَارُ ، وَلِلْبَحْثِ الْأَبْكَارُ ، وَلِلْكِتَابَةِ [٧٧و] وَسَطُ النَّهَارِ ، وَلِلْمُطَالَعَةِ وَلِلْمَذَاكِرَةِ اللَّيْلِ .

وقال الخطيب' : (أَجُودُ أَوْقَاتِ الْحِفْظِ الْأَسْحَارُ ، ثُمَّ وَسَطُ النَّهَارِ ، ثُمَّ الْغَدَاةُ ، قَالَ : وَحِفْظُ اللَّيْلِ أَنْفَعُ مِنْ حِفْظِ النَّهَارِ ، وَوَقْتُ الْجُوعِ أَنْفَعُ مِنْ وَقْتِ الشَّبَعِ ، قَالَ : وَأَجُودُ أَمَاكِنِ الْحِفْظِ الْغُرَفُ ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ بَعِيدٍ عَنِ الْمَلْهِيَاتِ ، قَالَ : وَلَيْسَ بِمَحْمُودِ الْحِفْظِ بِحُضْرَةِ النَّبَاتِ ، وَالْخُضْرَةِ ، وَالْأَنْهَارِ ، وَقَوَارِعِ الطَّرِيقِ ، وَضَجِيجِ الْأَصْوَاتِ ، لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنْ خُلُوءِ الْقَلْبِ غَالِبًا) (٢) .

السادس' (٣) مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْمَعِينَةِ عَلَى الْأَشْتَغَالِ وَالْفَهْمِ وَعَدَمِ الْمَلَالِ أَكْلُ الْقَدْرِ الْيَسِيرِ مِنَ الْحَلَالِ ، قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (مَا شَبِعَتْ مِنْذُ سِتِّ عَشْرَةِ سَنَةٍ) (٤) ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ كَثْرَةَ

(١) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٢-٧٣ .

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١٠٣/٢ ، شرح المهذب ٦٣/١ .

(٣) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٣-٧٥ .

(٤) مناقب الشافعي ١٦٦/٢ .

الأكل جالبة" لكثرة الشرب ، وكثرتة ' جالبة' للنوم
والبلادة ، وقصورِ الذهنِ وفتورِ الحواسِ وكسلِ
الجسمِ ، هذا مع ما فيه من الكراهة الشرعية ،
والتعرض لخطر الأسقام البدنية ، كما قيل :

فإنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ

يكونُ من الطَّعامِ أَوِ الشَّرَابِ

ولم يرَ أحدٌ من الأولياءِ والأئمةِ العلماءِ يوصفُ
بكثرة الأكلِ ، ولا حامداً لمن اتَّصفَ بِهَا ، بل تُحمدُ
كثرةُ الأكلِ من الدوابِ التي لا تعقلُ ، بل هي مرصدهُ
للعملِ ، والذهنُ الصحيحُ أشرفُ من تبديدهُ وتعطيلهُ
بالقدرِ الحقيقِ من طعامٍ يؤوُلُ أمره إلى ما قد علِمَ ،
ولو لم يكن من آفاتِ كثرةِ الطعامِ والشَّرابِ إلا
الحاجةُ إلى كثرةِ دخولِ الخلاءِ لكان ينبغي للعاقلِ
اللبيبِ أَنْ يصونَ نفسَه عنه .

ومن رامَ الفلاحَ في العلمِ وتحصيلِ البغيةِ من كثرةِ
الأكلِ [٧٧ظ] والشربِ والنومِ ، فقد رامَ مستحيلاً في
العادة . والأولى أن يكونَ أكثرَ ما يأخذُ من الطعامِ
ما وردَ في الحديثِ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآله
وسلَّم قالَ : (مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ،
بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لَقِيمَاتٍ يَقْمَنُ صَلْبُهُ ، فَإِنْ
كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتَلُثْ لَطْعَامَهُ ، وَتَلُثْ لَشْرَابَهُ ،
وَتَلُثْ لِنَفْسِهِ) (١) . رواه الترمذي ، فإن زادَ على

(١) صحيح الترمذي ٢٢٤/٩ ، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١٠٤/٢ .

ذلك فالزيادة 'إسراف' خارج" عن السنّة ، وقد قال تعالى : (وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تَسْرِفُوا) (١) . قال بعض العلماء : جمع الله بهذه الكلمة الطبّ كلّهُ .

السّابع (٢) أنّ يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه ، ويتحرّى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ، وفي جميع ما يحتاج إليه ، هو وعياله ، ليستنير قلبه ، ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به ، ولا يقنع لنفسه بظاهر الحلّ شرعاً مهما أمكنه التّورع ، ولم تلجّه حاجة أو يجعل حظه الجواز بل يطلب الرتبة العالية ، ويقتدي بمن سلف من العلماء الصالحين في التورّع عن كثير مما كانوا يفتنون بجوازه ، وأحقّ من اقتدى به في ذلك سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حيث لم يأكل التمرة التي وجدّها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة ، مع بعد كونها منها ، لأنّ أهل العلم يقتدى بهم ، ويؤخذ عنهم ، فاذا لم يستعمل الورع ، فمن يستعمله ؟

الثامن (٣) أنّ يقلّل استعمال المطاعم التي هي من أسباب البلادة وضعف الحواس ، كالتفاح الحامض ، والباقلاء ، وشرب الخل . (وكذلك

(١) سورة الاعراف الآية : ٣١ .

(٢) النوع السابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٥-٧٦ .

(٣) النوع الثامن اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٦-٧٧ .

ما يُكثِرُ استعماله البلغم ، المُبلَدُ للذهن ، المَثْقَلُ
للبدنِ ككثرة الألبان (١) والسَّمَكُ وأشباه ذلك .
وينبغي أَنْ يستعملَ ما جعله اللهُ تعالى سبباً لجودة
الذهنِ كمضغ اللُّبَانِ (٢) والمصطكا (٣) [٧٨و] على حسبِ
العادة ، وأكل الزَّيْبِ بكرةً والجَلَّابِ (٤) ، ونحو
ذلك مما ليسَ هذا موضعُ شرحه . وينبغي أَنْ
يجتنبَ ما يُورِثُ النسيانَ بالخاصة كأكْلِ أَثَرِ
سُورِ (٥) الفارِ (٦) ، وقراءة الواح القبورِ ، والدخولِ بينِ
جملينِ مقطورين (٧) ، والقاءِ القملِ ، ونحو ذلك من
المجرَّباتِ فيه .

التاسع (٨) أَنْ يَقلِّلَ نومَه ما لم يلحقه ضررٌ في
بدنه وذهنه ، ولا يزيدُ في نومِه في اليومِ واللَّيلةِ على
ثمانِ ساعاتٍ ، وهي ثلثُ الزمانِ ، فَإِنْ احتَمَلَ حاله
أَقَلَّ منها فعلٌ .

-
- (١) ما بين القوسين : ساقط من (ب) بسبب انتقال النظر .
(٢) اللُّبَانُ : الكُنْدُرُ ، وهو ضرب من العلك . ينظر اللسان ١٥٣/٥ ،
٣٧٧/١٣ .
(٣) المصطكا: كلمة معربة، وهي العلك الرومي، ينظر اللسان ٤٩٠/١٠ .
(٤) الجَلَّابُ : ماء الورد ، فارسي معرب . ينظر اللسان ٢٧٤/١ .
(٥) (سُورُ) : ساقطة من (ب) .
(٦) السُّورُ : البقية وغيرها ينظر اللسان ٣٣٩/٤ .
(٧) لم يثبت العلم الحديث ان استعمال هذه الانواع التي ذكرها
المصنف تساعد على الذكاء ، بل الذكاء قابلية موجودة عند الانسان
يمكن تنميتها بكثرة المطالعة والمناقشة والمثابرة .
(٨) النوع التاسع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٧٧-٨٢ .

ولا بأسَ أَنْ يَريحَ نفسَه ' وقلبه ' وذهنه ' وبصره '
 أَوْ كلَّ شيءٍ من ذلك ، أَوْ كلَّ ضَعْفٍ بَتنزه وتفرّجٍ في
 المستنزهات بحيثُ يعودُ إلى حاله ولا يضيعُ عليه
 زمانه . ولا بأسَ بمعاناة المشي ورياضة البدن به ،
 فقد قيلَ إِنَّه ' ينعش ' الحرارة ، (ويذيب ' فضولَ
 الاخلاطِ وينشطُ البدنَ) (١) .

ولا بأسَ بالوطني الحلال إذا احتاج إليه فقد قال
 الأَطَبَاءُ : بَأَنَّهُ ' يخفف ' الفضولَ وينشِطُ ' ويصفي
 الذهنَ إذا كانَ عندَ الحاجةِ باعتدالٍ ، ويحذرُ كثرتَه
 حذرَ العدوِّ ، فَإِنَّه ' كما قيلَ :

ماءُ الحياةِ يَرَأَقُ في الأَرْحَامِ

(ثم رُوِيَ في شرح منظومه الأقفهسي (٢) في الآدابِ
 بَأَنَّ قبله (٣) :

أَقْلِيلُ نَكَاحًا ما استطعتَ فَإِنَّه

(١) ما بين القوسين : ساقط من (م) ، (ب) .

(٢) هو ابو العباس احمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي الاقفهسي ،
 القاهري الشافعي له عدة مؤلفات منها شرح منظومة آداب الطعام ،
 توفي سنة (٨٠٨هـ) . ترجمته في الضوء اللامع ٢/٤٧-٤٩ .

(٣) هذه الابيات غير موجودة في شرح منظومة الاقفهسي في الآداب ،
 وهذه الابيات ميمية ، واييات المنظومة لامية .

وقبلَ هذا البيتِ بيتانِ هما :

اسمعُ بُنيَّ وصيَّتي واعملْ بِهَا
فالطَّبُّ منظومٌ بنظمِ كلامي

لا تشرَبَنَّ على طعامٍ عاجلاً

فتعودُ نفسُكَ للبلَا بزمامِ (١)

يُضعِفُ (٢) السَّمْعَ والبصرَ والعصبَ والحرارةَ
والهضمَ ، وغيرَ ذلكَ من الأمراضِ [٧٨ ظ] الرديئةِ .
والمحققون من الأطباءِ يرونَ أنَّ تركَهُ أَوَّلَى إِلاَّ
لضرورةٍ أو استشفاءٍ .

وبالجملة فلا بأسَ أنَّ يُريحَ نفسَهُ إذا خافَ
مللاً ، وكانَ بعضُ أكابرِ العلماءِ يجمعُ أَصحابَهُ في
أماكنِ النزهةِ ، في بعضِ أَيَّامِ (٣) السَّنَةِ ،
ويتمازحونَ بما لا يضرُّهُمُ في دينٍ ولا عرضٍ .
ويَتَجَنَّبُ ما يُعَابُ من الهزلِ والبسطِ بالفعلِ ،
وفرطِ التَّمْطِي والتمايلِ على الجنبِ والقفا والضحكِ

العاشِرُ (٤) أنَّ يتركَ العشرةَ ، فإنَّ تركَهَا من
أَهَمِّ ما ينبغي لطالبِ العلمِ ، ولا سيما لغيرِ الجنسِ ،

(١) ما بين القوسين ساقط من (م) ، (ب) .

(٢) كذا في الاصل ، وفي (م) ، (ب) : (يضعف) ، وهو تصحيف .

(٣) هذه الطريقة متبعة في وقتنا الحاضر ، حيث يقوم الطلبة والاساتذة

بسفرات في فصل الربيع والخريف .

(٤) النوع العاشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٣-٨٥ .

وخصوصاً لمن كثر لعبه، وقلَّتْ فكرته، فإنَّ الطباعَ سرَّاقَةً، وآفةُ العشرةِ ضياعُ العمرِ بغيرِ فائدةٍ، وذهابُ المالِ والعرضِ إنَّ كانتَ لغيرِ أهلٍ، وذهابُ الدِّينِ إنَّ كانتَ لغيرِ أهله .

والذي ينبغي لطالب العلم ألاَّ يخالطَ إلاَّ مَنْ يفيدُه، أو يستفيدُ منه، كما رُوِيَ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : (اُعْدُ عالماً أو متعلماً ولا تكنِ الثالثَ فتهلك) (١) . فإنَّ شرعاً أو تعريضاً لصحبته من يضيِّعُ عمره معه ولا يفيدُه ولا يستفيدُ منه، ولا يعينه على ما هو بصددَه فليتلطفْ في قطعِ عشرته في أوائلِ الأمرِ قبلَ تمكُّنها، فإنَّ الأمورَ إذا تمكَّنتْ عُسرتْ إزالتها، ومن الجاري على السنة الفقهاء : (الدفعُ أسهلُ من الرِّفعِ) . فإنَّ احتياجَ إلى من يصحبه فليكنْ صاحباً (٢) صالحاً ديناً تقيّاً ورعاً كثيرَ الخيرِ قليلَ الشرِّ حسنَ المداراةِ قليلَ المماراةِ، إنَّ نسيَ ذكره، وإنَّ ذكرَ أعانه، فإذا احتاجَ واساه، أو ضجِرَ صبره .

(١) الحديث ورد في سنن الدارمي بصيغ مختلفة في ٦٩/١ : اعد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكلم الرابع فتهلك) ، وفي ٨٢/١ : (اعد عالماً أو متعلماً ولا تغدُ فيما بين ذلك ، فان بين ذلك جاهل . وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ١٩ : وفيه : (اعد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ، ولا تكن الخامس فتهلك) .

(٢) في الاصل : (صاحبها) ، وهو تحريف .

ومما يروى عن عليٍّ رضي الله عنه (١) :

فَلَا تَصْحَبْ أَخَا الْجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَلِيمًا حِينَ وَآخَاهُ
[٧٩و] يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَا شَاهُ

ولبعيهم (٢) :

إِنَّ أَخَاكَ الصَّدُوقَ مَنْ كَانَ مَعَكَ
وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رِيبُ زَمَانٍ صَدَعَكَ
شَتَّتَ شَمْلَ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ

(١) الابيات في الديوان المنسوب للامام علي ص ٥ ، وفيه (حكيماً) مكان
(حليماً) ، (آخاه) ، مكان (وآخاه) .

(٢) البيتان وردا في عيون الاخبار ٤/٣ ، كشكول البهائي ٤/١ ، زهر
الاداب ٥٢١/١ ، المستطرف ٥٩/١ ، ١١٩ .

الفصل (١) الخامس

في آداب المتعلِّم مع شيخه وقُدوته
وما يجب عليه من عظيم حرمة

وذلك ثلاثة عشر نوعاً :

الأوّل (٢) أنّه 'ينبغي للطالب أنْ يقدِّم النظر ،
ويستخير اللهَ فيمن يأخذ العلمَ عنه' ، ويكتسبُ
حسنَ الأخلاق والأدبِ منه' ، ويتحرَّى في كونه
ممنْ كملتْ أهليتهُ ، وتحققتْ شفقتهُ ،
وظهرتْ مروءتهُ ، وعُرِفَتْ عِفَّتُهُ واشتهرتْ
صيانتهُ ، وكانَ أحسنَ تعلّماً ، وأجودَ
تفهيماً ، ولا يرغبُ الطالبُ في زيادةِ العلمِ مع نقصِ
في ورعٍ أو دينٍ أو عدمِ خلقٍ جميلٍ . وعن بعضِ
السَّلفِ : (هذا العلمُ دينٌ " ، فانظروا عمَّنْ تأخذون
دينكم) (٣) .

وعن أبي امامة الجمحي إنَّ رجلاً سألَ النبيَّ
صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم عن السَّاعةِ ، فقالَ :
(من اشراطِها ثلاثٌ : أحداها التماسُ العلمِ عندَ

(١) الفصل الخامس: هو الفصل الثاني في تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٥ .

(٢) النوع الاول اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٥-٨٧ ،
مع زيادة قليلة في الوسط والآخر .

(٣) الكلام ذكره الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٩٦/٢ .

(الاصاغير) (١) رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه ابن الهيعة ، وحديثه 'حسن' .

وعن ابن مسعود قال : (لا يزال الناس بخير متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن أكابريهم ، فإذا أتاهم من أصاغيرهم هلكوا) (٢) ، رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله موثقون .

وليحذر من التقيّد بالمشهورين ، وترك الأخذ عن الخاملين ، فقد عدّ الغزالي وغيره ذلك من الكبير على العلم ، وجعله عين الحماقة ، لأنّ الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ، ويغتنمها حيث ظفر بها ، [٧٩ ظ] ويتقلد المنّة لمن ساقها اليه ، فانه يهرب من مخافة الجهل كما يهرب من الأسد ، والهارب من الأسد لا يأنف من دلالة من يدلّه على الخلاص كائناً من كان .

وذكر أبو نعيم في الحلية : انّ زين العابدين (٣) عليّ بن الحسين كان يذهب إلى زيد بن أسلم (٤)

(١) الحديث ورد في زوائد المعجمين ٢٧/١ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٨٢ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٢٠/٩ ، زوائد المعجمين ٢٣/١ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٨٢ ، الفقيه والمتفقه ٧٩/٢ .

(٣) لم اجد ذلك في حلية الاولياء في ترجمة زين العابدين ١٣٣/٣ ، ولا في ترجمة زيد بن اسلم ٢٢١/٣ .

(٤) هو ابو اسامة زيد بن اسلم ، قال عنه ابو نعيم : كان بالعدل قائلاً ، وبالفضل عاملاً ، وعن الجهل عادلاً . ينظر حلية الاولياء ٢٢١/٣ .

فيجلس اليه ، ف قيل له 'أَنْتَ سَيِّدُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ
تَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ فَتَجْلِسُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : الْعِلْمُ
يُتَّبَعُ حَيْثُ كَانَ ، وَمِمَّنْ كَانَ ، فَإِنْ كَانَ الْخَامِلُ
مِمَّنْ تُرْجَى بَرَكَتُهُ كَانَ النِّفْعُ بِهِ أَعْمَ وَالتَّحْصِيلُ
مِنْ جِهَتِهِ أَتَمَّ ، وَإِذَا سَبَرْتَ أَحْوَالَ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ
لَمْ تَجِدِ النِّفْعَ يَحْصُلُ غَالِبًا ، وَالْفَلَاحَ يَدْرُكُ طَالِبًا إِلَّا
إِذَا كَانَ لِلشَّيْخِ مِنَ التَّقْوَى نَصِيبٌ وَافِرٌ ، وَعَلَى
شَفَقَتِهِ وَنَصَحِهِ لِلطَّلَبَةِ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ ، وَكَذَلِكَ إِذَا
اعْتَبَرْتَ الْمَصْنَفَاتِ وَجَدْتَ الْأَنْتِفَاعَ بِتَصْنِيفِ الْأَتَقَى
الْأَزْهَدِ أَوْفَرَ ، وَالْفَلَاحَ بِالْأَشْتَغَالِ بِهِ أَكْثَرَ .
وَلِيَجْتَهِدَ عَلَى أَنْ يَكُونَ الشَّيْخُ مِمَّنْ لَهُ فِي الْعُلُومِ
الشَّرْعِيَّةِ تَمَامُ الْأَطْلَاعِ ، وَلَهُ مَعَ مَنْ يُوَثِّقُ بِهِ مِنْ
مَشَايِخِ عَصَرِهِ كَثْرَةُ بَحْثٍ وَطُولُ اجْتِمَاعٍ ، لَا مِمَّنْ
أَخَذَ عَنْ بَطُونِ الْأَوْرَاقِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ بِصُحْبَةِ
الْمَشَايِخِ الْحَذَّاقِ ، قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (مَنْ
تَفَقَّهَ مِنْ بَطُونِ الْكُتُبِ ضَيَّعَ الْأَحْكَامَ) (١) ، وَكَانَ
بَعْضُهُمْ يَقُولُ : (مَنْ أَعْظَمَ الْبَلِيَّةَ تَشَيَّخُ
الصُّحُفِيَّةِ) ، أَيِ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ مِنَ الصَّحُفِ (٢) .

الثاني (٣) أَنَّ يَنْقَادَ لِشَيْخِهِ فِي أُمُورِهِ ، وَلَا يَخْرُجُ
عَنْ رَأْيِهِ وَتَدْبِيرِهِ ، بَلْ يَكُونُ مَعَهُ كَالْمَرِيضِ مَعَ
الطَّيِّبِ الْمَاهِرِ ، فَيُشَاوِرُهُ فِيمَا يَقْصِدُهُ ، وَيَتَحَرَّيْ

(١) شرح المذهب للنووي ٦٤/١ .

(٢) ينظر الفقيه والمتفقه ٩٧/٢ .

(٣) النوع الثاني اخذ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٨٧-٨٨ ،

مع زيادة في آخر النوع .

رضاهُ فيما يعتمدُهُ ، ويُبالِغُ في حرمةِ ، ويتقربُ
إلى الله بخدمته ، ويعلمُ أنَّ ذلَّه لشيخه عزَّ ،
وخضوعه له فخرٌ وتواضعه له رفعةٌ ، [٨٠و]
ويُقَالُ إنَّ الشَّافعي رحمه الله عُوِّبَ على تواضعه
للعلماء فقال (١) :

أُهَيْنَ لَهُمْ نَفْسِي فَهُمْ يُكْرِمُونَهَا
وَلَنْ تُكْرَمَ النَّفْسُ الَّتِي لَا تَهِينُهَا

(وأخذ ابن عباس رضي الله عنهما مع جلالته
وقرابته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ومرتبته بركاب زيد بن ثابت الأنصاري ، وهو ممن
أخذ عنه ابن عباس العلم ، وقال : هكذا أُمِرنا أن
نفعل بعلمائنا) (٢) ، وقال أحمد بن حنبل لخلف
الأحمر (٣) : (لَا أَقْعُدُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْكَ أُمِرْنَا أَنْ
نتواضع لمن نتعلم منه) (٤) ، وهو شاهد لما رواه أبو
هريرة مرفوعاً : (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ)

(١) البيت في مناقب الشافعي ١٤٧/٢ .

(٢) ينظر الفقيه والمتفقه ٩٩/٢ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٤ .

(٣) هو أبو محرز خلف بن حبان المعروف بالأحمر شاعر وراوي ، وعالم
بالأدب ، ومعلم أهل البصرة ، كان أبواه من الموالي ، توفي سنة
(١٨٠هـ) . انباه الرواة على انباه النحاة طبعة دار الكتب المصرية
لسنة ١٩٥٠م ٣٤٨/١ ، الاعلام ٣٥٨/٢ .

(٤) الجامع للخطيب البغدادي ١٣٢/١ .

السَّكِينَةَ ، وتواضعُوا لِمَن تَعْلَمُونَ مِنْهُ (١) ، رواه الطبراني في الأوسط .

وعن جميلة أمّ ولد انس بن مالك قالت : (كان ثابتٌ إذا أتى انساً قال : أين انس ؟ يا جارية ، هاتي لي طيباً أَمْسَحُ يدي فانَّ ابنَ أمّ ثابت لا يرضى حتّى يقبّلَ يدي) (٢) ، رواه أبو يعلي ورجاله موثوقون .

وقال الغزالي لا تنال العلم إلا بالتواضع والقاء السَّمْعِ ، قال : ومهما أشارَ عليه شيخه بطريق في التعليم فليقلّده ، وليدع رأيَه ، فخطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه ، وقد نبّه الله على ذلك في قصّة موسى والخضر عليهما السّلام بقوله : (إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (٣) الآية ، هذا مع علوّ قدر موسى الكليم في الرسالة والعلم حتى شرط عليه السّكوت ، فقال : (فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) (٤) .

الثالث (٥) أنّ ينظره بعين الأجلال ويعتقد فيه درجة الكمال ، ويوقّره ويعظّمه ، فانّ ذلك أقرب إلى نفعه به ، وكان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه

(١) زوائد المعجمين ١/١٨ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ ، ٦٩ .

(٢) المطالب العالية ٣/١١٨ ، وفيه : (قال ثابت : كنت إذا جئت انساً دعا بطيب ، فمسح بيديه وعارضيه) .

(٣) سورة الكهف الآيتان : ٧٢ ، ٧٥ .

(٤) سورة الكهف الآية : ٧٠ .

(٥) النوع الثالث : أخذه المصنف نصفه من تذكرة السامع والمتكلم

ص ٨٨ - ٨٩ .

تصدَّقَ بشيءٍ وقالَ : اللهمَّ استرْ عيبَ شيخِي عنِّي
ولا تذهبْ بركةَ علمه مِنِّي ، وهذا [٨٠ظ] كقول
بعضهم من احتجت إلى علومه فلا تنظرُ إلى عيوبه ،
فإنْ نظرتَ إليها حُرِّمَتْ الارتفاعَ بعلومه .

وقالَ أبو عبد الله محمد بن خفيف : قالَ لي رُوَيْمُ (١)
رحمةُ الله عليهما : اجعلْ علمَكَ ملحاً وأَدَبَكَ دقيقاً
ولذا ، قالَ بعضُ الصوفيَّة : التصوُّفُ كَلَّةُ أَدَبٍ ،
فمن لزمَ الأَدَبَ بلغَ مبلغَ الرجالِ ، ومن حُرِّمَ الأَدَبُ
فهو بعيدٌ من حيثُ يظُنُّ القربَ ، ومردودٌ من حيثُ
يرجوُ القبولَ ، وقيلَ من حُرِّمَ الأَدَبُ حُرِّمَ جوامعُ
الخيرات . وقالَ أبو بكر (٢) الكتاني : التصوُّفُ خُلُقٌ
فمن زادَ عليكَ في الخُلُقِ زادَ عليكَ في التصوُّفِ ،
ولمَّا قالَ الجنيدُ (٣) لأبي حفص (٤) الحدادَ رحمهما الله :

(١) هو أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد ، من أهل بغداد ، كان عالماً
وفقيهاً صوفياً ، توفي سنة (٣٠٣هـ) ، ترجمته في حلية الأولياء
٢٩٦/١٠ ، الرسالة القشيرية ص ٢٠ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني ، بغدادى الأصل من
أصحاب الجنيد ، توفي سنة (٣٢٢هـ) . ترجمته في حلية الأولياء
٣٥٧/١٠ ، الرسالة القشيرية ص ٢٦ ، شذرات الذهب ٢/٢٩٦ .

(٣) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد ، كان أبوه يبيع الزجاج ، كان
فقيهاً وصوفياً مشهوراً ، ويعتبر سيد المتصوفين وإمامهم ، توفي سنة
(٢٩٧هـ) . ترجمته في حلية الأولياء ١٠/٢٥٥ ، الرسالة القشيرية
ص ١٨ .

(٤) هو أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد ، أصله من قرية قرب
نيسابور ، كان إماماً زاهداً ، توفي سنة (٢٦٢هـ) . ينظر الرسالة
القشيرية ص ١٧ .

أَدَبٌ أَصْحَابَكَ أَدَبَ السَّلَاطِينِ ، قَالَ : لَا يَا أَبَا الْقَاسِمِ وَلَكِنْ حَسَنُ الْأَدَبِ فِي الظَّاهِرِ عِنْدَ حَسَنِ الْأَدَبِ فِي الْبَاطِنِ ، وَقَالَ السَّرِّي^(١) : (حَسَنُ الْأَدَبِ تَرْجَمَانُ الْعَقْلِ)^(٢) ، وَمِرَاعَاةُ الْأَدَبِ فِيمَا بَيْنَ الْمُحَقِّقِينَ مُقَدِّمٌ عَلَى غَيْرِهِ ، أَلَا تَرَى كَيْفَ مَدَحَ اللَّهُ أَهْلَهُ وَشَرَّفَ مُحَلِّثَهُمْ بِقَوْلِهِ : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)^(٣) ، وَأَخْرَجَ الْخَطِيبُ فِي الْجَامِعِ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ مُحَمَّدٍ قَالَ : (رَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى وَأَصْحَابَهُ يُعَظِّمُونَهُ وَيَسُوِّدُونَهُ وَيُشَرِّفُونَهُ مِثْلَ الْأَمِيرِ)^(٤) . وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْمُوصَلِيِّ قَالَ : (رَأَيْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَكَانَ بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْأَعْظَامِ لَهُ وَالتَّوْقِيرُ لَهُ ، وَإِذَا رَفَعَ أَحَدٌ صَوْتَهُ صَاحُوا بِهِ)^(٥) . وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَرْمَلَةَ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ : (مَا كَانَ إِنْسَانٌ يَجْتَرِي عَلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَبِّبِ [٨١و] بِمَسْأَلَةٍ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ كَمَا يُسْتَأْذَنُ الْأَمِيرُ)^(٦) .

(١) هو أبو الحسن سَرِّي بن المغلِّس السَّقَطِي ، خال الجَنِيدِ وَاسْتَاذُهُ ، وَيَعْدُ إِمَامَ الْبَغْدَادِيِّينَ وَشَيْخَهُمْ فِي وَقْتِهِ ، تَوَفَّى فِي بَغْدَادَ سَنَةَ (٢٥١هـ) .
تَرْجَمَتُهُ فِي حُلِيِّ الْأَوَّلِيَاءِ ١١٦/١٠ ، الرِّسَالَةُ الْقَشِيرِيَّةُ ص ١٠ ،
شَذَرَاتُ الذَّهَبِ ١٢٧/٢ .

(٢) حُلِيُّ الْأَوَّلِيَاءِ ١٢٤/١٠ .

(٣) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ آيَةُ : ٣ .

(٤) الْجَامِعُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ ١١٨/١ .

(٥) الْجَامِعُ ١١٨/١ .

(٦) الْجَامِعُ ١٢٠/١ .

وعن أبي عاصِل : (كُنَّا عِنْدَ ابْنِ عَوْنٍ^(١) ، وَهُوَ يَحْدُثُ فَمَرَّ بِنَا إِبْرَاهِيمَ^(٢) بَنِ عَبْدِ اللَّهِ بَنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ فِي مَوَكِبِهِ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ يُدْعَى أَمَامًا بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، فَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يَلْتَفِتَ فَيَنْظُرَ إِلَيْهِ فَضَلًّا عَنْ أَنْ يَقُومَ هَيْبَةً لَابْنِ عَوْنٍ)^(٣) .

وعن إِسْحَاقَ الشَّهِيدِي : (كُنْتُ أَرَى يَحْيَى الْقَطَّانَ^(٤) يَصِلِّيَ الْعَصْرَ ثُمَّ يَسْتَنْدُ إِلَى أَصْلِ مَنَارَةِ مَسْجِدِهِ ، فَيَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلِيٌّ بْنُ الْمَدِينِيِّ ، وَالشَّاذْكَوْنِيُّ ، وَعَمْرُو^(٥) بْنُ عَلِيٍّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ، وَيَحْيَى^(٦) بْنُ مَعِينٍ ، وَغَيْرُهُمْ يَسْأَلُوهُ عَنِ الْحَدِيثِ ، وَهُمْ قِيَامٌ عَلَى أَرْجُلِهِمْ إِلَى أَنْ تَحِينَ صَلَاةُ الْمَغْرِبِ ، لَا يَقُولُ لَوَاحِدٍ مِنْهُمْ

(١) هُوَ الْحَافِظُ أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ عَوْنٍ السَّلْمِيُّ الْوَاسِطِيُّ الْبَزَارِيُّ ، تَوَفَّى سَنَةَ (٢٢٥هـ) ، تَرْجُمَتُهُ فِي تَذَكُّرَةِ الْحَفَافِ ١٣/٢ .

(٢) هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، أَحَدُ الْأَشْرَافِ ، ثَارَ عَلَى الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ اسْتَوْلَى عَلَى الْبَصْرَةِ وَالْأَهْوَازِ وَفَارَسَ وَهَاجَمَ الْكُوفَةَ وَقَتَلَ فِي الْمَعْرَكَةِ سَنَةَ (١٤٥هـ) تَرْجُمَتُهُ فِي تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ ٦٢٢/٧ ، الْكَامِلُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٥٦٠/٥ .

(٣) الْجَامِعُ ١٢٠/١ .

(٤) هُوَ أَبُو سَعِيدٍ يَحْيَى بْنُ سَعِيدِ بْنِ فُرُوحِ الْقَطَّانِ التَّمِيمِيِّ ، كَانَ حَافِظًا ثَقَّةً ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٩٨هـ ، تَرْجُمَتُهُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ ، تَذَكُّرَةُ الْحَفَافِ ٢٧٤/١ .

(٥) هُوَ أَبُو حَفْصٍ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ بْنِ بَحْرِ السَّقَاءِ الْغَلَّاسِ ، كَانَ حَافِظًا لِلْحَدِيثِ ثَقَّةً ، تَوَفَّى سَنَةَ (٢٤٩هـ) ، تَرْجُمَتُهُ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ ٨٠/٨ ، الْأَعْلَامُ ٢٥٤/٥ .

(٦) هُوَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ بْنُ عَوْنٍ بْنِ زِيَادِ الْمُرِّيِّ بِالْوَلَاءِ كَانَ أَمَامًا وَمُحَدِّثًا وَمُؤَرِّخًا لِرِجَالِ الْحَدِيثِ ، تَوَفَّى سَنَةَ (٢٣٣هـ) ، تَرْجُمَتُهُ فِي تَذَكُّرَةِ الْحَفَافِ ١٨/٢ ، تَارِيخِ بَغْدَادَ ١٧٧/١٤ ، الْأَعْلَامُ ٢١٨/٩ .

اجلس° ، ولا يجلسون هيبةً وإعظاماً (١) ، وسيأتي في
الذكر الخامس عشر من القسم الثاني قول ابن عباس
في قصة أخذه بركاب أبي بن كعب : (إنّه ينبغي
للجبر أن يُظَمَّ ويُشَرَّفَ) (٢) ، وقد عقد الدارمي
باباً لتوقير العلماء ، ورؤي فيه عن حبيب بن صالح ،
قال : (ما خفتُ أحداً من النَّاسِ مخافةَ خالد (٣) بن
معدان) (٤) .

وعن مغيرة قال : (كُنَّا نهابُ إبراهيم (٥) - يعني
النخعي - هيبةَ الأمراء) (٦) ، وقال الشافعي :
(كنتُ أصفحُ الورقةَ بين يدي مالك صفحاً رفيقاً لئلا
يسمعَ وقعها) (٧) ، وقال الربيع : (والله ما اجترأتُ
أنْ اشربَ الماءَ والشافعي ينظرُ اليَّ هيبةً له) (٨) ،

(١) الجامع ١٢٠/١ .

(٢) الجامع ١٢٤/١ .

(٣) هو أبو عبدالله خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي ، كان ثقةً
زاهداً عابداً ، توفي سنة (١٠٤هـ) ، تهذيب بن عساكر ٨٦/٥ ،
الاعلام ٣٤٠/٢ .

(٤) مسند الدارمي ٩٢/١ .

(٥) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود النخعي ، من
مذحج ، كان من اكابر التابعين صدقاً وصلاً وحفظاً وروايةً للحديث ،
توفي سنة (٩٦هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٢١٩/٤ ، الاعلام ٧٦/١ .

(٦) الجامع ١١٩/١ .

(٧) مناقب الشافعي ١٤٤/٢ ، شرح المذهب ٦١/١ .

(٨) مناقب الشافعي ١٤٥/٢ ، شرح المذهب ٦١/١ .

(وحضرَ بعضُ 'أولاد الخليفة المهدي عندَ شريك' (١) ، فاستندَ إلى الحائط ، وسأله عن حديث فلم يلتفتَ إليه شريك ثم أعادَ فعادَ شريك بمثل ذلك ، فقال : أتستخفُ [٨١ظ] بأولاد الخلفاء ؟ قال : لا ولكنَّ العلمَ أَجَلٌ عندَ الله من أنْ أَضِيْعَهُ ، ويروى العلمُ أَزِينٌ عندَ أهله من أنْ يَضِيْعُوهُ ، فجثى ابنُ الخليفة المهدي على ركبتيه ، فقال شريك : هكذا يُطَلَّبُ العلمُ (٢) ، وينبغي أنْ لا يُخاطبَ شيخه بقاءَ الخطابِ وكافة ، ولا يناديه من بعيد ، بل يقول : يا سيدي ، ويا استاذ ، وقال الخطيبُ : (يقول : أيُّها العالمُ وأَيُّها الحافظُ ، ونحو ذلك) (٣) ، وما تقولونَ في كذا ؟ وما رأيكم في كذا ؟ أو شبه ذلك ، ولا يسمِّيه في غيبته أيضاً باسمه إلاَّ مقروناً بما يُشعرُ بتعظيمه كقوله : قال الشيخُ 'الاستاذُ كذا ، أو قال شيخنا ، أو قال حجةُ الاسلامُ ونحو ذلك .

الرابع (٤) أنْ يعرفَ له حقه ولا ينسى له فضله . قال شعبة : كنتُ إذا سمعتُ من الرجلِ

(١) هو ابو عبدالله شريك بن عبدالله النخعي ، القاضي الكوفي ، أحد الأئمة الاعلام ، كان فقيهاً ومحدثاً ، توفي سنة (١٧٧هـ) ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢١٤/١ .

(٢) شرح المذهب ٦١/١ ، وفيه قال حمدان بن الاصفهاني كنت عند شريك فأثاه بعض اولاد المهدي ٠٠٠ الخ ، ونفس الكلام المصنف في الجامع ١٣٢/١ .

(٣) الجامع للخطيب البغدادي ١١٨/١ .

(٤) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم وزاد عليه حديث الطبراني ص ٩٠ .

الحديث كنت له عبداً ما حيي ، وقال : ما سمت من أحد شيئاً إلا واختلفت إليه أكثر مما سمعت منه .
وعن أبي امامة الباهلي مرفوعاً : (من علم عبداً آية من كتاب الله فهو مولاه ، ولا ينبغي أن يخذله ولا يستأثر عليه) (١) . رواه الطبراني في الكبير ، ومن ذلك أن يعظم حضرته ويرد غيبته ، ويغضب لها ، فإن عجز عن ذلك قام وفارق ذلك المجلس . وينبغي أن يدعو له مدة حياته ، ويرعى ذريته وأقاربه وأوداءه (٢) بعد وفاته ، ويتعاهد زيارة قبره والاستغفار له والصدقة عنه ، ويسلك في السمات والهدى مسلكه ، ويراعي في العلم والدين عاداته ، ويقتدي بحركاته وسكناته في عاداته وعباداته ، ويتأدب بأدابه ، ولا يدع الاقتداء به .

الخامس (٣) أن يصب على جفوة [٨٢و] تصدر من شيخه ، أو سوء خلق ولا يصدده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته ، ويتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل ، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار ، وينسب الموجب إليه ، ويجعل العتب فيه إليه ، فإن ذلك أبقى لمودة شيخه ، وأحفظ لقلبه ، وأنفع للطالب في دنياه وآخرته .

(١) الحديث في المعجم الكبير للطبراني ١٣١/٨ .

(٢) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) (اولاده) وهو تحريف .

(٣) النوع الخامس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٩١-٩٢ ،

مع زيادة قليلة من عنده .

وعن بعض السلف (من لم يصبر على ذلّ
التعليم بقى عمره في عماية الجهالة ، ومن صبر عليه
آل أمره إلى عزّ الدنيا والآخرة) (١) . ول بعضهم (٢) :
اصبر لِدَائِكَ إنْ جَفَوْتَ طَبِيبَهُ
واصبر لجهلك إنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا

وعن ابن عباس: (ذلتُ طالباً فعززتُ مطلوباً) (٣) .
وروى الدارمي عن أبي سلمة قال : (لو رفقتُ بابن
عباس لأصبتُ منه علماً كثيراً) (٤) . وقال معافى بن
عمران (٥) : (مثَلُ الذي يغضبُ على العالمِ مثلُ الذي
يغضبُ على اساطينِ الجامعِ) (٦) . وقال الشافعي :
(قيلَ لسفيان بن عيينة إنَّ قومًا يأتونكَ من أَقطارِ
الأرضِ تغضبُ عليهم ، يوشكُ أنْ يذهبوا ويتركوكَ ،
فقالَ للقائلِ : هم حمقى إذاً مثلكَ إنْ تركوا ما ينفعهم
لسوءِ خُلُقِي) (٧) . وقال أبو يوسف رحمه الله :

(١) شرح المذهب ٦٣/١ .

(٢) هذا البيت الثاني من بيتين ذكرهما الراغب الاصبهاني في محاضرات
الادباء ٥٣/١ .

(٣) شرح المذهب ٦٣/١ .

(٤) مسند الدارمي ١١٥/١ .

(٥) هو أبو مسعود معافى بن عمران الأزدي الموصلّي ، من مشايخ
الجزيرة في وقته ، كان حافظاً للحديث ثقة مصنفاً توفي سنة (٨٥هـ) .
ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢٦٤/١ ، تاريخ بغداد ٢٢٦/١٣ ،

الجامع ١٥٧/١ .

(٧) مناقب الشافعي ١٤٦/٢ ، الجامع ١٥٧/١ .

(خمسة) يجب على النَّاسِ مداراتهم ، وعدَّ منهم العالمَ
ليُقتَبَسَ من علمه (١) .

السادس (٢) أنَّ يشكرَ الشيخَ على توقيفه على
ما فيه فضيلةً ، وعلى توبيخه على ما فيه نقيصةً ،
أو على كسلٍ يعتريه ، أو قصورٍ يعانیه ، أو غيرِ
ذلكَ مما في أيقافه عليه ، وتوبيخه وإشاده [٨٢ ظ]
وصلاحه ، ويعدُّ ذلكَ من الشيخِ من نعمِ الله تعالى
عليه باعتناء الشيخِ به ونظره إليه ، فإنَّ ذلكَ
أميلُ لقلبِ الشيخِ ، وأَبْعَثُ على الاعتناء بمصالحه .
وإذا أوقفه الشيخُ على دقيقةٍ من أدبٍ ، أو نقيصةٍ
صدرت منه ، وكان يعرفه من قبلُ فلا يُظهرُ أنَّه
كان عارفاً به ، وغفلَ عنه ، بل يشكرُ الشيخَ على
إفادته ذلكَ وإعتناؤه بأمره ، فإنَّ كانَ له في ذلكَ
عذرٌ ، وكانَ اعلامُ الشيخِ به أَصلحَ ، فلا بأسَ به
وإلاَّ تركه إلاَّ أن يترتبَ على تركِ بيانِ العذرِ مفسدةٌ
فيتعيَّنُ اعلامه به .

السابع (٣) أنَّ لا يدخلَ على الشيخِ في غيرِ المجلسِ
العامِ إلاَّ باستئذانٍ سواءَ كانَ الشيخُ وحدهُ أو معه
غيره . وفي مسند الدارمي عن الزُّهري قال : (كنتُ
آتي بابَ عروة ، فاجلسُ بالبابِ ، ولو شئتُ أنَّ

(١) الجامع ١ / ٦٥٦ .

(٢) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٩٢-٩٣ .

(٣) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٩٣-٩٧ .

أَدْخَلَ لَدَخْلَتْ ، وَلَكِنْ إِجْلَالاً لَهُ (١) .

فَإِنْ اسْتَأْذَنَ بِحَيْثُ يَعْلَمُ الشَّيْخُ وَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ
انْصَرَفَ ، وَلَا يَكْرَهُ الْأَسْتِئْذَانُ ، وَإِنْ شَكَّ فِي عِلْمِ
الشَّيْخِ بِهِ فَلَا يَزِيدُ فِي الْأَسْتِئْذَانِ فَوْقَ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ ،
أَوْ ثَلَاثِ طُرُقَاتٍ بِالْبَابِ ، أَوِ الْحَلَقَةِ ، وَلِيَكُنْ طَرُقُ
الْبَابِ خَفِيفًا بِأَدَبٍ بِظَفَارِ الْأَصَابِعِ ، ثُمَّ بِالْأَصَابِعِ ،
ثُمَّ بِالْحَلَقَةِ قَلِيلًا قَلِيلًا ، فَإِنْ كَانَ الْمَوْضِعُ بَعِيدًا عَنِ
الْبَابِ وَالْحَلَقَةِ ، فَلَا بِأَسْرِ بَرْفَعِ ذَلِكَ بِقَدَرِ مَا يَسْمَعُ
لَا غَيْرُ ، وَإِذَا أَدْنَى وَكَانُوا جَمَاعَةً يُقَدِّمُ أَفْضَلَهُمْ
وَأَسَنَّهُمْ بِالدُّخُولِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَسَلِّمُ عَلَيْهِ
الْأَفْضَلُ فَالْأَفْضَلُ . وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلَ عَلَى الشَّيْخِ
كَامِلَ الْهَيْئَةِ مُتَطَهِّرَ الْبَدَنِ وَالثِّيَابِ نَظِيفَهُمَا بَعْدَ
مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ [٨٣و] مِنْ أَخَذِ ظَفَرٍ وَشَعْرٍ ، وَقَطْعِ
رَائِحَةِ كَرِيهَةٍ لِأَسِيْمَا إِنْ كَانَ يَقْصُدُ مَجْلِسَ الْعِلْمِ ،
فَإِنَّهُ مَجْلِسُ ذِكْرِ وَاجْتِمَاعٍ فِي عِبَادَةٍ ، وَمَتَى دَخَلَ
عَلَى الشَّيْخِ فِي غَيْرِ الْمَجْلِسِ الْعَامِ ، وَعِنْدَهُ مَنْ يَتَحَدَّثُ
مَعَهُ فَسَكَتُوا مِنَ الْحَدِيثِ ، أَوْ دَخَلَ وَالشَّيْخُ وَحْدَهُ
يُصَلِّي ، أَوْ يَذْكُرُ ، أَوْ يَكْتُبُ ، أَوْ يَطَالِعُ فَتَرَكَ ذَلِكَ
أَوْ سَكَتَ وَلَمْ يَبْدَأْهُ بِكَلَامٍ ، أَوْ بَسَطَ حَدِيثَ ،
فَلْيَسَلِّمْ وَيَخْرُجَ سَرِيعًا إِلَّا أَنْ يَحْتَهُ الشَّيْخُ عَلَى
الْمَكْثِ ، وَإِذَا مَكَّثَ فَلَا يَطِيلُ إِلَّا أَنْ يَأْمُرَهُ بِذَلِكَ .
وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْخُلَ عَلَى الشَّيْخِ أَوْ يَجْلِسَ عِنْدَهُ وَقَلْبُهُ
فَارِغٌ مِنَ الشَّوَاغِلِ لَهُ ، وَذَهْنُهُ صَافٍ ، لَا فِي حَالِ
نَفَاسٍ أَوْ غَضَبٍ ، أَوْ جُوعٍ شَدِيدٍ ، أَوْ عَطَشٍ وَنَحْوِ

ذلك ، لينشرح صدره ' لما يُقال ' ويعي ما يسمعه ' ،
 وإذا حضر مكان الشيخ فلم يجدّه ' جالساً انتظره ' كيلا
 يفوت على نفسه درسه ' ، فان كلّ درس يفوت
 لا عوض (١) له ' ، ولا يطرق عليه ليخرج اليه ، وإن
 كان نائماً صبر حتّى يستيقظ أو ينصرف ثم يعود ،
 والصبر خير له ' ، فقد روي كما سيأتي في القسم
 الثاني أنّ ابن عباس كان يجلس في طلب العلم على
 باب زيد بن (٢) ثابت حتّى يستيقظ فيقال له ' ألا
 نوقظه لك ؟ فيقول : لا وربّما طال مقامه ' وقرعته
 الشمس ' ، وكذلك كان السلف يفعلون ، ولا يطلب
 من الشيخ اقراءه في وقت يشق عليه فيه ، أو لم
 تجري عادته بالأقراء فيه ، ولا يخترع (٣) عليه وقتاً
 خاصاً به دون غيره ، وإن كان رئيساً أو كبيراً ، لما
 فيه من الترفع والحق على الشيخ والطلبة والعلم ،
 وربّما استحيى الشيخ منه ' فترك لاجله ما هو أهمّ
 [٨٣ظ] عنده في ذلك الوقت ، فلا يفلح الطالب ، فان
 بدأه الشيخ بوقت معيّن أو خاص لعذر عائق له
 عن الحضور مع الجماعة ، أو لمصلحة رآها الشيخ فلا
 بأس بذلك .

الثامن (٤) أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب

(١) هذه الوصايا التربوية لو تمسك بها طلابنا الاعزاء لازدادوا علماً
 ومعرفة بالبحث والتتبع .

(٢) ينظر مسند الدارمي ١٤/١ - ١٥ .

(٣) كذا في المخطوطة ، ولعله : (يقترح) .

(٤) النوع الثامن أخذ معظمه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم
 ص ٩٧ - ١٠٠ . وأضاف عليه بعض الفقرات وخاصة في أخيره .

كما يجلس 'الصَّبِّي' بينَ يدي المقرئ ، أو متربعا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع ، ويصغي إلى الشيخِ ناظراً إليه ، ويُقبلُ بكلِّيته عليه ، متعقلاً لقوله بحيث لا يحوجهُ إلى إعادة الكلام مرةً ثانية .

فَعَنْ أَيُّوبَ قَالَ : (حَدَّثَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ يَوْمًا بِحَدِيثٍ ، فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَعَدَّتْهُ فَقَالَ : مَا كُلُّ سَاعَةٍ أُحْلَبُ فَاشْرَبُ) (١) ، وَلَا يَلْتَفْتُ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ ، أَوْ فَوْقَهُ ، أَوْ قَدَامَهُ لِغَيْرِ حَاجَةٍ ، وَلَا سِيماً عِنْدَ بَحْثِهِ لَهُ ، أَوْ عِنْدَ كَلَامِهِ مَعَهُ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْظُرَ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَضْطَرُّ لَصِيحَةٍ يَسْمَعُهَا أَوْ يَلْتَفْتُ إِلَيْهَا ، وَلَا سِيماً عِنْدَ بَحْثِهِ لَهُ ، وَلَا يَنْفُضُ كَمَّهُ ، وَلَا يَحْسِرُ عَنْ ذِرَاعِهِ ، وَلَا يَعْبَثُ بِيَدَيْهِ أَوْ رِجْلَيْهِ أَوْ غَيْرَهُمَا مِنْ أَعْضَائِهِ ، وَلَا يَضَعُ يَدَهُ عَلَى لَحْيَتِهِ أَوْ فَمِهِ ، أَوْ يَعْبَثُ بِهَا فِي أَنْفِهِ ، أَوْ يَسْتَخْرِجُ بِهَا مِنْهُ شَيْئًا ، وَلَا يَفْتَحُ فَاهَهُ ، وَلَا يَقْرَعُ سَنَّهُ ، وَلَا يَضْرِبُ الْأَرْضَ بِرَأْسِهِ ، أَوْ يَخْبِطُ عَلَيْهَا بِأَصَابِعِهِ ، وَلَا يَشْبِكُ بِيَدَيْهِ ، أَوْ يَعْبَثُ بِأَزْرَارِهِ ، وَلَا يَسْتَنْدُ بِحَضْرَةِ الشَّيْخِ إِلَى حَائِطٍ ، أَوْ مَخْدَعَةٍ ، أَوْ دَرَابِزِينَ (٢) ، أَوْ يَجْعَلُ يَدَهُ ، وَلَا يَعْطِي الشَّيْخَ جَنْبَهُ ، أَوْ ظَهْرَهُ ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى يَدِهِ (٤) إِلَى وَرَائِهِ ، أَوْ جَنْبِهِ ،

(١) الحديث ذكره الدارمي في مسنده ٩٢/١ ، وهو في الجامع ٥٣/٢ .

(٢) درابزين : ساقطة من (ب) .

(٣) درابزين : قوائم منتظمة يعلوها متكاء .

(٤) في (ب) : (يديه) ، وهو خطأ .

ولا يكثر 'كلامه' من غير حاجة ، ولا يحكي ما يضحك منه ، أو ما فيه بذاعة ، أو يتضمن 'سوء' مخاطبة ، أو سوء أدب [٨٤و] ، ولا يضحك لغير عجب ولا لعجب دون الشيخ ، فإن غلبه 'تبسم' تبسماً بغير صوت البتة .

فقد أخرج الخطيب عن عبدالرحمن بن عمر ، قال : (ضحك رجل في مجلس عبد الرحمن ^(١)) بن مهدي فقال : من ضحك فأشاروا إلى رجل ، فقال : تطلب العلم وأنت تضحك لا حدثتكم شهراً ^(٢)) .

وعن أحمد بن شيبان ^(٣) القطان : (كان عبد الرحمن ابن مهدي لا يتحدث في مجلسه ، ولا يبرأ فيه قلم ، ولا يتبسم أحد ، فإن تحدث أو برأ قلماً صاح ولبس نعليه ودخل ، وكذا كان يفعل ابن نمير ، وكان من أشد الناس في هذا ، وكان وكيع ^(٤) أيضاً في مجلسه كأنهم في صلاة ، فإن أنكر من أمرهم شيئاً انتعل ودخل ، وكان ابن نمير يغضب

(١) هو أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العبدي البصري ، ولد في البصرة سنة (١٣٥هـ) ، ودرس فيها وأصبح من كبار رجال الحديث وحفاظه ، توفي في البصرة سنة (١٩٨هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٣/٩ ، تاريخ بغداد ١٠/٢٤٠ .

(٢) النص من كتاب الجامع ١/١٢٨ .

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن شيبان بن أسد بن حبان القطان ، حافظ من رجال الحديث روى عنه أصحاب كتب الحديث ، توفي في واسط سنة (٢٩٥هـ) ، ترجمته في شذرات الذهب ٢/١٣٧ ، الاعلام ١/١٣٠ .

(٤) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي ، كان حافظاً

وَيُصِيحُ ، وَكَانَ إِذَا رَأَى مِنْ يُبْرِي قَلَمًا تَغَيَّرَ
وَجْهَهُ (١) ، انْتَهَى .

وَلَا يُكْثِرُ التَّنَحُّجَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ، وَلَا يَبْصُقُ وَلَا
يَتَنَخَّعُ مَا أَمَكْنَهُ ، وَلَا يَلْفِظُ النَّخَامَةَ مِنْ فِيهِ ، بَلْ
يَأْخُذُهَا مِنْ فِيهِ بِمَنْدِيلٍ أَوْ خِرْقَةٍ ، أَوْ طَرَفِ ثَوْبِهِ ،
وَيَتَعَاهَدُ تَغْطِيَةَ أَقْدَامِهِ ، وَإِرْخَاءَ ثِيَابِهِ ، وَسُكُونَ
بَدَنِهِ عِنْدَ بَحْثِهِ ، أَوْ مَذَاكِرَتِهِ ، وَإِذَا عَطَسَ خَفَضَ
صَوْتَهُ جَهْدَهُ ، وَسَتَرَ وَجْهَهُ بِمَنْدِيلٍ وَنَحْوِهِ ، وَإِذَا
تَثَاوَبَ سَتَرَ فَاَهُ بَعْدَ رَدِّهِ جَهْدَهُ .

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (مِنْ حَقِّ الْعَالَمِ
عَلَيْكَ أَنْ تَسَلِّمَ عَلَى الْقَوْمِ عَامَةً وَتَخْصُهُ بِالتَّحِيَّةِ ،
وَأَنْ تَجْلِسَ أَمَامَهُ ، وَلَا تُشِيرَنَّ عِنْدَهُ بِيَدِكَ ، وَلَا
تَغْمِزَنَّ بَعَيْنِكَ غَيْرَهُ ، وَلَا تَقُولَنَّ : قَالَ فُلَانٌ خِلَافَ
قَوْلِهِ ، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا ، وَلَا تَطْلُبَنَّ عَشْرَتَهُ ،
وَإِنْ زَلَّ قَبْلَكَ مَعْدِرَتُهُ [٨٤ظ] ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُوقِرَهُ
لِلَّهِ تَعَالَى ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ سَبَقَتْ الْقَوْمَ إِلَى
خِدْمَتِهِ ، وَلَا تُسَارِ فِي مَجْلِسِهِ ، وَلَا تَأْخُذْ بِثَوْبِهِ ، وَلَا
تَلَحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسَلَ ، وَلَا تَشْبَعْ مِنْ طَوْلِ صُحْبَتِهِ ،
فَإِنَّمَا هُوَ كَالنَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا
شَيْءٌ) (٢) .

محدثاً ثبوتاً ، له مؤلفات كثيرة في السنن والتفسير والتاريخ ، توفي
سنة (١٩٧هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٣٦٨/٨ ، تاريخ بغداد
٤٦٦/١٣ ، مفتاح السعادة ١١٧/٢ ، هدية العارفين ٥٠٠/٢ .

(١) النص ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ١٢٨/١ .

(٢) الكلام في الجامع ١٣٣/١ ، وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن
عبد البر ص ٧٦ .

وإنَّ المؤمنَ العالمَ لأعظمُ أَجراً من الصائمِ القائمِ
الغازي في سبيلِ الله ، وإذا ماتَ العالمُ انثلمتْ في
الأسلامِ ثلثةٌ لا يسدُّها شيءٌ إلى يومِ القيامةِ (١) .
أُخرجهُ الخطيبُ في الجامعِ ، ولقد جمعَ رَضِيَ اللهُ
عنهُ في هذهِ الوصيَّةِ ما فيهِ مقنعٌ .

قالَ بعضهم : ومن تعظيمِ الشَّيخِ ألاَّ يُجلِسَ
إلى جانبِهِ ولا على مُصَلَّاهُ ، أو وسادتهُ ، وإنَّ أَمْرَهُ
الشَّيخُ بذلكَ فلا يفعلهُ إلاَّ إذا جزمَ عليهِ جزمًا يشقُّ
عليه مخالفتُهُ ، فلا بأسَ بامثالِ أَمْرِهِ في تلكَ الحالِ ،
ثم يعودُ إلى ما يقتضيه الأَدبُ ، وقد تكلَّمَ النَّاسُ في
أيِّ الأمرينِ أَوَّلَى أَن يُعتمدَ امثالُ الأمرِ ، أو
سلوكِ الأَدبِ ، والذي يترجَّحُ ما تقدَّم من التفضيلِ .
قاله البدرُ بن جماعة ، قالَ : فإنَّ جزمَ الشَّيخِ بما
أَمَرَ بهِ بحيثُ يشقُّ عليهِ مخالفتُهُ ، فامثالُ الأمرِ
أَوَّلَى وإلاَّ فسلكِ الأَدبِ أَوَّلَى لجوازِ أَن يُقصدَ
الشَّيخُ جبرَهُ وإظهارَ احترامِهِ والاعتناءَ بهِ ، فيقابلُ
هو ذلكَ بما يجبُ من تعظيمِ الشَّيخِ والأَدبِ
معَهُ (٢) . وقد أخرجَ الخطيبُ : (عن إدريس بن
عبدالكريم قالَ : قالَ لي سلمةُ بن عاصم (٣) : أريدُ

(١) الجامع ١٣٣/١ ، وهو في الفقيه والمتفقه للبغدادى ٩٩/٢ .

(٢) الى هنا انتهى كلام البدر بن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠٠ .

(٣) هو ابو محمد سلمة بن عاصم النحوي ، عالم بالعربية والقرآن
والحديث ، توفي سنة ٣١٠ هـ ، ترجمته في انباء الرواة ٥٦/٢ ،
كشف الظنون ص ١٧٢٠ ، الاعلام ١٧٢/٣ .

أَنْ أَسْمَعَ كِتَابَ الْعَدَدِ مِنْ خَلْفٍ ، فَقُلْتُ لَخَلْفٍ ،
 قَالَ : فليجئ ، فلمَّا دَخَلَ رَفَعَهُ 'لَأَنْ يَجْلِسَ فِي الصَّدْرِ
 فَأَبَى ، وَقَالَ : لَا أَجْلِسُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَقَالَ هَذَا
 حَقُّ التَّعْلِيمِ ، فَقَالَ لَهُ 'خَلْفٌ' : جَاءَنِي [٨٥و] أَحْمَدُ بْنُ
 حَنْبَلٍ يَسْمَعُ حَدِيثَ أَبِي عَوَانَةَ ، فَاجْتَهَدْتُ أَنْ أَرْفَعَهُ
 فَأَبَى وَقَالَ : لَا أَجْلِسُ إِلَّا بَيْنَ يَدَيْكَ ، أُمِرْنَا أَنْ
 نَتَوَاضَعَ لِمَنْ نَتَعَلَّمُ مِنْهُ' (١) .

وعن عبد الله بن المعتز : (المتواضع من طلاب
 العلم أكثرهم علماً ، كما أَنَّ المكانَ المنخفضَ أكثرُ
 البقاعِ ماءً) (٢) .

وإذا دعا الشيخُ أوَّلَ الدَّرْسِ للحاضرينَ على
 العادة ، أَجَابُوهُ بالدُّعَاءِ أَيْضاً ، وَكَانَ بَعْضُ أَكْبَرِ
 الْأَعْلَامِ يَزْبُرُ (٣) تَارِكاً ذَلِكَ وَيَغْلِظُ عَلَيْهِ .

التاسعُ (٤) أَنَّ يُحَسِّنَ خُطَابَهُ معَ الشَّيْخِ بِقَدْرِ
 الْإِمْكَانِ ، وَلَا يَقُولُ لَهُ : لِمَ ؟ وَلَا لَا نَسْلَمُ ، وَلَا مَنْ يَقُلْ
 هَذَا ، وَلَا آيْنَ مَوْضِعُهُ ، وَشَبَهَ ذَلِكَ .

وعن حبيب بن أبي ثابت قال : (كُنَّا عِنْدَ سَعِيدِ
 ابْنِ جَبْرِ فَحَدَّثَ بِحَدِيثٍ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَنْ حَدَّثَ

(١) الجامع للخطيب البغدادي ١٣٢/١ .

(٢) الجامع ١٣٣/١ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٣ .

(٣) في (ب) : يزجر ، وكلا اللفظين يدل على المنع والنهي . ينظر
 القاموس المحيط (زجر) .

(٤) النوع التاسع معظمه من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠١-١٠٤ .

هذا؟ أَوْ مِمَّنْ سَمِعْتَ هَذَا؟ فغضبَ ، ومنعنا حديثه حتَّى قامَ (١) ، رواه الدارمي ، فإنَّ أرادَ استفادته تَلَطَّفَ في الوصولِ إلى ذلكَ ، ثم هو في مجلسٍ آخرٍ أَولى على سبيلِ الأِستفادَةِ .

وعن بعض السَّلفِ : من قالَ لشيخه : لِمَ لا يفلحُ أبدأً ، وإذا ذَكَرَ شيئاً فلا يقلُّ هكذا قلتُ : أَوْ خطرَ لي ، أَوْ سَمِعْتُ ، أَوْ هكذا قالَ فلانٌ إِلَّا أَن يَعْلَمَ إِثَارَ الشَّيْخِ ذَلِكَ ، وهكذا لا يقولُ : قالَ فلانٌ هذا ، أَوْ رَوَى فلانٌ خلافةً ، أَوْ هذا غيرُ صحيحٍ ، ونحو ذلكَ .

وإذا أَصَرَ الشَّيْخُ على قولٍ ، أَوْ دليلٍ لم يظهرْ له ، أَوْ على خلافِ صوابٍ سهواً ، فلا يغيِّرُ وجهه ، أَوْ عينه ، أَوْ يَشِيرُ إلى غيره كالمنكرِ لما قاله ، بل يأخذُه بِبُشْرٍ ظاهِرٍ ، وإن لم يكنِ الشَّيْخُ مصيباً لغفلةً ، أَوْ سهوٍ ، أَوْ قصورٍ نظرٍ [٨٥ظ] في تلكِ الحالِ ، فإنَّ العصمةَ في البشرِ لِلأَنْبياءِ صلواتِ اللَّهِ وسلامه عليهم ، وليتَحَفَّظَ من مخاطبةِ الشَّيْخِ بما يعتادُ بعضُ النَّاسِ في كلامه ، ولا يليقُ خطابُه بهِ مثلَ ايش (٢) بك ، وفهمت ، وسَمِعْتُ ، وتدرى ، ويا انسانُ ونحو ذلكَ لا يحكي له ما خوطِبَ بهِ غيره مِمَّا لا يليقُ خطابُ الشَّيْخِ بهِ وإنَّ كانَ حاكياً ، مثل

(١) مسند الدارمي ٩٢/١ .

(٢) (ايش بك) كلمة عامية ، وهي منقولة من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠٢ .

قال فلان" لفلان : أَنتَ قليلُ البرِّ ، وما عندك خيرٌ
وشبهَ ذلكَ ، بل يقولُ إذا أرادَ الحكايةَ ما جرتِ
العادةُ بالكنايةِ ، مثلَ قالَ فلانٌ لفلان : ألا بعدُ قليلُ
البرِّ ، وما عندَ البعيدِ خيرٌ وشبهَ ذلكَ .

ويتحفَّظُ من مفاجأةِ الشَّيخِ بصورةٍ ردِّ عليه ،
فإنَّه يُقعُ مِمَّنْ لا يحسنُ الأدبَ من النَّاسِ كثيراً ،
مثلَ أنَّ يقولَ له الشَّيخُ : مرادُكَ في سؤالِكَ كذا ،
أو خطرَ لك كذا ، فيقولُ : لا ، أو ما هذا مرادي ، أو
ما خطرَ لي هذا ، وشبهَ ذلكَ ، بل طريقه أن يتلطَّفَ
بالمكاسرةِ عن الردِّ على الشَّيخِ ، وكذلك إذا استفهمه
الشَّيخُ استفهامَ تقريرٍ وجزمٍ ، كقوله : أَلَمْ تقلْ
كذا ، أو ليس مرادُكَ كذا ؟ فلا يبادرُ بالردِّ عليه
بقوله : لا ، أو ما هو مرادي بل يسكتُ أو يُورِّي عن
ذلكَ بكلامٍ لطيفٍ يفهمُ الشَّيخُ قصدهُ منه ، فإن
لم يكن بدٌّ من تحريرِ قصدهِ وقوله فليقلْ : فأنا الآن
أقولُ كذا ، أو أعودُ إلى قصدِ كذا ، أو يُعيدُ كلامه ،
ولا يقلُ الذي قلتهُ (١) ، أو الذي قصدتهُ ، لتضمُّنه
الردِّ عليه ، وكذلك ينبغي أن يقولَ في موضعٍ (لِمَ)
و (لا نسلمُ) فإن قيلَ لنا كذا ، أو فإنْ مُنعنا ذلكَ .
أو فإنْ سئَلنا عن كذا ، أو فإنْ أُورِدَ كذا وشبهه
ذلكَ ، ليكون مستفهماً للجوابِ سائلاً له بحسنِ [٨٦و]
أدبٍ ولطفٍ عبارةٍ .

(١) هذه من الطرق المثلى في التربية الإسلامية ، وبهذه الطريقة خلفوا
لنا هذه الثروة العلمية العظيمة .

العاشر^(١) إذا سمع الشيخ يذكر حكماً في مسألة ، أو فائدة مستغربة ، أو يحكي حكاية ، أو ينشد شعراً ، وهو يحفظ ذلك أصغى إليه إصغاء مستفيد له في الحال متعطش إليه فرح به ، كأنه لم يسمعه قط .

قال عطاء^(٢) : (إنني لأسمع الحديث من الرجل ، وأنا أعلم به منه ، فأريه من نفسي أنني لا أحسن منه شيئاً)^(٣) . وعنه قال : (إن الشباب ليتحدث بحديث فاستمع له كأنني لم أسمع ، ولقد سمعته قبل أن يولد)^(٤) .

فان سألته الشيخ عند الشروع في ذلك عن حفظه له فلا يجيب بنعم لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه ، ولا يقل : لا لما فيه من الكذب ، بل يقول : أحب أن استفيد من الشيخ ، أو أن أسمع منه ، أو بعد عهدي ، أو هو من جهتك أصبح . فان علم من حال الشيخ أنه يؤثر العلم بحفظه له مسرة به ، أو أشار إليه باتمامه امتحاناً لضبطه ، أو حفظه ،

(١) النوع العاشر أكثره أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(٢) هو عطاء بن سالم بن صفوان ، كان عبداً اسود ، ولد في اليمن ، ونشأ بمكة ، وكان فقيهاً وزاهداً ومحدثاً ، توفي سنة (١١٥) . ترجمته في تذكرة الحفاظ ٩٢/١ ، حلية الاولياء ٣/٣١٠ ، الاعلام ٢٩/٥ .

(٣) الجامع ١٣٤/١

(٤) الجامع ١٣٤/١

أَوْ لَظَهَارِ تَحْصِيلِهِ ، فَلَا بَأْسَ بِاتِّبَاعِ عَرْضِ الشَّيْخِ
 إِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ وَازْدِيَاداً لِرَغْبَتِهِ فِيهِ . وَلَا يَنْبَغِي
 لِلطَّالِبِ أَنْ يَكْرُرَ سَوَآلَ مَا يَعْلَمُهُ ، وَلَا اسْتِفْهَامَ
 مَا يَفْهَمُهُ ، فَإِنَّهُ يُضَيِّعُ الزَّمَانَ ، وَرَبَّمَا أَضْجَرَ
 الشَّيْخَ . قَالَ الزُّهْرِيُّ : (إِعَادَةُ الْحَدِيثِ أَشَدُّ مِنْ
 نَقْلِ الصَّخْرِ) (١) .

وَيَنْبَغِي أَلَّا يَقْصُرَ فِي الْأَصْغَاءِ وَالتَّفْهِيمِ ، أَوْ
 يَشْغَلَهُ ذَهْنُهُ بِفِكْرٍ ، أَوْ حَدِيثٍ ، ثُمَّ يَسْتَعِيدُ الشَّيْخَ
 مَا قَالَهُ ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِسَاءَةٌ أَدَبٍ بَلْ يَكُونُ مُصْغِياً
 لِكَلَامِهِ ، حَاضِرَ الذَّهْنِ لِمَا سَمِعَهُ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ .
 وَكَانَ بَعْضُ الْمَشَايِخِ لَا يَعِيدُ لِمِثْلِ هَذَا إِذَا اسْتَعَادَهُ ،
 وَيُزَبِرُهُ عُقُوبَةً لَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَسْمَعْ كَلَامَ الشَّيْخِ لِبَعْدِهِ ،
 أَوْ لَمْ يَفْهَمْهُ مَعَ الْأَصْغَاءِ إِلَيْهِ وَالْأَقْبَالِ [٨٦ ظ] عَلَيْهِ ،
 فَلَهُ أَنْ يُسْأَلَ الشَّيْخَ إِعَادَتَهُ أَوْ تَفْهِيمَهُ ، بَعْدَ
 بَيَانِ عِذْرِهِ بِسَوَآلٍ لَطِيفٍ .

الْحَادِي (٢) عَشَرَ أَلَّا يُسْبِقَ الشَّيْخَ إِلَى شَرْحِ
 مَسْأَلَةٍ ، أَوْ جَوَابِ سَوَآلٍ مِنْهُ ، أَوْ مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَا
 يُسَآوِقَ فِيهِ ، وَلَا يُظْهِرَ مَعْرِفَتَهُ بِهِ ، أَوْ إِدْرَاكَهُ قَبْلَ
 الشَّيْخِ ، فَإِنْ عَرَضَ الشَّيْخُ عَلَيْهِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً ، أَوْ
 التَّمَسُّهُ مِنْهُ فَلَا بَأْسَ .

(١) ينظر تذكرة السامع والمتكلم ص ١١٦ .

(٢) النوع الحادي عشر أكثره من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠٦-١٠٨ .

وينبغي ألاّ يقطع على الشيخ كلامه أي كلام كان ، ولا يسابقه فيه ولا يساوقه ، بل يصبر حتى يفرغ الشيخ كلامه ، ثم يتكلم ، ولا يتحدث مع غيره ، والشيخ يتحدث معه ، أو مع جماعة المجلس .

وفي حديث هند بن أبي هالة في وصفه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : (أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ أَطْرَقَ جَلَسَاؤُهُ كَأَنَّهُ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرَ ، فَإِذَا سَكَتَ تَكَلَّمُوا) (١) . وليكن ذهنه حاضراً في جهة الشيخ بحيث إذا أمره بشيء ، أو سألته عن شيء ، أو أشار إليه لم يحوجه إلى عادته ثانياً بل يبادر إليه مسرعاً ، ولم يعاوده فيه ، أو يعترض عليه بقوله : فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَا .

الثاني عشر إذا ناوله الشيخ شيئاً يتناوله باليمين ، وإن ناوله شيئاً ناوله باليمين ، فإن كان ورقة يقرأها كفتياً ، أو قصة ، أو مكتوب شرعي ، ونحو ذلك نشرها ثم دفعها إليه ، ولا يدفعها إليه مطوية إلا إذا علم أو ظن إشارته الشيخ لذلك ، وإذا أخذ من الشيخ ورقة بادر إلى أخذها منشورة قبل أن يطويها ، أو يتربها .

(١) الجامع ١/٢٢٧ ، وهو في الفقيه والمتفقه ٢/١٢٣ .

(٢) النوع الثاني عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠٨ - ١١٠ وأضاف إليه بعض الإضافات .

وإذا ناولَ الشيخَ كتاباً ، ناوله ' إيَّاهُ مهيةً لفتحه ، أو القراءة فيه من غير احتياجٍ إلى إدارته ، فإن كانَ النظرُ في موضعٍ معيَّنٍ فليكنَ مفتوحاً كذلكَ ، ويعيَّنُ له المكانَ ، ولا يحذفُ إليه الشيءُ حذفاً من كتابٍ ، أو ورقة ، أو غير ذلكَ [٧٨و] ، ولا يمدُّ يديه إليه إذا كانَ بعيداً ولا يحوجُ الشيخُ إلى مدِّ يدهُ أَيْضاً ، لاخذٍ منه ، أو عطاءٍ ، بل يقومُ إليه قائماً ، ولا يزحفُ زحفاً ، وإذا جلسَ بينَ يديه لذلكَ فلا يتقرَّبُ منه قرباً كثيراً يُنسبُ فيه إلى سوءِ أدبٍ ، ولا يضعُ رجله ، أو يديه ، أو شيئاً من بدنه ، أو ثيابه على ثيابِ الشيخِ ، أو وسادته ، أو سجَّادته ، ولا يشيرُ إليه بيده أو يقرَّبُها من وجهه ، أو صدره ، أو يمسُّ بها شيئاً من بدنه ، أو ثيابه ، وإذا ناوله قلماً ليكتبَ به فليمدَّهُ (١) قبلَ إعطائه إيَّاهُ ، وإنْ وضعَ بينَ يديه دواةً فلتكنُ مفتوحةً الأغطية مهيةً للكتابة منها ، وإنْ ناوله سكيناً فلا يصوبُ إليه شفرتها ، ولا نصابها ويدهُ قابضةً على الشفرة ، بل يكونُ عرضاً وحدهً شفرتها إلى جهته ، قابضاً على طرفِ النَّصابِ ممّا يلي النصلَ ، جاعلاً نصابها على يمينِ الآخذِ . كذلكَ قالَ البدرُ .

وقد ناولتُ شيخنا العلامة الشمسَ الشرواني مرةً السكينَ ، فلم يتناولها منِّي ، وقالَ : ضعها فوضعتها

(١) هذه من الوصايا الهامة في التربية ، وقد كانت سبباً في التطور العلمي والادبي في تلك الفترة .

بين يديه ، فأخذها ، وقال : هي آلة القطع ، وآلة القطع لا تناول للمحبين .

وإن ناوله سجادة ليصلي عليها نشرها أولاً ، والأدب أن يفرشها هو عند قصد ذلك ، وإذا فرشها ثني مؤخر طرفها الأيسر كعادة الصوفيّة ، فإن كانت مثلثة جعل طرفيها إلى يسار المصلي ، وإن كان فيها صورة محراب تحرّى به جهة القبلة إن أمكن . ولا يجلس بحضرة الشيخ على سجادة ولا يصلي عليها إن كان المكان طاهراً . وإذا قام الشيخ بادر القوم إلى أخذ السجادة ، وإلى الأخذ بيده ، أو عضده إن احتاج ، وإلى تقديم نعله إن لم يشق ذلك على الشيخ ، ويقصد [٧٨ ظ] بذلك كله التقرب إلى الله تعالى ، وإلى قلب الشيخ وقيل أربعة لا يأنف الشريف منهن ، وإن كان أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته للعالم يتعلّم منه والسؤال عما لا يعلم ، وخدمته للضيف ، وسيأتي في القسم الثاني قول أبي معاوية (١) الضرير ، وقد صبّ الرشيد على يده عقب أكله معه : (جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين ، فما أكرمت إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم ، فقال الرشيد : صدقت إنما صببت على يدك لأنّها

(١) هو أبو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي مولاهم ، عمي وهو صغير ، كان حافظاً للحديث وراويّاً ، قال ابن المديني : روينا عن أبي معاوية الضرير ألف وخمسائة حديث . توفي سنة (١٩٥هـ) . ترجمته في تاريخ بغداد ٢٤٢/٥ ، البداية والنهاية ٢١٥/١٠ ، الاعلام ٣٤٥/٦ .

كَفَّ عَنْنَيْتُ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ (١) .

الثالث (٢) عشرَ إذا مشى مع الشيخ فليكن
أمامه بالليل وراءه بالنهار ، إلا أن يقتضي الحال
خلاف ذلك لرحمة ، أو غيرها ، ويتقدم عليه في
المواطيء المجهولة الحال ، لو حل ، أو خوض ، والمواطيء
الخطرة ، ويحترز من ترشيش ثياب الشيخ ، وإن
كان في زحمة صانه عنها بيديه ، إما من قدأمه أو
من ورائه .

وإذا مشى أمامه التفت إليه بعد كل قليل ،
فإن كان وحده والشيخ يكلمه حالة المشي ، وهما
في ظل فليكن عن يمينه ، وقيل عن يساره متقدماً
عليه قليلاً ملتفتاً إليه ، ويعرف الشيخ عن قرب
منه ، أو من قصده من الأعيان إن لم يعلم الشيخ
به . ولا يمشي إلى جانب الشيخ إلا لحاجة ، أو إشارة
منه ، ويحترز من مزاحمته بكتفه ، أو بركابه إن
كانا راكبين وملاصقة ثيابه ، ويؤثره بجهة الظل في
الصيف ، وبجهة الشمس في الشتاء ، وبجهة الجدار
في الرصفانات ونحوها ، وبالجهة التي لا تقرر
الشمس فيها وجهه إذا التفت إليه ، ولا يمشي بين
الشيخ وبين من يحدثه ، ويتأخر عنهما إذا تحدثا ،

(١) القصة بكمالها في البداية والنهاية ٢١٥/١٠ .

(٢) النوع الثالث عشر أخذ المصنف أكثره من تذكرة السامع والمتكلم
ص ١١٠ - ١١٢ .

أَوْ يَتَقَدَّمُ ، وَلَا يَقْرَبُ وَيَسْتَمَعُ ، وَلَا [٨٨] يَلْتَفِتُ ،
فَإِنْ ادْخَلَهُ فِي الْحَدِيثِ فَلْيَأْتِ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ، وَلَا
يَشُقْ بَيْنَهُمَا . وَإِذَا مَشَى مَعَ الشَّيْخِ اثْنَانِ فَارْتَفَاهُ ،
فَقَدْ رَجَّحَ بَعْضُهُمْ أَنَّ يَكُونَ أَكْبَرُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ ،
وَإِنْ لَمْ يَكْتَنِفَاهُ تَقَدَّمَ أَكْبَرُهُمَا وَتَأَخَّرَ أَصْغَرُهُمَا .
وَكَذَا عِنْدَ الدُّخُولِ ، قَالَ الْخَطِيبُ : وَإِنْ قَدَّمَ الْأكْبَرُ
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُ جَازَ ذَلِكَ وَكَانَ حَسَنًا .

قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مَنْصُورٍ (١) : كُنْتُ مَعَ يَحْيَى (٢)
ابْنِ يَحْيَى وَإِسْحَاقَ (٣) - يَعْنِي ابْنَ رَاهُويَةَ - يَوْمًا يَعُودُ
مَرِيضًا فَلَمَّا حَازَيْنَا الْبَابَ تَأَخَّرَ إِسْحَاقُ وَقَالَ لِيَحْيَى :
تَقَدَّمَ ، فَقَالَ يَحْيَى لِأَسْحَاقَ : تَقَدَّمَ أَنْتَ ، قَالَ :
يَا أَبَا زَكْرِيَّا أَنْتَ أَكْبَرُ مِنِّي قَالَ : نَعَمْ أَنَا أَكْبَرُ
مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ مِنِّي ، فَتَقَدَّمَ إِسْحَاقُ .

(١) هُوَ أَبُو مَغِيثِ الْحُسَيْنِ بْنُ مَنْصُورِ الْحَلَّاجِ ، فَارِسِي الْأَصْلِ ، نَشَأَ
بِوَاسِطِ صَحْبِ الْجَنِيدِ ، وَكَانَ صُوفِيًّا مَشْهُورًا قُتِلَ فِي بَغْدَادِ سَنَةِ
٣٠٩ هـ) تَرْجَمَتْهُ فِي طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ ص ٣٠٨ .

(٢) هُوَ أَبُو زَكْرِيَّا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّمِيمِيِّ
الْحَنْظَلِيِّ كَانَ مُحَدِّثًا وَرِعًا ثَقَّةً ، قَالَ عَنْهُ ابْنُ رَاهُويَةَ : مَاتَ وَهُوَ أَمَامُ
الدُّنْيَا ، تُوُفِيَ سَنَةَ (٢٢٦ هـ) . تَرْجَمَتْهُ فِي التَّهْذِيبِ ٢٩٦/١١ ،
مَرَاتِ الْجَنَانِ ٩١/٢ ، الْأَعْلَامُ ٢٢٣/٩ .

(٣) هُوَ أَبُو يَعْقُوبَ إِسْحَاقَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَنْظَلِيِّ التَّمِيمِيِّ
الْمُرُوزِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ رَاهُويَةَ ، أَحَدُ كِبَارِ الْحِفَظِ ، طَافَ فِي أَكْثَرِ
الْبِلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، أَخَذَ عَنْهُ الْأَمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ خَالٍ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ ، تُوُفِيَ سَنَةَ (٢٣٨ هـ) ، تَرْجَمَتْهُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ
٣٤٥/٦ ، حُلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ ٢٣٤/٩ ، الْأَعْلَامُ ٢٨٤/١ .

وإذا صادفَ الشيخَ في طريقهِ بدَّاهُ بالسَّلامِ ،
ويقصدهُ إنْ كانَ بعيداً ، ولا يناديه ، ولا يسلمُ من
بعيدٍ ، ولا من ورائه ، بل يقربُ ويتقدَّمُ عليه ثم
يسلمُ ، ولا يشيرُ عليه ابتداءً بالأخذِ في طريقٍ حتَّى
يستشيرَه ، ويتأدبُ فيما يستشيرُه الشيخُ بالردِّ
إلى رأيه . ولا يقولُ لما رآه الشيخُ وكانَ خطأً هذا
خطأً ، ولا هذا ليسَ برأيٍ ، بل يحسنُ خطابهُ في الردِّ
إلى الصَّوابِ ، كقوله : يظهرُ أنَّ المصلحةَ في كذا ،
ولا يقولُ : الرَّأيُ عندي كذا .

الفصل (١) السادس

في آداب المتعلّم في درسه وقراءته
وما يعتمد عليه فيها مع الشيخ والرفقة

وفيه ثلاثة عشر نوعاً :

الأوّل (٢) أن يبتدي أوّلاً بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظاً ، ويجتهد على اتقان تفسيره وسائر علومه ، فانّه أصل العلوم وامّتها . ثم يحفظ في كل فن مختصراً يجمع فيه بين طرفيه من الفقه والحديث وعلومه والأصوليين ، والنحو والتصريف ، [٨٨ظ] ولا يشتغل بذلك كلّهُ عن دراسة القرآن وتعهّده وملازمة ورد منه كلّ يوم ، أو أيام ، أو جمعة ، وليحذر من نسيانه بعد حفظه ، فقد وردت فيه أحاديث تزجر عنه . ويشتغل بشرح تلك المحفوظات على المشايخ ، واليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب ابتداءً بل يعتمد في كلّ فنّ من هو أحسن تعلّماً له ، وأكثر تحقيقاً فيه ، وتحصيلاً منه ، وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه ، وذلك بعد مراعاة الصفات المتقدمة من الدّين والصالح والشفقة وغيرها .

فإن كان شيخه لا يجد من قراءته وشرحه على غيره معه فلا بأس بذلك وإلاّ راعى قلب شيخه إن

(١) الفصل السادس هو الفصل الثالث في تذكرة السامع والمتكلم ص ١١٢ .

(٢) النوع الاول أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١١٢-١١٦ .

كَانَ أَرْجَاهُمْ نَفْعًا ، لِأَنَّهُ 'أَنْفَعُ' لَهُ 'وَأَجْمَعُ' لِقَلْبِهِ عَلَيْهِ ، وَالْيَأْخُذُ مِنَ الْحِفْظِ وَالشَّرْحِ مَا يُمْكِنُهُ وَيُطِيقُهُ حَالَهُ مِنْ غَيْرِ اكْتِثَارٍ يُمَلِّ ، وَلَا تَقْصِيرٍ يَخِلُ بِجُودَةِ التَّحْصِيلِ .

الثاني^(١) أَنَّ يَحْذَرُ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ مِنَ الْأَشْتَغَالِ فِي الْاِخْتِلَافِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، أَوْ بَيْنَ النَّاسِ مُطْلَقًا فِي الْعَقْلِيَّاتِ وَالسَّمْعِيَّاتِ ، فَإِنَّهُ 'يَحِيرُ' الذَّهْنَ وَيَدْهَشُ الْعَقْلَ ، بَلْ يَتَّقَنُ 'أَوْ لَا' كِتَابًا وَاحِدًا فِي فَنٍّ وَاحِدٍ ، أَوْ كِتَابًا فِي فَنُونٍ إِنْ احْتَمَلَ ذَلِكَ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ يَرْتَضِيهَا لَهُ شَيْخُهُ ، فَإِنْ كَانَتْ طَرِيقَةُ شَيْخِهِ نَقْلُ الْمَذَاهِبِ وَالْاِخْتِلَافِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ رَأْيٌ وَاحِدٌ ، قَالَ الْغَزَالِيُّ : فَلْيَحْذَرْ مِنْهُ فَإِنَّ ضَرَرَهُ أَكْثَرُ مِنَ النِّفْعِ بِهِ .

وَكَذَلِكَ يَحْذَرُ فِي ابْتِدَاءِ طَلَبِهِ مِنَ الْمَطَالَعَاتِ فِي تَفَارِيقِ الْمَصْنُفَاتِ ، فَإِنَّهُ 'يَضِيعُ' زَمَانَهُ ، وَيَفْرُقُ ذَهْنَهُ ، بَلْ يُعْطِي الْكِتَابَ الَّذِي يَقْرَأُهُ ، أَوْ الْفَنَ الَّذِي يَأْخُذُهُ كَلِيَّةً حَتَّى يَتَقَنَهُ .

وَكَذَلِكَ يَحْذَرُ مِنَ التَّنَقُّلِ مِنْ كِتَابٍ إِلَى كِتَابٍ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ ، فَإِنَّهُ 'عِلَامَةُ' الضَّجَرِ وَعَدَمِ الْفَلَاحِ ، وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ^(٢) أَنَّ خَادِمَ الرَّشِيدِ أَقْعَدَ [٨٩و]

(١) النوع الثاني أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١١٦ - ١٢٠ ، مع بعض الإضافات .

(٢) لم أجد هذا الخبر في مناقب الشافعي للبيهقي .

امامنا الشافعي عند مؤدب أولاد الرشيد قبل أن يدخله عليه ، وقال : يا أبا عبد الله ، هؤلاء أولاد أمير المؤمنين ، وهذا مؤدبهم فلو وصيت بهم ، فأقبل الشافعي على المؤدب فقال : (ليكن أول ما تبتدي به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما تستحسنه ، والقبيح عندهم ما تتركه ، علمهم كتاب الله ، ولا تتركهم عليه فيملؤوه ، وتتركهم منه فيهجروه ، ثم رويهم من الشعر أعفاه ومن الحديث أشرفه ، ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه فإن ازدحام الكلام في الذهن فضلة ، انتهى) (١) .

أما إذا تحققت أهلية المتعلم وتأكدت معرفته فالأولى أن لا يدع فتاً من العلوم الشرعية إلا نظره فيه ، فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فيه فذاك ، وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم ، ويعنى من كل فن بالآهم فالأهم .

قال في شرح المذهب : (ومن أهمها الفقه والنحو ثم الحديث والأصول ثم الباقي) (٢) انتهى . ولا يغفلن عن العمل الذي هو المقصود بالعلم .

الثالث (٣) أن يصحح ما يقرأه قبل حفظه تصحيحاً

(١) جاء في الحلية ١٤٧/٩ دخل الشافعي يوماً الى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين ومعه سراج الخادم ، فاقعده عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد وذكر النص المذكور .

(٢) شرح المذهب للنووي ٦٥/١ .

(٣) النوع الثالث أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٢١ - ١٢٦ . مع اضافات قليلة .

متقناً إمّا على الشيخ ، وإمّا على غيره ممن يعينه ، ثم يحفظه بعد ذلك حفظاً محكماً ، ثم يكرّر عليه بعد حفظه تكراراً جيّداً ثم يتعهده في أوقات يقرّر لها لتكرار مواضيعه . ولا يحفظ شيئاً قبل تصحيحه ، لأنّه يقع في التحريف والتصحيح ، وقد تقدّم أنّ العلم لا يؤخذ من الكتب فإنّه من أضرّ المفاسد . وينبغي أنّ يحضر معه الدواة والقلم والسكين للتصحيح ، أي في مجلس التصحيح ، وأمّا التصحيح حال الدرس ، فكان شيخنا العلامة الشمس [٨٩ظ] الشرواني (١) يمنع منه ، لما في الاشتغال به عن تقرير الشيخ ، وإنّما يعلم عليه بظفره ونحوه حتّى يصلحه بعد فراغه ، ويضبط ما يصحّحه لغة وإعراباً ، وإذا ردّ الشيخ عليه لفظةً ، وظنّ أنّ ردّه خلاف الصواب ، أو علمه كرّر اللفظة مع ما قبلها ليتنبّه لها الشيخ ، أو يأتي بلفظة الصواب على سبيل الاستفهام ، فربما وقع ذلك سهواً ، أو سبق لسان لغفلة ، ولا يقل بل هي كذا بل يتلفظ في تنبيه الشيخ لها ، فإن لم يتنبّه قال : فهل يجوز فيها كذا فإن رجع الشيخ إلى الصواب فلا كلام وإلا ترك تحقيقها إلى مجلس آخر يتلفّظ لاحتمال أن يكون الصواب مع الشيخ ، وكذلك إذا تحقق خطأ الشيخ في جواب مسألة لا يفوت تحقيقه ولا يعسر تداركه ، فإن كان كذلك كالكتابة في رقاق الاستفتاء ، وكون السائل غريباً ، أو بعيد الدار ، أو مشنعاً تعيّن

(١) الشمس الشرواني هو شيخ المصنف ، وقد مرت ترجمته .

تنبيهَ الشيخ على ذلك في الحالِ باشارةٍ ، أو تصريحٍ ،
فإنَّ تركَ ذلكَ خيانةٌ للشيخ فيجبُ نصحه بما
أمكنَ من تلطفٍ أو غيره ، وإذا وقفَ على مكانٍ كتبَ
قبالتهُ 'بلغَ العرضُ والتصحيحُ' .

الرابعُ (١) أن يبكرَ لسماعِ الحديثِ ولا يهملَ
الاشتغالَ به وبعلمه والنظرَ في اسناده ورجاله
ومعانيه واحكامه وفوائده ولغته وتواريخه ، ويعني
أولاً بصحيحِ البخاري ومسلم ، ثم ببقيةِ الكتبِ
الأعلامِ والاصولِ المعتمدة في هذا الشأن ، كموطأ
مالك وسننِ أبي داود والنسائي وابنِ ماجة وجامعِ
الترمذي ومسندِ الشافعي ، ولا ينبغي أن يقتصرَ على
أقلِّ من ذلك ، ونعم المعينُ للفقهِ كتابُ السننِ الكبيرِ
لأبي بكرِ البيهقي ، ومن ذلكَ المسانيدُ كمسندِ أحمد بن
حنبل وابنِ حميد البزار ، ويعتني [٩٠و] بمعرفةِ صحيحِ
الحديث ، وحسنه ، وضعيفه ، ومسنده ، ومرسله ،
وسائرِ أنواعه ، فإنَّه 'أحدُ جناحي العالمِ بالشرِعةِ
والمبينُ لكثيرٍ من الجناحِ الآخرِ ، وهو القرآنُ' . ولا
يقنعُ بمجردَ (٢) السماعِ كغالبِ محدِّثي هذا الزَّمانِ ،
بل يعتني بالدرايةِ أشدَّ من عنايته بالرواية . قال
الشافعي رحمه الله : (٣) من نظرَ في الحديثِ قوتُ

(١) النوع الرابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٢٦ - ١٣٣ .

(٢) كذا في الاصل ، و(ب) والتذكرة ، وفي (م) : (لمجرد) .

(٣) كلام الشافعي في كتاب الفقيه والمتفقه ١/ ٣٦ .

حجته') ، ولأن الدراية هي المقصود بنقل الحديث وتبليغه .

الخامس' (١) إذا شرح محفوظاته المختصرات وضبط ما فيها من الأشكالات والفوائد المهمات ، أنتقل إلى بحث المبسوطات مع المطالعة الدائمة ، وتعليق ما يمر به ، أو يسمعه من الفوائد النفيسة والمسائل الدقيقة والفروع الغريبة ، وحل المشكلات والفروق بين أحكام المتشابهات من جميع أنواع العلوم ، ولا يستقل بفائدة يسمها ، أو يتهاون بقاعدة يضبطها ، بل يبادر إلى تعليقها وحفظها ، ولتكن همته في طلب العلم غالبية ، فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيره ، ولا يقنع من إرث الأنبياء بيسيره ، ولا يؤخر تحصيل فائدة تمكن منها ، أو يشغله الأمل والتسويق عنها ، فإن للتأخير آفات ، ولأنه إذا حصلها في الزمن الحاضر حصل في الزمن الثاني غيرها . ويغتنم وقت فراغه ونشاطه وزمن عافيته وشرح شبابه ونباهة خاطره وقلّة شواغله ، قبل عوارض البطالة ، أو موانع الرئاسة . قال عمر رضي الله عنه : (تفقهوا قبل أن تسودوا) (٢) . وقال الشافعي : (تفقه قبل أن ترأس فاذا رأست فلا سبيل إلى الفقه) (٣) . واليحذر من نظره (٤) نفسه

(١) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٢٣ - ١٤٢ .

(٢) شرح المذهب ٦٤/١ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٤٢ .

(٣) شرح المذهب ٦٤/١ .

(٤) كذا في النسخ المخطوطة ، وفي تذكرة السامع والمتكلم : (نظر) .

بعين الكمال والاستغناء عن المشايخ ، فإن ذلك عين الجهل وقلّة المعرفة ، وما يفوته أكثر مما حصله ، وقد تقدّم قول سعيد بن جبير [٩٠ ظ] : (لا يزال الرجل عالماً ما تعلّم ، فإذا ترك العلم وظنّ أنّه قد استغنى ، فهو أجهل ما يكون) (١) . وإذا كملت أهليته وظهرت فضيلته ومرّ على أكثر كتب الفنّ ، أو المشهورة منها بحثاً ومراجعة ومطالعة ، اشتغل بالتصنيف وبالنظر في مذاهب العلماء سالكاً طريق الانصاف فيما يقع له من الخلاف كما تقدّم في أدب العالم .

السادس (٢) أنّ يلزم حلقة شيخه في التدريس والاقراء ، بل وجميع مجالسه إذا أمكن فإنّه لا يزيده إلاّ خيراً وتحصيلاً وأدباً وتفضيلاً ، كما قال عليّ رضي الله عنه في حديثه المتقدّم : (ولا تشبع من طول صحبتته ، فإنّما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء) (٣) . ويحضر موضع الدرس قبل حضور الشيخ ، ولا يتأخّر إلى بعد جلوسه وجلوس الجماعة فيكلفهم المعتاد من القيام وردّ السّلام ، وقد قال السّلف : من الأدب مع المدرّس أنّ ينتظره الفقهاء ولا ينتظرهم . ويتحفّظ من النوم والنعاس والحديث والضحك ، ولا يتكلّم في مسألة أخذ

(١) شرح المذهب ١/٤٩ .

(٢) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والتكلم ص ١٤٢ - ١٤٥ .

(٣) الجامع ١/١٣٣ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ .

يتكلمُ الشيخُ في غيرِها، ويجتهدُ على مواضبة خدمته
والمسارعة إليها، فإنَّ ذلكَ يكسبه شرفاً وتبجيلاً .
ولا يقتصرُ في الحلقة على سماعِ درسه فقط إذا
أمكنه، فإنَّ ذلكَ علامةُ قصورِ الهمةِ وعدمِ الفلاحِ
وبطوءِ التنبُّه، بل يعتني بسائرِ الدروسِ المشروحةِ
ضبطاً وتعليقاً ونقلًا إنَّ احتملَ ذهنه ذلكَ، ويشاركُ
أصحابها حتَّى كأنَّ كلَّ درسٍ منها له، ولعمري إنَّ
الأمرَ لكذلكَ للحريصِ، فإنَّ عجزَ عن ضبطِ
جميعها اعتنى بالأهمِّ فالأهمِّ منها . وينبغي أنَّ
يتذاكرَ مواظبوا مجلسَ الشيخِ ما وقع فيه [٩١و] من
الفوائد والضوابط والقواعد وغير ذلكَ، وأنَّ
يعيدوا كلامَ الشيخِ فيما بينهم فإنَّ في المذاكرة نفعاً
عظيماً . وينبغي المذاكرة في ذلكَ عندَ القيامِ من
مجلسه قبلَ تفرُّقِ أذهانهم وتشتتِ خواطرهم
وشذوذِ بعضِ ماسمعه عن أفهامهم، ثم
يتذاكرونه في بعضِ الأوقات .

وقال الخطيبُ وأفضلُ المذاكرة (١) مذاكرة الليلِ،
وكان جماعةً من السلفِ يبدؤونَ في المذاكرة من
العشاءِ فربَّما لم يقوموا حتَّى يسمعُوا أذانَ الصُّبحِ،
فإنَّ لم يجدِ الطالبُ من يذاكره ذاكِرَ نفسه بنفسه،
وكرَّرَ معنَى ما سمعه ولفظه على قلبه ليحلَّ
ذلكَ على خاطره، قالَ: فإنَّ تكرارَ المعنى على
القلبِ كتكرارِ اللَّفظِ على اللِّسانِ سواءٌ بسواءٍ،

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١٠٣/٢ .

وقلَّ أَنْ يَفْلَحَ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى الْفِكْرِ وَالتَّعْقُلِ بِحَضْرَتِهِ
خَاصَّةً ثُمَّ يَتْرُكُهُ وَيَقُومُ وَلَا يَعَاوِدُهُ .

السَّابِعُ (١) إِذَا حَضَرَ مَجْلِسَ الشَّيْخِ سَلَّمَ عَلَى
الْحَاضِرِينَ بِصَوْتٍ يُسْمَعُ جَمِيعَهُمْ وَخَصَّ الشَّيْخَ
بِزِيَادَةِ تَحِيَّةٍ وَإِكْرَامٍ ، وَكَذَلِكَ يَسَلِّمُ إِذَا انْصَرَفَ .
وَعَدَّ بَعْضُهُمْ حَلْقَ الْعِلْمِ فِي حَالِ أَخْذِهِمْ فِيهِ مِنَ الْمَوَاضِعِ
الَّتِي لَا يَسَلِّمُ فِيهَا ، وَهَذَا خِلَافُ مَا عَلَيْهِ الْعَمَلُ ، لَكِنْ
يَتَّجِهُ ذَلِكَ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ مُشْتَغَلٍ بِحِفْظِ دَرْسِهِ
وَتَكَرَّارِهِ ، وَإِذَا سَلَّمَ لَا يَتَخَطَّى رِقَابَ الْحَاضِرِينَ إِلَى
قُرْبِ الشَّيْخِ مَنْ لَمْ تَكُنْ مَنَزَلَتُهُ كَذَلِكَ ، بَلْ يَجْلِسُ
حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ ، فَإِنْ
صَرَاحَ لَهُ الشَّيْخُ وَالْحَاضِرُونَ بِالتَّقْدِيمِ ، أَوْ كَانَتْ
مَنَزَلَتُهُ ، أَوْ كَانَ يَعْلَمُ إِيْثَارَ الشَّيْخِ وَالْجَمَاعَةِ لِذَلِكَ
فَلَا بَأْسَ ، وَلَا يَقِيمُ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ ، أَوْ يَزَاحِمُهُ
قَصْدًا ، فَإِنْ آثَرَهُ الْغَيْرُ بِمَجْلِسِهِ لَمْ يَقْبَلْهُ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ يَعْرِفُهَا الْقَوْمُ وَيَنْتَفِعُونَ بِهَا مِنْ
بَحْثِهِ مَعَ الشَّيْخِ لِقُرْبِهِ مِنْهُ ، أَوْ لِكَوْنِهِ كَبِيرَ السِّنِّ ،
أَوْ كَثِيرَ الْفَضِيلَةِ [٩١ ظ] وَالصَّلَاحِ .

وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُوَثِّرَ بِقُرْبِهِ مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا مَنْ
هُوَ أَوْلَى بِذَلِكَ لِسِنِّ ، أَوْ عِلْمٍ ، أَوْ صَلَاحٍ أَوْ نَسَبٍ

(١) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٤٦ -
١٥١ ، وأضاف إليه زيادة في الأخير .

أَهْلَ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ بَلْ يَحْرُصُ عَلَى الْقُرْبِ مِنَ الشَّيْخِ إِذَا لَمْ يَرْتَفَعْ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ .

وَإِذَا كَانَ الشَّيْخُ فِي صَدْرِ مَكَانٍ ، فَأَفْضَلُ الْجَمَاعَةِ أَحَقُّ بِمَا عَلَى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى طَرَفِ صِفَةِ أَوْ نَحْوِهَا فَالْمُبْتَجِلُونَ مَعَ الْحَائِطِ ، أَوْ مَعَ طَرَفِهَا قِبَالَتَهُ . وَيَنْبَغِي لِلرَّفَقَاءِ فِي دَرَسٍ وَاحِدَةٍ ، أَوْ دُرُوسٍ أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي جِهَةٍ وَاحِدَةٍ لِيَكُونَ نَظَرُ الشَّيْخِ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا عِنْدَ الشَّرْحِ ، وَلَا يَخْصُ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ دُونَ بَعْضٍ ، وَقَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ فِي مَجَالِسِ التَّدْرِيسِ بِجُلُوسِ (الْمُتَمَيِّزِينَ قِبَالَ وَجْهِ الْمُدْرِّسِ ، وَالْمُبْتَجِلِينَ مِنْ مَعِيدٍ ، أَوْ زَائِرٍ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ ، وَإِذَا تَوَقَّعَ مَنْ يَجْلِسُ عَلَى يَمِينِهِ مَثَلًا مُجِيءَ أَوَّلَى مِنْهُ بِذَلِكَ ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَخْلُتِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْخِ مَا يَسَعُ الْجَائِي .

حَدَّثَ ابْنُ عِيْنَةَ عَنْ مَنْ أَخْبَرَهُ : إِنْ كَعَبًا كَانَ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُتَبَاعِدًا فِي مَجْلِسِهِ ، فَأَنْكَرَ عَمْرٌ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ كَعَبٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ فِي حِكْمَةِ لِقَمَانٍ وَوَصِيَّتِهِ لِأَبْنِهِ يَا بُنَيَّ إِذَا جَلَسْتَ إِلَى سُلْطَانٍ فَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مُقْعَدَ رَجُلٍ ، فَلَعَلَّهُ يَأْتِيهِ مِنْ هُوَ أَثَرٌ عِنْدَهُ مِنْكَ فَيَتَنَحَّى عَنْهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا عَلَيْكَ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِ : لَا تَسْرِعْ إِلَى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ فِي الْمَجْلِسِ ، فَالْمَوْضِعُ الَّذِي تُرْفَعُ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُمَاطُ عَنْهُ . وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي

روّاد : كان يُقالُ من رأس التواضع الرضاءُ بالدونِ
من شرفِ المجلسِ ، أخرج ذلكَ كَلَّهُ الخطيبُ البغدادي
في الجامع (١) .

الثامن (٢) أَنْ يتأدبَ معَ حاضري مجلسِ الشيخِ
فإنَّه 'أَدَبٌ' معه ' وإحترامٌ " [٩٦و] لمجلسه وهم رفقاؤه ،
فيوقّرُ أصحابه ويحترمُ كبراءه ' وأقرانه ' ، ولا
يجلسُ وسطَ الحلقة ولا قدامَ أحدٍ إلاَّ لضرورةٍ كما
في مجالسِ التحديثِ ، ولا يفرّقُ بينَ رفيقين ، ولا بينَ
متصاحبين إلاَّ برضاهما معاً . فقد جاءَ النهيُ عن
الجلوسِ بينَ رجلين إلاَّ باذنهما ، فإنْ أوسعوا له
جلسَ وجمعَ نفسه . قالَ ابو محمد اليزيدي (٣) :
(أَتَيْتُ الخليلَ بنَ أحمدَ في حاجة ، فقالَ لي : ههنا يا
أبا محمد ، فقلتُ : أَضِيقُ عليك ، فقالَ لي : إنَّ
الدُّنيا بحذافيرِها تضيقُ عن متباغضين ، وإنَّ شبراً
في شبرٍ لا يضيقُ عن متحابين ، وأنشدَ محمدُ بن
عقيل الأزدي (١) :

(١) الجامع (١١١/١) .

(٢) النوع الثامن اخذ اكثره المصنف من تذكرة السامع والمتكلم
ص ١٥٢ - ١٥٦ .

(٣) هو ابو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي النحوي المقرئ
اللغوي ، اخذ عن الخليل اللغة والعروض ، توفي سنة (٢٠٢هـ) ،
ترجمته في اخبار النحويين البصريين ص ٤٠ ، بغية الوعاة للسيوطي
٣٤٠/٢ .

(٤) لقد ذكر الخطيب البغدادي كلام الخليل والبيتين في الجامع ١/١١٣ .

لَمْ يَضِيقْ مَجْلِسَ بَأَهْلٍ وَدَادِ
 قَطُّ لَكِنَّهُ فَسِيحٌ رَحِيبٌ
 بَسَطَ الْفَضْلُ بَيْنَهُمْ مِنْ بَسَاطِ
 الْوَدِّ مَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ)

ولا يجلسُ فوقَ من هو أَوَّلَى مِنْهُ ، وينبغي
 للحاضرينَ إذا جاءَ القادمُ أَنْ يرحَّبُوا بِهِ ، ويوسِّعُوا
 لَهُ ، ويتفَسَّحُوا لاجلِهِ ، ويكرمُوهُ بما يلزمُ بِهِ
 مِثْلُهُ ، وإذا فَسَّحَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ وَكَانَ حَرْجاً ضَمَّ
 نَفْسَهُ ، وَلَا يَتَوَسَّعُ وَلَا يُعْطَى أَحَدًا مِنْهُمْ جَنْبَهُ وَلَا
 ظَهْرَهُ ، وَيَتَحَفَّظُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيَتَعَهَّدُهُ عِنْدَ بَحْثِ
 الشَّيْخِ لَهُ ، وَلَا يَجْنَحُ عَلَى جَارِهِ أَوْ يَجْعَلُ مَرْفَقَهُ
 قَائِمًا فِي جَنْبِهِ ، أَوْ يَخْرُجُ عَنْ بَنِيَةِ الْحَلْقَةِ بِتَقْدِمٍ ، أَوْ
 تَأْخِرٍ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي اثْنَاءِ دَرَسٍ غَيْرِهِ ، أَوْ دَرَسِهِ
 بِمَا لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ، أَوْ بِمَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ بَحْثُهُ ، وَإِذَا
 شَرَعَ بَعْضُهُمْ فِي دَرَسٍ فَلَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يَتَعَلَّقُ بِدَرَسِ
 فَرَعٍ ، وَلَا بِغَيْرِهِ مِمَّا لَا تَقُوتُ فَائِدَتُهُ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ
 الشَّيْخِ ، أَوْ صَاحِبِ الدَّرْسِ . وَلَا يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ حَتَّى
 يَنْظُرَ فِيهِ فَائِدَةٌ وَمَوْضِعٌ ، وَيَحْذَرُ الْمِمَارَاةَ فِي الْبَحْثِ
 وَالْمَغَالَبَةِ فِيهِ ، فَإِنْ ثَارَتْ نَفْسُهُ أَجْمَهَا بِلِجَامِ
 الصَّمْتِ وَالصَّبْرِ ، وَالِاقْتِدَاءِ بِحَدِيثِ : (مَنْ تَرَكَ
 الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحَقٌّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى

الجنة (١) [٩٢ ظ] ، فإن ذلك أقطع لانتشار الغضب وأبعد عن منافرة القلوب ، وأن أساء بعض الطلبة أدباً على غيره لم ينهره غير الشيخ إلا بإشارته ، أو سراً بينهما على سبيل النصيحة ، وإن أساء أحد أدبه على الشيخ نعين على الجماعة انتهاره وردّه ، والأنتصار للشيخ بقدر الامكان وفاء لحقه ، ولا يشارك أحد من أمر الجماعة أحداً في حديثه ، ولا سيما الشيخ .

قال بعض الحكماء : من الأدب ألا يشترك الرجل في حديثه ، وإن كان أعلم به منه . وأنشد الخطيب في هذا المكان (٢) :

ولا تشارك في الحديث أهله
وأن عرفت فرعه وأصله
فإن علم ايثار الشيخ ذلك ، أو المتكلم فلا بأس ، وقد تقدم ذلك مفصلاً في الفصل قبله .

(١) روي الترمذي الحديث عن انس بن مالك ، ولفظه : (من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها ، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها) صحيح الترمذي ١٥٩/٨ .

(٢) أنشد الخطيب البغدادي هذا البيت دون أن يعزوه في كتاب الجامع ١٣٥/١ .

التاسع^(١) 'أَلَا يَسْتَحْيَ مِنْ سِوَالِ مَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ
وَتَفْهَمَ مَا لَمْ^(٢) يَتَعَقَّلْهُ' بتلطف وحسن خطاب وأدب
وسؤال ، وقالَ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (مِنْ رَقٍّ وَجْهُهُ
رَقٌّ عِلْمُهُ)^(٣) ، وقالَ مجاهدٌ : (لَا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ
مُسْتَحْيٍ ، وَلَا مُسْتَكْبِرٌ)^(٤) . وقالت عائشةُ رَضِيَ
اللهُ عَنْهَا : (رَحِمَ اللهُ نِسَاءَ الْأَنْصَارِ لَمْ يَكُنِ الْحَيَاءُ
يَمْنَعُهُنَّ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ)^(٥) . وقالت أمُ سليمَ
لرسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللهَ
لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ، هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غَسَلٍ إِذَا
احْتَلَمَتْ ؟)^(٦) . ولبعضِ العربِ^(٧) :

وَلَيْسَ الْعَمَى طُولَ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا

تمامُ الْعَمَى طُولُ السَّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ

(١) النوع التاسع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٥٦ -
١٥٨ ، مع اضافة بعض الفقرات في القسم الاول منه خاصة .

(٢) كذا في (م) ، و(ب) ، وفي الاصل : (يتعلقه) ، وهو وهم من الناسخ .

(٣) سنن الدارمي ١١٢/١ .

(٤) سنن الدارمي ١١٢/١ ، وفيه (لا يتعلم من استحي واستكبر) .

(٥) شرح صحيح البخاري للكرماني ١٥٨/٢ وفيه : (نعم نساء الانصار
لم يمنعهنَّ الحياءُ أن يتفقهن في الدين) .

(٦) شرح صحيح البخاري للكرماني ١٥٨/٢ .

(٧) البيت ذكره الراغب الاصبهاني ، وروايته في محاضرات الادباء ٤٩/١

شفاء العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل

وقد قيلَ من رَقَّ وجهه عند السؤالِ ظهرَ نقصه عند اجتماع الرجال ، ولا يسألُ عن شيءٍ في غير موضعه إلاَّ حاجة ، أو علمٍ بإيثار الشيخ ذلك ، وإذا [٩٣ و] سكتَ الشيخُ عن الجوابِ لم يلحْ عليه ، وإن أخطأَ في الجوابِ فلا يُردُّ في الحالِ عليه ، وقد تقدَّم . وكما لا ينبغي للطالب أن يستحي من السؤال ، فكذلك لا يستحي من قوله : لم أفهم إذا سأله الشيخ ؛ لأنَّ ذلك يفوتُ عليه مصلحته العاجلة والآجلة ، أمَّا العاجلة فحفظُ المسألة ومعرفتها واعتقادُ الشيخ في الصدق والورع والرغبة ، والآجلة سلامته من الكذب والنفاق واعتياده التحقيق .

قال الخليل : (منزلة الجهل بين الحياء والأنفة) (١) ، وقد تقدَّم في أدب العالم أنَّه لا يسألُ المستحي هل فهمت ؟ بل يتوصلُ الى العلم بفهمه بطرح المسائل ، فإنَّ سألَه فلا يقل نعم حتَّى يتضح له المعنى إتضاحاً جلياً كيلا يفوته الفهم ، ويدركه بكذبه الأثم .

العاشر (٢) : مراعاة نوبته فلا يتقدَّم عليها بغير رضا من هَيَّ له ، روي أنَّ أنصارياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأله ، وجاء رجل من ثقيف ،

(١) شرح المذهب ١/ ٦٢ .

(٢) النوع العاشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٥٨ - ١٦٠ مع اضافة فقرات قليلة .

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (يا أخا
ثقيف إن الأنصاري قد سبقك بالمسألة فاجلس كما
نبدأ بحاجة الأنصاري قبل حاجتك) (١) .

قال الخطيب : يُسْتَحَبُّ للسابق أن يقدم على
نفسه من كان غريباً ؛ لتأكيد حرمة ووجوب ذمته ،
روي في ذلك حديثان عن ابن عباس ، وابن عمر .
وكذلك إذا كان للمتأخر حاجة ضرورية وعلمها
المتقدم ، أو أشار الشيخ بتقدمه فيُستَحَبُّ
إيثاره ، فإن لم يكن شيء من ذلك ونحوه ، فقد كره
قوم الإيثار بالنوبة ؛ لأن قراءة العلم والمسارة
إليه قربة والإيثار بالقربة مكروه .

وتحصيل تقدم النوبة بتقدم الحضور في مجلس
الشيخ أو إلى مكانه ، ولا يسقط حقه بذهابه إلى ما
يضطره إليه من قضاء [٩٣ظ] حاجة وتجديد وضوء إذا
عاد بعده ، وإذا تساوق إثنان أو تنازعا أقرع بينهما ،
أو يقدم الشيخ أحدهما إن كان متبرعاً ، وإن كان
عليه اقراءهما فالقرعة ومعيد المدرسة إذا شرط
عليه اقراء أهلها فيها في وقت فلا يقدم عليهم الغرباء
فيه بغير اذنهم .

الحادي عشر (٢) أن يكون جلوسه بين يدي الشيخ
على ما تقدم تفصيله في آدابه مع شيخه ، ويحضر

(١) الجامع ١/١٣٣ ، الفقيه والمتفقه ٢/١٢٢ .

(٢) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم
ص ١٦٠ - ١٦٢ .

كتابَه' الذي يقرأ' منه' معَه' ، ويحملَه' بنفسه' ، ولا يضعه' حال القراءة على الأرض مفتوحاً بل يحملَه' بيديه ويقرأ' منه' ، ولا يقرأ' حتَّى يستأذنَ الشيخَ ، ذكره' الخطيبُ عن جماعةٍ من السلف^(١) ، وقالَ : يجبُ ألاَّ يقرأَ حتَّى يأذنَ له' الشيخُ ، ولا يقرأَ عندَ شغلِ قلبِ الشيخِ ، أو ملله ، أو غمّه ، أو غضبه ، أو جوعه ، أو عطشه ، أو نعاسه ، أو إستيفازه^(٢) ، أو تعبهِ ، وإذا رأى الشيخُ قد أثرَ الوقوفَ اقتصرَ ولا يحوجهُ إلى قوله اقتصرُ ، وإن لم يظهرْ له' ذلكَ فأمره' بالاعتصارِ اقتصرَ حيثُ أمره' ، ولا يستزيده' ، وإذا عيّنَ له' قدراً فلا يتعدّاهُ ، ولا يقولُ طالبُ اختصرُ إلاَّ بشارَةَ الشيخِ أو ظهورِ إثارهِ ذلكَ .

الثاني عشر^(٣) إذا حضرتُ نوبته' إستأذنَ الشيخَ كما ذكرناه' فإنْ أذنَ له' استعاذَ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ثم يسمّي اللهَ تعالى بحمدهِ ويصلّي على النّبِيِّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم ثم يدعُو للشيخِ ولوالديه ولمشايخه ولنفسه ولسائرِ المسلمين ، وكذلك يفعلُ كلّما شرعَ في قراءةٍ درسٍ ، أو تكرّره ، أو مطالعته ، أو مقابلته في حضورِ الشيخِ ، أو في غيبته إلاَّ أنّّه يخصُّ الشيخَ بذكرهِ في الدعاءِ عندِ قراءتهِ عليه .

(١) ينظر كلام الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٩٦/٢ ، الجامع ١١٨/١ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) استيفازه : ازعاجه .

(٣) النوع الثاني عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٦٢ .

ويترحم على مصنف الكتاب عند قراءته ، وإذا دعا [٩٤و] الطالب للشيخ ، قال : ورَضِيَ اللهُ عَنْكُمْ ، أو عن شيخنا واماننا ونحو ذلك ، ويقصد به الشيخ ، وإذا فرغ من الدرس دعا للشيخ أيضاً ، ويدعو الشيخ أيضاً للطالب كلما دعا له ، فإن ترك الطالب الاستفتاح بما ذكرناه جهلاً ، أو نسياناً نبّهه عليه وعلمه إيّاه وذكره به ، فإنّه من أهم الآداب ، وقد ورد الحديث في بدء الأمور المهمة بالحمد ، وهذا منها .

الثالث عشر (١) أنّ يرغب بقيّة الطلبة في التحصيل ، ويدلهم على مكانه ، ويصرف عنهم الهموم المشغلة عنه ، ويهوّن عليهم مؤنته ، ويذاكرهم بما حصّله من الفوائد والقواعد والغرائب ، وينصّحهم في الدّين ، فبذلك يستنير قلبه ويزكو علمه ، ومن بخل عليهم لم يثبت علمه ، وإن ثبت لم يثمر ، وقد جرّب ذلك جماعة من السّلف ، ولا يفخر عليهم أو يعجب بجودة ذهنه بل يحمد الله على ذلك ويستزيده بدوام شكره .

(١) النوع الثالث عشر اخذ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٦٢ - ١٦٣ .

الفصل السابع^(١)

في لَادِبٍ معَ الكُتُبِ التي هي آلةُ العلمِ
وما يتعلّقُ بتصحيحِها وضبطِها وحملِها
ووضعِها وشرائِها وإِعارِتها ونسخِها
وغيرِ ذلكَ

ومنه أحد عشرَ نوعاً :

الأوّلُ^(٢) ينبغي لطالبِ العلمِ أَنْ يعتني بتحصيلِ
الكتبِ المحتاجِ إليها ما أمّكنه شراءً ، وإلاّ فأجارةٌ ، أو
عاريةٌ ؛ لأنّها آلةُ التحصيلِ ، ولا يجعلُ تحصيلَها
وكثرتها حظهً من العلمِ ، وجمعَها نصيبه من الفهمِ
كما يفعله كثيرٌ من المنتحلين الفقهَ والحديثَ ، وقد
أحسنَ القائلُ^(٣) :

إذا لمْ تكنْ حافظاً واعياً فجمعك للكتبِ لا ينفعُ

[٩٤ ظ] وإذا أمكنَ تحصيلَها شراءً لمْ يشتغلْ
بنسخِها ، ولا ينبغي أَنْ يشتغلَ بدوامِ النسخِ إلاّ
فيما يتعدّرُ عليه تحصيله لعدمِ ثمنه ، أو اجرةِ
استنساخه ، ولا يهتمُ المشتغلُ بالمبالغةِ في تحسينِ

(١) الفصل السابع : هو الباب الرابع في تذكرة السامع والمتكلم ص ١٦٣ .

(٢) النوع الاول أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٦٤-١٦٧ .

(٣) البيت لمحمد بن بشير كما ذكر صاحب كتاب محاضرات الادباء ١/٤٩ .

الخط ، وإنما يهتم بصحيحه وتصحيحه ، ولا يستعير كتاباً مع إمكان شرائه ، أو أجارته .

الثاني^(١) يُستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها ، وكثره عاريتها قوم ، والأوّل أولى^(٢) لما فيه من الاعانة على العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل والأجر .

قال رجل " لأبي العتاهية : أعرني كتابك ، فقال : إنني أكره ذلك ، فقال : أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره ؟ فأعاره ، وكتب الشافعي إلى محمد بن الحسن رحمهما الله^(٣) :

يَا ذَا الَّذِي لَمْ تَرَ عَيْنَ مَنْ رَأَهُ مِثْلَهُ
الْعِلْمُ يَأْبَى أَهْلَهُ أَنْ يَمْنَعُوهُ أَهْلُ اللَّهِ
وينبغي للمستعير أن يشكر للمعير ذلك ويجزيه خيراً ، ولا يطيل مقامه عنده من غير حاجة ، ولا يجبسه إذا طلبه المالك ، أو استغنى عنه ، ولا يجوز أن يصلحه بغير إذن صاحبه ، ولا يحشيه^(٤) ، ولا

(١) النوع الثاني اخذه المصنف من تذكرة السماع والمتكلم ص ١٦٧ - ١٦٩ .

(٢) في (ب) : والاولى الاول ، وما ذكرناه اولى .

(٣) البيت في مناقب الشافعي ٨٦/٢ ، وروايته فيه :
قل لمن لم تر عين من رآه مثله ومن كان من رآه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله ان يمنعه أهله لعلمه يبدل لأهله لعلمه
(٤) ولا يحشيه : اي لا يجعل له حاشية .

يكتبُ شيئاً في بياض فواتحه أو خواتمه إلا إذا علم رضا صاحبه ، وهو كما يكتبه المحدث على جزء سمعه ، أو كتبه ، ولا يسوِّده ، ولا يعيره ، ولا يودعه لغير ضرورة حيث يجوز^(١) شرعاً ، ولا ينسخ منه بغير إذن صاحبه .

فإن كان الكتاب وقفاً على من ينتفع به غير معين ، فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط ، ولا^(٢) باصلاحه ممن هو أهل لذلك ، وحسن أن تستأذن الناظر فيه ، وإذا نسخ منه باذن صاحبه ، أو ناظره ، فلا يكتب منه والقرطاس في [٩٥ و] بطنه ، أو على كتابته ، ولا يضع المحبرة عليه ، ولا يمر بالقلم الممدود فوق كتابته ، وأنشد بعضهم^(٣) :

أيتها المستعير مني كتاباً

ارض لي فيه بالنفسك ترضى

وأُشيد في إعاره الكتب ومنعها قطع كثيرة^(٤) لا تطول بها .

الثالث^(٥) : إذا نسخ من الكتاب ، أو طالعهُ فلا

(١) كذا في الاصل و (م) ، وفي (ب) : (لا يجوز) ، وهو وهم .

(٢) كذا في الاصل ، و (م) ، وفي (ب) : (ولا بأس) .

(٣) البيت ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ١٧٦/١ .

(٤) ينظر كتاب الجامع ١٧٧/١ - ١٧٨ .

(٥) النوع الثالث اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٧٠ -

١٧٢ .

يضعه' على الأرض مفروشا منشورا بل يجعله' بين كتابين أو شيئين ، أو كرسي الكتب المعروف ، كيلا يسرع بقطع حبه (١) ، وإذا وضعها في مكان مصفوفة فليكن على كرسي ، أو تحت خشب أو نحوه ، والأولى أن يكون بينه وبين الأرض خلوة ، ولا يضعها على الأرض كيلا تنتدي أو تبتلى . وإذا وضعها على خشب ، أو نحوه ، جعل فوقه وتحتها ما يمنع تاكل جلودها به ، وكذلك يجعل بينها وبين ما يصادفها أو يسندهما من حائط ، أو غيره ، ويرعي الأدب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها ومصنفيها وجلالتهم ، فيضع' الأشراف على الكل (٢) ، ثم يراعي التدرج ، فان فيها المصحف الكريم جعله' الكل (٣) ، والأولى أن يكون في خريطة ذات عروة في مسمار ، أو وتد في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس ، ثم كتب الحديث الصرف ، كصحيح مسلم ، ثم تفسير الحديث ثم اصول الدين ، ثم اصول الفقه ، ثم النحو والتصريف ثم أشعار العرب ، ثم العروض . فان استوى كتابان في فن ، أعلى أكثرهما قرآنا ، أو حديثا ، فان استويا فبجلالة المصنف فان استويا فاقدمهما كتابة ، وأكثرهما وقوعا في أيدي العلماء [٩٥ظ] والصالحين ، فان استويا فأصحهما .

(١) حبك الكتاب : شد اوراقه .

(٢،٣) لو قال المصنف : (على كلها أو جميعها) لكان أفضل من حيث اللغة .

وينبغي أن يكتب اسم الكتاب عليه في جانب آخر الصفحات من أسفل ، ويجعله رؤوس حروف هذه الترجمة إلى الغاشية التي من جانب البسملة ، وفائدة هذه الترجمة معرفة الكتاب وتيسير إخراجها من بين الكتب ، وإذا وضع الكتاب على أرض ، أو تحت فلتكن الغاشية التي من جهة البسملة ، وأول الكتاب إلى فوق ، ولا يكسر ولا يضع الردة (١) في أثناؤه كيلا يسرع بكسرها ، ولا يضع ذوات القطع الكبير فوق ذوات الصغير كيلا يكسر تساقطهما .

ولا يجعل الكتاب (٢) خزانة للكراريس أو غيرها ولا مخدة ولا مروحة ، ولا مكبسا ولا مسندا ولا متكا ولا مقتلة البق وغيره لاسيما في الورق فهو على الورق أشد . ولا يطوي حاشية الورقة ، أو زاويتها ، ولا يعلم بعود أو شيء جاف ، بل بورقة ، أو نحوها ، وإذا ظفر فلا يكبس ظفره قويا .

الرابع (٣) إذا استعار كتابا فينبغي له أن ينفقده عند إرادته أخذه وردّه ، وإذا اشترى كتابا تعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه ، وتصفح أوراقه واعتبر صحته ، ومما يغلب على الظن صحته ، وإذا ضاق الزمان عن تفتيشه ما قاله

(١) الردة : هي القطعة الزائدة من الجلد فوق الجانب الأيسر .

(٢) في (ب) (الكتب) ، وما ذكرناه أصح .

(٣) النوع الرابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٧٢ - ١٧٣ .

الشَّافعي رحمه الله ، قال : إذا رأيتَ الكتابَ فيه إلحاقٌ وإصلاحٌ ، فاشهدْ له بالصحة ، وقال بعضهم : لا يضيءُ الكتابُ حتَّى يظلمَ ، يريدُ أصله .

الخامس^(١) إذا نسخَ شيئاً من كتبِ العلوم الشرعية فينبغي أن يكونَ على طهارةٍ مستقبلِ القبلة طاهرَ البدنِ والثيابِ ، بجبرِ طاهرٍ [٩٦و] ، ويبتدي كلَّ كتابٍ بكتابةِ (بسمِ الله الرحمن الرحيم) ، فإن كانَ الكتابُ مبدوءاً فيه بخطبةٍ تتضمَّنُ حمدَ الله تعالى والصَّلَاةَ على رسوله ، كتبها بعدَ البسملة ، وإلاَّ كتبَ هو ذلكَ بعدها . ثم كتبَ باقي الكتابَ ، وكذلكَ يفعلُ في ختمِ الكتابِ ، وآخرَ كلِّ جزءٍ منه ، بعدما يكتبُ آخرَ الجزءِ الأوَّلِ والثاني مثلاً ، ويتلوهُ كذا وكذا إن لم يكنْ كَمَلَّ الكتابَ ، ويكتبُ إذا كَمَلَّ : تمَّ الكتابُ الفلاني ، ففي ذلكَ فوائدٌ كثيرةٌ .

وكَلِّمًا كتبَ اسمَ الله أَتبعَهُ بالتعظيمِ ، مثل تعالى وسبحانه ، أو عزَّ وجلَّ ، وتقَدَّسَ ، ونحو ذلك ، وكَلِّمًا كتبَ اسمَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ، كتبَ بعدهُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ وَالسَّلَامَ ، ويصَلِّي هو عليه بلسانه أيضاً ، وجرتُ عادةُ السَّلفِ والخلف بكتابةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لموافقةِ الأمرِ في قوله تعالى : (صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)^(١) .

(١) النوع الخامس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٧٣ - ١٧٧ .

(٢) سورة الاحزاب : الآية : ٥٦ .

ولا يختصر الصلاة في الكتابة ولو وقعت في السطر مراراً ، كما يفعل بعض المحرومين فيكتب (صلعم) ، أو (صلّم) أو (صلّم) ، وكل ذلك غير لائق بحقه صلى الله عليه وآله وسلّم ، وقد ورد في كتابة الصلاة بكمالها وترك إختصارها آثار كثيرة ، وإذا مرّ بذكر الصحابي ، كتب رضي الله عنه ، ولا يكتب الصلاة والسلام لأحد غير الأنبياء والملائكة إلا تبعاً لهم ، وكلّما مرّ بذكر أحد من السلف فعل ذلك ، أو كتب رحمه الله ، ولا سيما الأئمة الأعلام .

السادس^(١) ينبغي أن يتجنب الكتابة الدقيقة في النسخ ، قال بعض السلف : اكتب ما ينفعك وقت حاجتك ، ولا تكتب ما لا تنتفع به وقت الحاجة [٩٦ظ] والمراد وقت الكبر وضعف البصر ، وقد يقصد بعض السّفارة بالكتابة الدقيقة خفة الحمل ، وهذا وإن كان قصداً صحيحاً إلا أن المصلحة الفائتة به في آخر الأمر أعظم ، والكتابة بالحبر ، أو من المداد^(٢) ، لأنّه أثبت .

السّابع^(٣) إذا صحّح الكتاب بالمقابلة على

(١) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٧٧ - ١٨٠ .

(٢) سمي الحبر مداداً ، لأن القلم يستمد منه أثناء الكتابة .

(٣) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٨٠ - ١٨٥ وقد حذف منه بعض الفقرات .

أصله الصحيح ، أو على شيخ ، فينبغي له أن
يُشكلَ المشكلَ ويُعجمَ المستعجمَ ويضبطَ الملتبسَ ،
ويتفقدَ ، مواضعَ التّصحيفِ .

وقد جرت العادة في الكتابة بضبط الحروف
المعجمة بالنقط ، وأمّا المهملة فمنهم من يجعل
للأهمال علامة . وينبغي أن يكتب على ما صحّحه
وضبطه في الكتاب ، وهو محل شك عند مطالعته ،
أو تطرّق احتمال (صح) صغيرة ، ويكتب في
الحاشية صوابه كذا إن تحقّقه ، وإلاّ فيعلم عليه
(ص) ^(١) وهو صورة رأس صاد يكتب فوق الكتابة
غير متصلة بها ، فإذا تحقّقه بعد ذلك وكان المكتوب
صواباً زاد تلك الصاد حاء فيصير (صح) ، وإلا كتب
الصواب في الحاشية كما تقدّم ، وإذا وقع في النسخة
زيادة ، فإن كانت كلمة واحدة ، فله أن يكتب
عليها (لا) وأن يضرب عليها إن كانت أكثر من
ذلك ، فإن شاء كتب فوق أولها (من) ، أو كتب
(لا) ، وعلى آخرها (إلى) ، ومعناه : من هنا ساقط إلى
هنا ، وإن شاء ضرب على الجميع بأن يخطّ عليه
خطاً رقيقاً يحصل به المقصود ، ولا يسودّ الورق ،
ومنهم من يجعل مكان الخط نقطاً متتالية ، وإذا
تكرّرت الكلمة سهواً من الكاتب ضرب على الثانية
لوقوع الأولى صواباً في موضعها [٩٧و] إلاّ إذا كانت
الأولى آخر سطر ، فإنّ الضرب عليها أولى صيانة

(١) (ص) ساقطة من (ب) .

لأوّل السّطر ، إلّا إذا كانت مُضافاً إليها فالضرب
على الثّانية أوّلَى لاتصال الأوّل بالمضاف .

الثامن^(١) إذا أراد تخريج شيء في الحاشية ،
ويُسمّى التّحقّق بفتح الحاء علّم له في موضعه
بخط منعطف قليلاً إلى جهة التّخريج ، وجهة اليمين
أوّلَى إن أمكن ، ثم يكتب التّخريج من محاذاة
العلامة^(٢) صاعداً إلى أعلى الورقة لا نازلاً إلى أسفلها ،
لاحتمال تخريج آخر بعده ، ويجعل رؤوس الحروف
إلى جهة اليمين سواء كان في جهة يمين الكتابة ، أو
يسارها .

وينبغي أن يحسب السّاقط وما يجيء منه من
الأسطر قبل أن يكتبها ، فإن كان سطرين ، أو
أكثر جعل آخر سطر منها يلي الكتابة إن كان
التّخريج عن يمينها ، وإن كان التّخريج عن يسارها جعل
أوّل الأسطر ممّا يليها . ولا يوصل الكتابة
والأسطر بحاشية الورقة بل يدع مقداراً يحتمل
الحك عند حاجته مرّات ، ثم يكتب في آخر التّخريج
(صح) ، وبعضهم يكتب بعد (صح) الكلمة التي تلي
آخر التّخريج في متن الكتاب علامة على اتّصال الكلام .

(١) النوع الثامن اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٨٥ -
١٨٦ .

(٢) يجدر بالحقّقين الافاضل ان يدرسوا هذه الملاحظات كي تساعدكم في
تحقيق كتب التراث ، لأن اصحاب الكتابة اعرف بما يكتبون .

التاسع' (١) لا بأس بكتابة الحواشي والفوائد والتنبيهات المهمة على حواشي كتاب يملكه ، ولا يكتب في آخره (صح) فرقاً بينه وبين التخريج ، وبعضهم يكتب عليه حاشية ، أو فائدة ، وبعضهم يكتب في آخرها ، ولا ينبغي أن يكتب إلا الفوائد المهمة المتعلقة بذلك الكتاب ، مثل تنبيه على إشكال ، أو احتراز ، أو رمز ، أو خطأ ونحو ذلك . ولا يسوّد به بنقل المسائل والفروع الغريبة ، ولا يكتب الحواشي كثرة تظلم الكتاب وتضيّع مواضعها على [٩٧ ظ] طالبا . ولا ينبغي الكتابة بين الأسطر ، وقد فعله بعضهم بين الأسطر المفرقة (٢) بالحمرة وغيرها ، وترك ذلك أولى مطلقاً .

العاشر' (٣) : لا بأس بكتابة الأبواب والتراجم والفصول بالحمرة ، فانه أظهر في البيان ، وفي فواصل الكلام ، وكذلك لا بأس بالرمز به على أسماء ، أو مذاهب ، أو أقوال أو طرق ، أو أنواع ، أو لغات ، أو أعداد ، ونحو ذلك ، ومتى فعل ذلك بين اصطلاحه في فاتحة الكتاب ليفهم الخائض فيه معانيها ، وقد رمز بالأحمر جماعة من المحدثين والفقهاء وغيرهم ، لقصد الاختصار ، فإن لم يكن ما ذكرناه

(١) النوع التاسع اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص ١٨٦ - ١٩١ ، وقد حلف منه عدة فقرات .

(٢) في (ب) : (المتفرقة) ، وهو وهم .

(٣) النوع العاشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٩١ - ١٩٢ .

من الأبواب والفصول والتراجم بالحمرة أتى بما يميزه عن غيره من تغليظ القلم وطول المشق ، واتحاده في السطر ، ونحو ذلك ليسهل الوقوف عليه عند قصده . وينبغي أن يفصل بين كل كلامين بدائرة ، أو ترجمة ، أو قلم غليظ ، ولا يوصل الكتابة كلها على طريقة واحدة لما فيه من عسر استخراج المقصود وتضييع الزمان فيه ، ولا يفعل ذلك إلا غبيًّا جدًا .

الحادي^(١) عشر قالوا : الضرب 'أولى من الحك لاسيما في كتب الحديث ، لأن فيه تهمة وجهالة فيما كان ، أو كتب ، ولأن زمانه 'أكثر' فيضيع ، وفعله 'أخطر' فربما ثقب الورقة وأفسد ما ينفذ إليه فاضعفها ، فإن كان إزالة نقطة ، أو شكلة ونحو ذلك فالحك 'أولى' .

وإذا صحَّ الكتاب 'على الشيخ أو في المقابلة علم على موضع وقوفه (بلغ) ، أو (بلفت) ، أو (بلغ الغرض) ، أو غير ذلك مما يفيد معناه ، فإن كان ذلك في سماع الحاشية كتب (بلغ) في المعتاد الأول ، أو الثاني إلى آخرها ، فيعين عدده .

(١) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ١٩٢ - ١٩٣ ، وبانتهائه انتهى القسم الأول من الكتاب .

قال الخطيب : فيما إذا أصلح شيئاً ينشر
 المصلح بنحاة الساج [٩٨و] وغيره من الخشب، ويبقى
 الثريب . والله أعلم بالصواب وصلى الله على
 سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً
 كثيراً دائماً أبداً ، والحمد لله رب العالمين .

تمّ القسم (١) الأول ، ويتلوه القسم الثاني إن
 شاء الله تعالى .

(١) في (ب) : تم الجزء الاول من جواهر العقدين بحمد الله ومنه وفضله،
 ويتلوه القسم الثاني ان شاء الله .

وفي (م) : تم القسم الاول ويتلوه القسم الثاني ان شاء الله تعالى
 بحمد الله وعونه وحسن توفيقه .

فهرست الموضوعات

1900

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الدراسة	٥
السمهودي اسمه ونسبه	٧
اساتيدہ	٩
١ - والده القاضي عبدالله بن أحمد الحسنی	٩
٢ - الشمس الجوجري	١٠
٣ - شرف الدين يحيى المناوي	١٠
٤ - الشمس الشرواني محمد بن مراهم	١١
٥ - شهاب الدين أحمد بن إسماعيل الابشيطي	١١
٦ - سعد الدين محمد بن سعد الحنفي	١٢
٧ - النجم بن قاضي عجلون محمد بن ابراهيم	١٢
٨ - الشمس البامي محمد بن أحمد	١٢
٩ - علم الدين البلقيني صالح بن عمر	١٢
١٠ - النجم عمر بن محمد	١٣
١١ - الكمال محمد بن محمد ، واخته كمالية	١٣
١٢ - محمد بن احمد المراغي	١٣
١٣ - محمد بن محمد امام الكاملية	١٣
١٤ - زكريا بن محمد الشافعي	١٣
١٥ - سعد بن محمد الديري	١٤
١٦ - عثمان بن صدقة	١٤
١٧ - العفيف عبدالله بن القاضي ناصر الدين	١٤

الموضوع	الصفحة
مصنفاته	١٥
شعره	١٩
نشاطه الثقافي ومكانته الاجتماعية	٢٥
قيمة الكتاب	٢٩
وصف النسخ	
١ - نسخة محمد بن يحيى (الاصل)	٣٣
٢ - نسخة وقف الحاج أمين افندي (م)	٣٥
٣ - نسخة وقف ابراهيم فصيح الحيدري (ب)	٣٦
عملنا في التحقيق	٤١
لماذج من النسخ المخطوطة	٤٥

فهرست النص المحقق

الموضوع	الصفحة
مقدمة صاحب الكتاب	٦٩
القسم الأول في فضل العلم والعلماء ومتعلقات ذلك ، وفيه ثلاثة ابواب :	
الباب الاول في ايراد الادلة الدالة على فضل العلم	٧٧
الباب الثاني في بيان منشأ معادات العلماء ، ومعادات أهل	
البيت الكرام ، ومحبة اللثام للثام	١٨٥
الباب الثالث في آداب العلماء والمتعلمين منهم الآخذين عنهم ، وفيه سبعة فصول :	٢٥١
الفصل الاول في آداب العالم في نفسه .	٢٥١
الفصل الثاني في آداب العالم في درسه .	٢٧٧
الفصل الثالث في آداب العالم مع طلبته مطلقا وفي حلقاته	٢٩٧
الفصل الرابع في آداب المتعلم في نفسه	٣١٥
الفصل الخامس في آداب المتعلم مع شيخه وقدوته ، وما يجب	
عليه من عظيم حرمة	٣٢٩
الفصل السادس في آداب المتعلم في درسه وقراءته	
وما يعتمد فيه مع الشيخ والرفقة	٣٥٩
الفصل السابع في الأدب مع الكتب التي هي آلة العلم	٣٧٧
فهرست الموضوعات	٣٨٩

صدر للمحقق

- ١ - دراسة "حول كتاب الايضاح ، نشر سنة ١٩٧٦م في مطبعة المجمع العلمي الكردي - بغداد .
- ٢ - شرح الوافية نظم الكافية لابن الحاجب ، دراسة وتحقيق ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف سنة ١٩٨٠م .
- ٣ - الايضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ، تقديم وتحقيق ، صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٨٢م ، مطبعة العاني - بغداد ، وصدر الجزء الثاني منه سنة ١٩٨٣م ، مطبعة العاني - بغداد .
- ٤ - الفرق بين الضاد والظاء لأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني ، دراسة وتحقيق ، مطبعة الأوقاف والشؤون الدينية - بغداد سنة ١٩٨٣م .

البحوث المنشورة

- ١ - بعض "من أوهام النحاة في آراء صاحب الكتاب ،
مجلة المجمع العلمي العراقي ، في العدد الثامن
والعشرين ١٩٧٧ م .
- ٢ - أسباب انتشار العامية وموقف جماعة من
المستشرقين وبعض العرب منها ، مجلة آداب
الرافدين في الموصل ، العدد الثامن ١٩٧٧ م .
- ٣ - الاتجاه النقدي عند ابن طفيل في أسرار الفلسفة
المشرقية ، مجلة جامعة الموصل ، العدد العاشر
١٩٧٤ م .
- ٤ - العلاقة بين أمس والبارحة : بحث لغوي ، مجلة
جامعة الموصل ، العدد السابع ١٩٧٣ م .
- ٥ - كتابة العربية بالحروف اللاتينية وموقف
المستشرقين وبعض العرب منها ، مجلة كلية الفقه
في النجف الأشرف ١٩٧٩ م .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٤٠٨ لسنة ١٩٨٤
تم طبع الكتاب في ١٨/١٠/١٩٨٤ بعدد ٥٠٠٠ نسخة